توأما الجهاد والشهادة

السِّيرة الجهاديَّة للقائدين

محمد أبو شمالة
رائدُ العطار



كتاب

2022م - 1444هـ

توأما الجهادِ والشهادة

السيرة الجهاديَّةُ للقائدين

محمد أبو شمالة ورائد العطار

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية
بطاقة فهرسة أثناء النشر
الهيئة العامة للشباب والثقافة – الإدارة العامة للمعارض والفنون والتراث

الاعلام العسكري لكتائب القسام: قسم التاريخ العسكري.
توأما الجهاد والشهادة: السيرة الجهادية للقائدين محمد أبو شمالة ورائد العطار/الاعلام العسكري لكتائب القسام: قسم التاريخ العسكري. – غزة: الاعلام العسكري لكتائب القسام، 2022 م.
(232) ص، 17*24
رقم الإيداع: 1836 / 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

آل عمران: 169

إهـداء

إلى مَنْ وهبوا أنفسهم للَّه ربِّ العالمين ... شهدائنا الأبرار

إلى مَنْ حملوا همَّ الجهاد في سبيل الله والذَّوْد عن حِيَاض الأمَّة ... مجاهدينا البواسل

إلى مَنْ عاشوا حياتهم في الخفاء يقودون المعارك ويحرِّكون الكتائب ... قادتنا الأماجد

إلى أولئك الذين رسموا طريق النَّصر والتَّحرير بدمائهم

وإلى الذين وقفوا بأجسادهم في وجه المِخْرَز، وردُّوه منكسراً صاغراً

إلى جميع أبناء شعبنا الفلسطينيِّ العظيم

نُهدي هذا الكتاب

تقديم

أتشرف اليوم أن أقدِّم لكتابٍ ليس كغيره من الكُتب، فهو يعرض لسيرةٍ مميَّزةٍ مختلفة، تحمل عناصر مُركَّبةٍ لرجلين مؤسِّسين في مسيرة القسَّام، ولبطلين من أبطال الشَّعب الفلسطيني، عاشا كباراً ولقيا الله عظاماً بعد أن كتبا اسميهما بالدَّم على لوحٍ من نورٍ في سِفْر المقاومة الخالد.

في فجر الحادي والعشرين من آب 2014م كان موعد الشَّهيدين مع الوداع الأخير، ولكنها كانت بدايةً لمرحلةٍ لطالما تمنَّوها وسألا الله أن يرزقهما إيَّاها، إنَّها الشَّهادة التي حازا عليها بعد قصفٍ وحشيٍّ للاحتلال على حيِّ تل السُّلطان بمدينة رفح، فكان لهما ما تمنَّيا، إذ صدقا الله فصدقهما الله.

لقد امتشق أبو شمَّالة والعطَّار السِّلاح في وقتٍ مُبكِّرٍ جدًّا من العمل المسلَّح لحركة حماس، وعاشا مرحلة التَّأسيس في كتائب القسَّام، واكتويا بآثار الاحتلال وظُلم ذوي القُربى، وسجنهم الذي كان أشدَّ مضاضةً على نفسَيْهما من وقْع الحُسام المُهنَّد. ولكنَّهما ظلَّا على الطَّريق، مؤمنان بحتميَّة الانتصار، وبالقدرة على تغيير المعادلات وفرض الوقائع التي تتكامل؛ لتُشكِّل صورةً جديدةً للمقاومة في غزَّة بعد أن غدا القسَّام جيشاً بعشرات الآلاف من المجاهدين ضمن تخصُّصاتٍ مُختلفة، الرِّجال الذين يقفون اليوم على ثغور الوطن بعزَّةٍ وإباءٍ وشُموخٍ وكبرياء، وأشهروا سيف القُدْس البتَّار، وأذلُّوا الكيان وأهانوا جيشه وحطَّموا كبرياءه، وما زال السَّيفُ بِيَدِهم المُتوضِّئة؛ ينتظرون اليوم الموعود بالزَّحف المُبارك نحو القدس الأسير وأداء صلاة النَّصر في باحاته.

بنادقٌ متهالكةٌ قديمة، تلك التي استطاع أن يحصل عليها أبو خليل أبو شمَّالة وأبو أيمن العطَّار، ولكنَّها كانت صالحةً مع الإيمان والإرادة والعزيمة؛ لتُرسل الكثير من جنود الاحتلال إلى جهنم، وتوالت العمليَّات والقدرة على التَّخطيط والتَّنفيذ والتَّسليح، وأصبح القسَّام في رفح لواءً يُحسب له ألف حساب، شهد الجولات والصَّولات مع الاحتلال وعلى رأسها حرب الأنفاق وعملية "الوهم المُتبدِّد" وأسر شاليط، التي كانت قصَّة انتصارٍ لتحرير الأسرى في وفاء الأحرار، وغيرها من العمليَّات البطوليَّة الكُبرى.

وكان لهما دورهما الكبير في (معركة الفرقان 2009م)، و(معركة حجارة السِّجِّيل 2012م) و(معركة العصف المأكول 2014م)، فضلاً عن أسر الجنود، حتَّى غدت رفح في عهدهما (الصُّندوق الأسود) الذي يُخفي تاريخاً أبيضاً ناصعاً للمقاومة.

ولعلَّ أعظم ما في هذه السِّيرة العطِرة أنَّنا أمام رجُلين عاشا مرحلة البدايات، التي عزَّ فيها النَّصير، وندرت فيها الموارد والسِّلاح، وتكالبت فيها على المقاومة ورجالها أرجاءُ الأرض كلِّها، فلم يفتَّ ذلك من عضُدَيهما، بل جعلهما يبذلان طاقةً مُضاعفةً؛ لتصل كتائب القسَّام إلى ما نراه اليوم من عُدَّةٍ وعتادٍ ورجالٍ ليس كمثلهم رجال، وما كان ذلك ليكون لولا الهمَّة العالية والصِّدق مع الله والإخلاص في العمل والقُدرة على التَّحدِّي والإيمان بحتميَّة الانتصار.

كان أبو أيمن وأبو خليل رحمهما الله من أنْبل الرِّجال، ومن أكثر من يَعتمد عليهم القائد العام أبو خالد الضَّيف في تنفيذ المهمَّات الصَّعبة، ولا أنسى دور هذين البطلين في ترسيخ العلاقات العسكريَّة مع قُوى وأذرُع المقاومة في غزَّة، حيث مثَّلا حاضنةً دافئةً، وعوناً ومدداً لهذه الكُتلة الجهاديَّة، وأسهما في تطوير الإمكانات، وتوفير الدَّعم اللوجستيِّ الذي يسمح بخوض المعارك المُشتركة مع العدو.

نعم، كانت بَوْصلتُهما -رحمهما الله- واضحةً، إمَّا النَّصر أو الشَّهادة، فهنيئاً لهما الشَّهادة، وإنَّنا على موعدٍ من النَّصر المُؤزَّر عاجلاً بإذن الله غير آجل، وما ذلك على الله بعزيز؛ ليَشفِ صُدور قومٍ مُؤمنين.

لقد رحل الشَّهيدان وعلى آثارهما عشراتٌ من الآلاف سائرون.

وإنِّي أُشهد الله تعالى أنَّني كُنتُ أُحبُّهما في الله، وأسأله سُبحانه أنْ يجمعني بهما وبكلِّ الشُّهداء الأبرار، وبالنَّبيِّ والصَّحْبِ الكِرام.

إسماعيل هنية

رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس

مقدِّمة

كعادتها فِلَسطين تُمطرُ غيثاً عذباً يُخضّب أرضها الخصْبة، فينْبت نباتاً طيباً مباركاً يضرب في أعماق الأرض، ويلوح في أُفُقِ السَّماء، تستمدُّ قداستها من وحي السَّماء ومغاوير الأرض.

اقتضت خيرية الله أن يصطفي لهذه البلْدة من يطبع شامة العزِّ على جبينها، فقذفت لهذه الأمة فِلْذَة كَبِدِها، فكان محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، رُبّانَي مرحلةٍ مهمة، قائدين عظيمين من قادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، خاضا غِمَار مقارعة المحتلِّ على مدار ربْع قرنٍ، امتزجت الأجساد، وتعانقت الأرواح، وتوحَّدت الظُّروف فكانا توأمان منذ بداية الطَّريق، في العام ذاته كان ميلادهما والحيَّ يضمُّهما، وحياة اليتم نشأتهما، ومقاعد الدِّراسة تجمعهما، والمسجد ذاته وموائد القرآن منهجهما، وفعاليَّات الانتفاضة ساحتهما، وأروقة السِّجن ملتقى لهما، ثمَّ شبّ الفَتَيَان، الجهاد سبيلهما، تتوازى الخطوة، ويتناظر المسير ببندقية متعانقة مع وحدة النفير.

سطع بريق النَّجمين المتلألِئ من جنوب قطاع غزَّة، حيث مرفدُ البطولة رفح، والتي مثَّلت نقطة انطلاق البطلين اللذين عاشا حياة الإيمان بأوثق عراه فانصهرا حتَّى كانا محمَّد الرَّائد والرَّائد محمَّد، جسَّدا حقيقة الحبِّ المجرَّد الصَّادق في أبهى صورة، ندرتْ مشاهدتُها.

تشارَك البطلان في رفضهما مشروع الرُّضوخ والاستسلام الذي تحمله سلطة أوسلو إبَّان قدومها، فازدوجت الملاحقة بين عدو يحاول النيل منهما، وآخر يسعى لكبح جماحهما، فمِن كرٍّ لِفَرٍّ، ثمَّ إلى أقبية السُّلطة داخل السُّجون، اجتمعت عليهما الاتِّهامات ذاتها، حتَّى قضى قاضي الجور بإعدام رائد، ومؤبَّد السِّجن لمحمَّد، غير أنَّ عدالة السَّماء حلَّت على الأرض، وخرج البطلان بعزَّة المجاهد ونشوة المنتصر، وعادا إلى ساحة النِّزال بِخُطى الأسد الهمام وجهاد الرَّجل المقدام.

تعدَّدت محاولات الاحتلال الصُّهيونيّ تحييدهما عن الطَّريق، فأعَدّتْ لهما شِراك الغدر وكمائن القتل، غير أنَّهما كانا أفطن من أنْ يصيرا لقمةً سهلةً أمام بطشهم الماكر، فلم تخلُ محاولة اغتيالٍ إلَّا خاضاها معاً، حتَّى جاءت معركة العصف المأكول، والتي عُصف فيها الكيان الصُّهيونيّ بقوة الله وبأس رجاله الصادقين، ما دعا الكيان الصُّهيونيّ وأذنابه إلى تدقيق البحْث عن هذين البطلَين، حتَّى حدَّدت أجهزة استخباراته مكان وجودهما، فسارعت طائرة العدوِّ لإلقاء أطنانِ حقدها على مكان وجودهما، وفاضت روحهما لباريهما على عجل، بعد خوض معركةٍ دشَّنا خلالها عجائب الصّنيع، وبراعة القيادة، وروعة الشهادة، وشرف الارتقاء.

"توأما الجهاد والشهادة" رحلةٌ في سيرة الشَّهيديْن القائدَيْن القسَّاميَّين: محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار من مهدهما إلى لحدهما، ويتكوَّن الكتاب من أربعة فصول: تناول الفصل الأوَّل منها الحياة الاجتماعيَّة لهما، أمَّا الفصل الثَّاني فيتحدث عن الحياة الجهاديَّة لهما من عام 1987م حتَّى عام 2000م، في حين عرض الفصل الثّالث حياتهما الجهاديَّة من بَدْءِ انتفاضة الأقصى عام 2000م حتَّى العدوان الصُّهيونيّ الأوَّل 2008م، واسترسل الفصل الرابع في الإخبار عن الحياة الجهاديَّة لهما من عام 2008م حتَّى استشهادهما عام 2014م أثناء "معركة العصف المأكول".

رحم الله الشهيدين وتقبل جهادهما وأعلى منزلتهما في جنان الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

قسم التاريخ العسكري

الفصل الأول

الحياة الاجتماعيَّة

للقائدين "محمَّد أبو شمَّالة ورائد العطَّار"

المبحث الأوّل

القائد محمَّد أبو شمَّالة (أبو خليل)

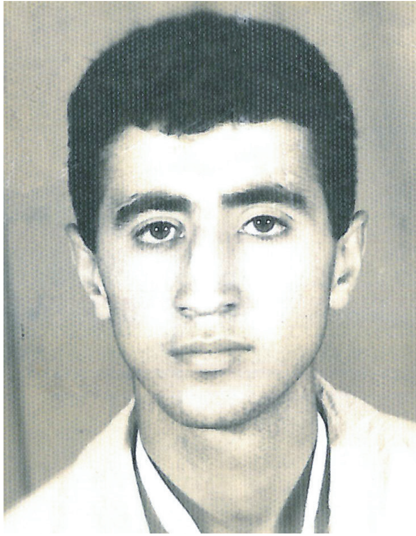
ميلاده ونشأته

الميلاد والنَّشأة

حظِي الأوَّل من فبراير عام 1974م، بميلاد القائد القسَّامي محمَّد إبراهيم صلاح أبو شمَّالة في أسرةٍ فلسطينيَّةٍ هُجِّرت من قرية بيت دراس [1] عام 1948م، واستقرَّت في مخيَّم يِبْنا بمدينة رفح للاجئين الفلسطينيِّين.

الأمُّ الفلسطينيَّة هدى أبو شمَّالة -والدة الشَّهيد القائد محمَّد- تخبر عن ميلاده، فتقول: كان ميلاد فِلْذَة كَبِدِي محمَّد في يوم الجمعة، وقبيل ساعات المخاض أخذتني سِنَةٌ من النَّوم، شاهدتُ خلالها رؤيا أنْ أسمِّيَ وليدي محمَّداً، فكان ذلك".

تُوفِّي والده -رحمه الله- ولم يتجاوز الأربعين من عمره، في وقتٍ لم يتجاوز فيه محمَّد عامه الثّالث؛ فنشأ يتيماً؛ وكابدت عائلته المكوَّنة من أحد عشر فرداً حياة الفقْر، وضَنْك العيش، فقد كانت والدته تجد بالغ الصعوبة في توفير لقمة العيش بعد وفاة زوجها، وانقطاع مصدر دخل العائلة الذي كان بالكاد يسدُّ رمَقهم ويلبِّي حاجتهم؛ فاضطُرَّ أخوه الأكبر (خليل) إلى مغادرة مقاعد الدِّراسة، والبحث عن عمل يُخفِّف به أعباء أسرته الفقيرة، ولكنَّه لم يتمكَّن من مساعدة عائلته بمفرده؛ فاضُطر أخواه أيمن وتيسير للعمل داخل الأراضي المحتلَّة عام 1948م، وهم في سنٍّ مبكِّرة.



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

يذكر شقيقه تيسير: بعد أن كَبُر محمَّد قليلاً، عمل ليومٍ واحدٍ فقط خلال عام 1986م؛ أي قبل الانتفاضة الأولى بعام،

(1) بيت دراس: قرية فلسطينية، اسمها يعني: مكان دراسة القمح، تقع في الشمال الشرقي من مدينة غزَّة على مسافة 46 كم منها، تعرضت عام 1948م لمذبحة، وقد استبسل أهلها في الدفاع عنها، ثم احتلها الصهاينة، بتاريخ 5 يونيو 1948م.

في مغتصبة (مفتاحيم)[1] الصُّهيونيَّة شرق مدينة رفح في الزِّراعة مع عددٍ من العمّال العرب، ومع حلول المساء وقبل انتهاء وقت العمل بقليل اقتلع محمَّد كلَّ أشتال الحمضيَّات التي زُرعت في ذلك اليوم، واستدرج المغتصب المسؤول عن العمل إلى إحدى الدُّفيئات الزِّراعيَّة، وقيَّد يديه ورجليه، ثُمَّ ألقى به في بركة ماءٍ صغيرة، ثمَّ انطلق مغادراً إلى مدينة رفح، ولم يعد للعمل في المغتصبات الصُّهيونيَّة، فقد تربَّى منذ صغره على كره الاحتلال الصُّهيونيِّ ورفض التعايش معه.

كنيته ولقبهُ

عُرف القائد محمَّد أبو شمَّالة بكنيتين هما:

- **أبو خليل:** وهو اللقب الحركي الأكثر شهرة، حيث اختاره تيمُّناً بأخيه الأكبر خليل، واعترافاً له بالفضل عليه بعد وفاة والده، خاصَّةً وأنَّه تربَّى يتيم الأب منذ الصِّغر، كما أنَّه أراد مشابهة والده في الكنية، فكان والده إبراهيم أبو شمَّالة يُعرَف بـ (أبو خليل).
- **أبو عبد الله:** عُرف بهذه الكنية بعد أن أكرمه الله بابنه الوحيد عبد الله، الذي سمَّاه تيمُّناً بالصَّحابيَّين الجليلَيْن: عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-.

أما لقبه فهو:

- **الخليفة:** نُعِتَ بهذا اللقب بين قيادة العمل العسكري في كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، فكان جلهم لا ينادونه إلَّا بالخليفة.

الحياة العلميَّة

بدأ محمَّد أبو شمَّالة دراسته في مدرسة رفح الابتدائيَّة المشتركة (أ) التَّابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللاجئين بمخيَّم يِبْنا عام 1980م، ثمَّ التحق بمدرسة ذكور

(1) **مغتصبة مفتاحيم:** الجاثمة على أراضينا المحتلة عام "1948م" شرق خانيونس، وهي ضمن تجمع مجلس إقليمي "أشكول"، على مساحة 4000 دونم، وتبعد عن قطاع غزَّة 33 كم.

رفح الإعداديَّة (أ) التَّابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللاجئين أيضاً، ثمَّ بمدرسة بئر السَّبع الثَّانويَّة للبنين عام 1990م، وأنهى المرحلة الثَّانويَّة عام 1991-1992م.

ليلتحق بكلِّيَّة أصول الدِّين في الجامعة الإسلاميَّة بغزَّة عام 1992-1993م، حيث درس فيها فصلاً دراسيّاً واحداً، ثمَّ توقَّف عن الدِّراسة؛ بسبب تعرُّضه للاعتقال ومطاردة الاحتلال الصُّهيوني.



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

الهوايات والمهارات

كان محمَّد من هُواة القراءة والإنشاد والتَّمثيل، وقد تمتَّع بثقافةٍ عالية، خاصَّةً في الجانب الدِّيني، وكان ذا صوتٍ نديٍّ في قراءة القرآن، وامتلك موهبة الرَّسم والخطِّ الجميل، التي وظَّفها في كتابة شعارات حركة المقاومة الإسلاميَّة -حماس- على الجدران خلال الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى (1987-1994م) عندما عمل في جهاز الأحداث ضمن صفوف حركة حماس، إضافةً إلى هواية صيد العصافير.

وعن محبَّته للقراءة والاطِّلاع تقول زوجته: رغم أنَّه كان في جهادٍ متواصل، ومطلوباً لقوَّات الاحتلال، إلَّا أنَّنا كثيراً ما كنَّا نتسابق في قراءة الكُتب، أيُّنا ينهي قراءة الكتاب أوَّلاً.

كان شغوفاً بتقليد المجاهدين والتَّشبُّه بهم؛ فقد برع في مهارة التَّمثيل، حيث كان منذ صغره يُغْلق باب الغرفة على نفسه، ويمثّل دوْر مقاومين فلسطينيِّين يتصدَّوْن لجنودٍ صهاينة، وكذلك اقتحام الغرف، وفتح الأبواب، والاختباء خلف الجدران، وسرعة الانقضاض على العدوِّ، وقد أجاد هذه الموهبة بكل جدارة.

قربه من الله

من أجلِّ الأدلَّة على محبَّة الإنسان لربِّه، اجتهادُه في القرب منه، ولا يتأتَّى ذلك إلَّا بديمومة طاعته، والوقوف بين يديه عزَّ وجل؛ لذلك حافظ شهيدنا القائد على صلواته الخمس، وكان شديد الحرص على أداء صلاة الفجر جماعةً في المسجد، حيث كان يصِفها بأنَّها "بوَّابة النَّصر"، وبها يضمن كوْنَه في ذمَّة الله سائر يومه.

أخذ بحظٍّ وافر من صلاة الأوَّابين الضُّحى فكانت بالنِّسبة له كأنَّها فريضةٌ واجبٌ أداؤها، ما تخلَّف عنها قطُّ، وكان دائم التَّسلُّح بسلاح الوضوء، وما أنْ يحلَّ شهر رمضان المبارك حتَّى يشهد أداء صلاة التَّراويح كافَّة، فلم تُثنه عنها أيَّ ظروف، أمنيَّة أو اجتماعيَّة أو حتَّى صحِّيَّة.

اعتاد القيام والنَّاس قد رقدوا، متهجِّداً إلى ربِّه متبتِّلاً بصلاة الليل، يأتي ثُلُثَه أو نصفَه وإنْ شئت فقُل: كُلَّه، مُلحّاً على الله تعالى بأنْ يُكْرِمه الشَّهادة، مستذكراً كلَّ ذي فضلٍ يخصُّه بالدُّعاء، ولطالما كان يلهج لسانه بالدعاء لوالديه أنْ تنالهما رحمة الله ومغفرته، وللأسرى أنْ يُكْسَر قيدُهم، وللمسرى أنْ يُحرَّر من رجْسِهم، ولم ينسَ زوجَه، وأبناءه، أو حتَّى عامَّة المسلمين.



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

كما حرص القائد أبو خليل على وِرْدَه اليوميَّ من القرآن الكريم بصوته الشَّجيِّ، وكثيراً ما كان يتمنَّى أنْ يُيسِّر الله له حفظ القرآن الكريم كاملاً، حتَّى إنَّه قال لزوجِه في أحد الأيَّام: "أتمنى الحصول على استراحةٍ عاماً، أحفظ خلالها القرآن الكريم كاملاً"، إلَّا أنَّه كان يُدرك أهمِّيَّة وجوده في ميدان العمل العسكري، فلم يتمكَّن من التَّخلِّي عن تلك الأمانة العظيمة، فاجتهد في حفظ بعض السُّور، كسورة الكهف، وسورة الأنبياء، وسورة الإسراء وغيرها.

عشق القائدُ محبوبَه رسولَ الله "محمَّد" -صلَّى الله عليه وسلَّم- وصحابَته الكرام، فسار على طريقهم متأسِّياً بدربهم، ومتحلِّياً بصفاتهم، راجياً أن يُقبَل شهيداً مثلهم؛ ويسكن الجنَّة برفقتهم، فكثيراً ما كان يتحاور مع زوجه أم خليل حول الجنَّة ونعيمها، ويقول لها: "في الحساب العقلي يفترض أنْ أكون منذ عدَّة أعوامٍ في عِداد الشُّهداء، لكنَّ الله تعالى أخَّر شهادتي لحكمةٍ من عنده!!"، مُردِّداً عبارته المشهورة: "لعلَّه خير"، وكثيراً ما كانت زوجه تُذكِّره أنَّ أبناءه ما زالوا صغاراً، وبحاجةٍ إلى اهتمامه ورعايته، غير أنَّه في كلِّ مرَّةٍ يُجيب الجواب ذاته، فمع شدَّة حُبِّه لأبنائه وعائلته إلَّا أنَّ شوْقه للقاء ربِّه كان أكبر.

كان من المستحيل في نظر الكثيرين أنْ يتمكَّن قادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، من الخروج من غزَّة المحاصرة يوماً ما، متوجِّهين لأداء الرُّكن الخامس من أركان الإسلام (الحج)، إلَّا أنَّ مشيئة الله وقدره نافذان لا محالة، فلقد تمكَّن القائد محمَّد أبو شمَّالة ورفيقاه القائدان: رائد العطَّار، وأحمد الجعبري[1]، من أداء فريضة الحجِّ عام 1433 - 2012م، ففي ذلك العام يسرّ الله لأبي خليل الذَّهاب لأداء فريضة الحج ملبِّياً نداء الله، وزائراً بيته الحرام، ومسجد نبيِّه العدنان، ومؤدِّياً الرُّكن الخامس من أركان الإسلام؛ كانت هذه الشَّعائرُ الرَّبَّانيَّة بشارةً بدنوِّ لقائه مع الله.



القادة/ رائد العطار،محمد أبو شمالة،أحمد الجعبري

(1) **أحمد سعيد الجعبري (1960-2012م)**: أحد أبرز قادة كتائب القسّام، يقف خلف عددٍ كبيرٍ من عمليات المقاومة ضد الاحتلال، اعتقل لدى الاحتلال 13 عاماً، وخرج عام 1995م، واعتقلته أجهزة السلطة الفلسطينية عام 1998م، وخرج عقب انتفاضة الأقصى عام 2000م بعد تكسير أبواب الزنازين، وامتلك شخصية عسكرية وسياسية أهلته للعمل العسكري، وترك بصمة واضحة في تطوير أجهزة المقاومة العسكرية في قطاع غزَّة، وكان ركناً أساسياً في ملف الجندي شاليط من التفاوض حتى التسليم، وحاول العدو اغتياله عدّة مرات، حتى اغتيل يوم 14 نوفمبر 2012م، بصاروخٍ استهدف سيارته برفقة الشهيد القائد محمد الهمص.

صفاته وخصاله

تجسَّدت في شخص القائد أروع الصِّفات وأدمث الأخلاق، حتَّى عُرف بين أهله وإخوانه ومجتمعه برُقِيِّ خصاله وطيب معاملاته، فقد اتُّصف القائد محمَّد بالإيثار، وحسن الظَّنِّ بالله، ومساعدة الآخرين، وحفظ الأمانة، والتَّواضع، والكرم والشَّجاعة، كما تميَّز بالهدوء وحسن الخُلُق وطيب العِشْرة، فلم تُسجَّل عليه أيّ خلافاتٍ أو مشاجرات، بل كان ليِّناً سمحاً، وقد أثمرت هذه الأخلاق الحميدة أنْ غدا شهيدنا المفتاح الأوَّل لحلِّ مشكلات مدينة رفح الاجتماعيَّة منها والتَّنظيمية، وحقن من الدِّماء الكثير.

فقِه القائدُ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9)، فكان شديد الإيثار، وقد دفعته الرَّغبة الشَّديدة في الإيثار للتَّفكير بتسمية ابنته الأولى إيثار، لكنَّه عدَلَ عن ذلك الاسم؛ لصعوبة نطقه، وغرابته اجتماعيّاً، فسمَّاها رُبى.

صافحاً عفوًا

في غمْرة تغوّل السُّلطة الفلسطينيَّة الذي كان يفضي إلى اعتقال المجاهدين، قبع القائدان محمَّد أبو شمَّالة ورائد العطَّار في المعتقل، وأحضر ضابط التَّحقيق شخصاً يشهد زوراً وبهتاناً على اتِّهاماتٍ الصِقت بهما، الأمر الذي أدَّى إلى سجْن القائدين ثلاث سنوات ظلماً وجوراً، وما أنْ خرجا من السِّجْن بعد قضاء الثَّلاثة أعوام، حتَّى لاحت فرصة الانتقام من هذا الشَّخص، وأصبح مِلْكَ يدي أبو خليل، ولكنَّه لم يثأر لنفسه، بل عفا عنه وسامحه، فكان نِعْم المثال في العفْو عند المقدرة.



القائدان / رائد العطار ومحمد أبو شمالة

محسِن الظَّنِّ باللَّه، مُتَوِّكلاً عليه

كان القائد أبو خليل أبو شمالة على صلةٍ وثيقة باللَّه تعالى في جميع أفعاله وأقواله، وحِلّه وترحاله، وقد كان حَسَنَ الظَّنِّ باللَّه، مُسَلِّمَ الأمر كلِّه له، مؤمناً أن الله لا يُقدِّر إلَّا الخير وإنْ كان ظاهر الأمر خلاف ذلك، فذات مرةٍ عندما كانت طائرات العدوِّ تُحلِّق في الأجواء بكثافة، فزِعت زوجُ القائد أبي خليل وأبناؤه عليه، إلَّا أنَّه قال لهم بصوت المطمئن: "لقد قرأتُ أذكار الصَّباح والمساء، وإنْ شاء الله لن يحدث إلَّا الخيرُ الذي كتبه الله لنا".

وبعد استشهاد الشَّيخ القائد صلاح شحادة[1] حلق الطَّيران الصُّهيونيُّ من طراز (F16) فوق بيت أبي خليل في مخيَّم يِبْنا، فاقترحتْ عليه أمُّه وزوجُه أن يخرج من البيت متخفياً بزي امرأة خشية الاستهداف، فرفض الخروج بلباس امرأةٍ وقال: "سأُكمل صلاتي وبعدها سأخرج، فإنْ كان لي عمرٌ فسوف أعيشه"، وبقي في البيت حتَّى انتهى من أداء صلاة العصر، واحتشد أهل الحيِّ حول البيت؛ لحمايته من القصف، فاغتنم أبو خليل فرصة اجتماع النَّاس وغادر البيت بهدوءٍ وسكينةٍ مع الحذر.



القائد الشهيد / صلاح شحادة

(1) **صلاح الدين مصطفى علي شحادة:** "يُكنىّ بأبي مصطفى" مؤسس الجهاز العسكري الأول لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" والذي عرف باسم "المجاهدون الفلسطينين" ومع بداية انتفاضة الأقصى كُلف بقيادة الجهاز العسكري لحماس "كتائب الشهيد عز الدين القسام"، يرجع أصله لمدينة يافا المحتلة، اعتقله الاحتلال عام **1984** وخرج عام **1986**، ثم اعتقله عام **1988** وخرج عام **2000** بعد اعتقال دام **12** عاماً، صنفته أجهزة الأمن والجيش والاستخبارات الصهيونية المطلوب رقم "**1**" منذ عام **2001**م حتى عام **2002**م، استشهد القائد العام لكتائب عز الدين القسام، في **23** يوليو **2002**م بقنبلة تزن طناً ألقيت علي بناية في حي الدرج بمدينة غزَّة، مما أدى إلى استشهاد **18** فلسطينياً بينهم القائد زاهر نصار، وثمانية أطفال.

أميناً على الحقوق

آمن القائدُ كاملَ الإيمان بعِظمِ الأمانة، وفقه وِزْر التَّفريط بها، فقد حرص على إخبار زوجِه بكلِّ ما هو ليس له؛ لتردَّه إلى أصحابه بعد استشهاده، فلطالما أعلمها أنَّ: "هذا المبلغ ليس لنا، وأنَّ هذا أمانةٌ لفلان، وهذا الشَّيء ليس لي، رُدِّيه لفلان"، ولشدَّة حرصه على أداء الحقوق إلى أصحابها، وعدم اختلاط مال المقاومة بماله الشَّخصي؛ كان يُخصِّص أماكن لوضع مال الجهاد فيها بعيدة عن أيَّة أموالٍ أخرى، ولشدَّةورعه، أوصى زوجَه بأنْ تردَّ سلاحه الشَّخصيَّ لكتائب الشهيد عز الدين القسَّام بعد استشهاده.

متواضعاً وقوراً

من أجمل ما اتصِّف به القائد قُرْبه من الخاصَّة والعامَّة على حدٍّ سواء، لأن ذلك خلق رفيع يتصف به القادة الشجعان حينما يتجاوزون الأنا ويتعاملون مع كافة المستويات بتواضع لا يخل بمكانتهم، ويحفظ عليهم وقارهم، ولكنهم في نفس الوقت يحترومن انسانية الانسان.

فقد حل أحد الوزراء ضيفاً على أبي خليل، فما أنْ حضر العشاء حتَّى جمع كامل مرافقي الوزير تضمُّهم مائدة العشاء معاً، بل وتوسَّط جالساً بينهم؛ في مجلسه لا تكاد تُميِّز الشَّخصيَّة البارزة من مرافقها، وإذا أراد أنْ يستقلَّ السَّيَّارة يجلس حيث اتسع المكان، ولا يسمح لأحدٍ أن يغادر محلّ جلوسه ليكون محلّه.

تشّرف بخدمة إخوانه بتواضع جم، فقد أوقد، وطبخ، ونظَّف، ولم تُثْنه عن ذلك رتبةٌ عسكريَّةٌ أو شيبةُ وقار، يسأل الجميع ويشاركهم الرَّأي في أيِّ صنيعٍ، كبيراً كان أم صغيراً.

غوث المتعفِّفين

تزيَّنت أخلاقه الدَّمِثة بالجود والكرم الذي يرقى به الرَّجال، فقد حرص أبو خليل أيَّما حرصٍ على تفقُّد وتحسُّس العامَّة، مهتماً بذوي الفقر والحاجات،

حتَّى قدَّم من المساعدات للمساكين والمحتاجين، وتكفَّل بإغاثة بعض الأسر بضع سنين .

وتقول زوجُه: ذهبتُ في أحد الأيَّام بعد معركة العصف المأكول واستشهاد أبي خليل إلى منزلنا الذي قصفه الاحتلال الصّهيونيّ في تلك المعركة، وهو المنزل الرَّابع الذي يُقصف لنا، ولم نكن قد سكنَّا فيه سوى شهرين، لعلِّي أجد أيَّ أثرٍ من ملابس أبي خليل أحتفظ بها للذِّكرى، فأخبرتْني إحدى جاراتنا بأنَّ أبا خليل كان قد ساعد ابن أختها في إجراء عمليَّة جراحيَّة، وبعد نجاح العمليَّة، ساعده في تكاليف الزَّواج، وبذلك أسهم في تأسيس أسرةٍ مسلمة، ثمَّ أعطتْني قميصاً لأبي خليل كان قد وصل منزلهم جرَّاء شدَّة القصف، وذات يوم طرقتْ بابَ منزلي امرأةٌ عجوزٌ لا أعرفها، وأخبرتْني أنَّ أبا خليل وأبا أيمن العطَّار كانا بعد الله المعين لها، فقد تكفَّلا بمصاريف علاجها ومساعدتها لإجراء عمليَّة جراحيَّة بالقلب في مستشفيات نابلس، وكانا يتفقدانها على مدار العام.

سارع أبو خليل في إشعال نور الحياة الذي انطفأ في بيوت عديدة؛ فكان سبباً في علاج مشكلةِ عدم الإنجاب لدى كثيرٍ من الأسر، وتذكر زوجُه أنَّه عقب استشهاده -رحمه الله- جاءت إحدى الأخوات، تحمل معها طبقاً من الحلوى؛ تعبيراً عن امتنانها، فقد رُزقت بتوأمين بعد مرور اثني عشر عاماً من محاولة الإنجاب، وكان (أبو خليل) عوناً أساسياً في تكاليف العلاج.

ومع مطلع عام 2012م، شارك القائد أبو خليل في تشييد بيتين لعائلتين كانتا قد افترشتا الأرض والتحفتا السماء، حيث لا مأوى ولا سكن، وقرَّر أنْ يكتب تاريخ انتهاء مأساة هاتين العائلتين وقال: "يجب أنْ يكون تشييد البيتين بالباطون وعلى أسسٍ جيِّدة، بحيث يتم حلُّ مشكلة هاتين الأسرتين نهائيّاً". وفي المضمار ذاته شارك في شراء بيتٍ يضمُّ إحدى العوائل الفقيرة المكوَّنة من ثمانية أفراد، والتي كانت تقطن في غرفةٍ واحدة، فكان أبو خليل رائداً في العطاء، محبَّاً للخير، لا يردُّ طالباً أو ينهرْ سائلاً.

إقدامُ الشُّجاع


القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

تشكَّلت ملامح الجرأة والشجاعة لدى القائد أبي خليل منذ نعومة أظفاره، وتَرجمت مواقفُه إقدَامه، وقد سجَّلت أيَّام انتفاضة الحجارة عام 1987م ارتقاء الشَّهيد محمَّد الحجَّاج في غمرة أحداثٍ متصاعدة، ورفْض الاحتلال الصُّهيونيّ خروج الجماهير الفلسطينيَّة في جنازة تشييع جثمانه الطَّاهر، بل ورفض تسليم جثمانه في بادئ الأمر، فقد انتظر العدوُّ الصُّهيونيُّ حتَّى جنَّ الليل فسمح بخروج ستَّة أشخاصٍ فقط؛ ليدفنوه، فكان أبو خليل واحداً من هؤلاء النَّفر القليل، وفي تمام السَّاعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت ساعة دفن الشَّهيد، فخرجوا به يتوسَّطون جنود الاحتلال الصُّهيوني، حينها تربَّص أبو خليل بأحد جنود الاحتلال؛ للثَّأر لصديقه الشَّهيد محمَّد الحجَّاج، وأراد خطف سلاحه، غير أنَّ الشَّباب المشاركين تنبَّهوا لمحاولته واستدركوا الأمر، فمنعوه.

وقد برزت هيبة أبي خليل حينما خرج ملثَّماً يلقي بيان كتائب القسَّام في حفل تأبين الاستشهادي القسَّامي أيمن راضي، وكذلك بيان الكتائب في حفل تأبين الشَّهيد إبراهيم سلامة، وفي ذكرى استشهاد القائد جميل وادي، وغير ذلك.

روح الدُّعابة والمرح

تحلَّى القائد أبو خليل بروحٍ مرحة، يُمازح هذا ويدَاعِب ذاك، تاركاً مواضع التَّجاذبات أو الخوض في أيِّ سِجال؛ تجنُّباً للخصومة أو الشَّحناء، فكثيراً ما تزيَّن حديثه بالمرح يُحيطه بغلاف الحُبِّ، يسامر جلساءه بطرائف يخلق بها أجواءَ السُّرور، فلا يملُّون مجلسه، حيث تغشاه الحكمة وتسكُنُه الفائدة ويسوده المرح.

تقول شقيقته أمُّ العبد: في أحد الأيَّام، ذهبت مع أطفالي لزيارةِ بيت العائلة، وكان أبو خليل موجوداً، فسألتْه ابنتي التي لم تبلغ السَّابعة من عمرها: كيف تصنعون هذه القنابل؟، فردَّ عليها مازحاً: "نُحضر كمِّيَّةً كبيرةً من الفلفل الأسود، وكمِّيَّةً مثلها من الكمُّون ونضيف عليهما بعضاً من الملح، ونقوم بلفِّها في ورق سلفان، فتصبح قنبلة".

الحياة الاجتماعية

تزوَّج القائد محمَّد أبو شمَّالة في 2 نوفمبر عام 2001م، من السيدة فريال حسن نمر النَّملة، وقد تقدَّم لخِطبتها أوَّل مرَّةٍ عام 1998م، وكانت آنذاك طالبةً في الصَّفِّ العاشر الأساسي، ولسمعته الطَّيِّبة وحُسْن أخلاقه، لم تتردَّد أسرتُها في الموافقة عليه، رغم علمهم بانتمائه التَّنظيمي وعمله العسكري، وأنَّه مطارِدٌ(1) لجيش الاحتلال الصُّهيوني.

شاء الله سبحانه وتعالى أنْ يتعرَّض القائد أبي خليل للاعتقال من أجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة عام 1998م، وبرفقته القائد رائد العطَّار؛ على خلفيَّة اتِّهامهما ظلماً بقضيَّة مقتل النَّقيب رفعت جودة، وقد حُكم عليه بالسَّجن مدة 25 عاماً، بينما حُكم على رفيق دربه العطَّار بالإعدام، ومع اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م، خرج القائد محمَّد أبو شمَّالة من السِّجن، وتقدَّم لخِطبة فريال من جديد وتزوَّجها، وكانت في ذلك الوقت طالبة مستوى أول بقسم علم النَّفس في الجامعة الإسلاميَّة.

مرَّت أيَّام وأشهُر حياتِهما السَّعيدة، وأنجبا خلالها سبعةً من الأولاد: سِتُّ بناتٍ، وابناً واحداً، وهم على التَّرتيب: رُبا، وآية، ونور، وعبد الله، وحنان، وأسماء، وهدى التي أسماها تيمُّناً بوالدته وبَرَّاً بها، وحبَّاً لها، تقول زوجُ القائد بعيونٍ مليئةٍ بالدُّموع، وبقلبٍ مليءٍ بحُرْقة الفراق".

---

(1) مُطارِد: جرت العادة أن يُطلق على الشبان المطلوبين للاعتقال من قوات الاحتلال مصطلح "المطارَدين"، لكن حقيقة الأمر، أنهم كانوا "مطارِدين" فجنود الاحتلال كانوا مطلوبين، وهدفاً لهم؛ لأنهم كانوا يطاردونهم في أزقة وشوارع وبيارات قطاع غزَّة.

تعجز الكلمات عن وصف القائد أبو خليل، وعن وصف أخلاقه الحسنة في تعامله معي ومع أولاده، فهو الزَّوج الهادئ والمُحبُّ، وكريم الأخلاق.

كثيراً ما تناوَب مع زوجِه على السَّهر ليلاً في حال مرض أحد الأبناء، وأمَّا عن برد الشِّتاء القارس، فتقول زوجُه: كان ينقل فراش نوم أبنائه إلى غرفته، وطوال الوقت يكون قريباً منهم يلتمس حالهم، فيضع يده بالقرب من أنف الواحد منهم؛ ليستشعر زفيره إنْ كان بارداً أم دافئاً، فيعلم أنَّ الطِّفل يشعر بالدِّفء أو البرد، فكان يتحسَّس أطرافهم، ورؤوسهم، فيزيد أغطيتهم، خاصَّةً عند قيامه لصلاة قيام الليل أو صلاة الفجر.



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

ففي إحدى ليالي منخفضٍ جوِّي، استيقظتُ على صوت حركةٍ خفيفةٍ في الغرفة، فوجدتُ أبا خليل يلبس الأبرهول العسكري[1]، ففزِعْتُ، وسألتُه: "هل هناك تصعيد، طيران، إلخ...؟، فضحك منِّي، وقال لي: اهدئي، لا يوجد شيء، أريد أن أصلِّي قيام الليل".

تقول زوجُه: في الرَّابع عشر من نوفمبر عام 2012م، كان عندنا في المنزل مجموعةٌ من قادة كتائب القسَّام رفاق أبي خليل، في زيارةٍ ليهنِّئوه بسلامة العودة من بلاد الحرمين الشَّريفيْن بعد أداء فريضة الحجِّ، وأثناء وجودهم سمعتُ نبأ اغتيال القائد أحمد الجعبري عبر وسائل الإعلام، فتوجَّهت مسرعةً لإخباره، وقبل أنْ أُكمل كلامي طلب

(1) **الأبرهول العسكري**: رداء سميك، يرتدى قطعة واحدة من القدمين إلى قبعة الرأس، وهو مبطّنٌ من الداخل ليقي من البرد، وقماشته الخارجية من النايلون الذي يقي من المطر، يرتديه المجاهدون في ليالي البرد الشديد، ليساعدهم على تحمل البرد والمطر.

من جميع مَنْ في المنزل المغادرة بسرعة، وبقي قريباً من المنزل يُراقبنا، وعندما شاهَدَنا قد خرجْنا من المنزل بسلامٍ غادرَ المنطقة".

تربيته لأبنائه

نشأ أبو خليل في بيئة المخيَّم، وقد ترعرع يتيماً، ثم مجاهداً عسكريّاً، ظروفٌ شكّلت شخصيَّة القائد لتصقلها وتجعل منه أُنموذجاً للأب الحنون، والقدوة الحسنة لأبنائه، يربِّيهم على مبادئ الإسلام العظيم.

فقد حرص على انتقاء أسماء الأبناء، واختار لهم أسماءً يتشرَّف بها كلُّ مسلم، وكانت جُلُّ ذرِّيَّته من البنات، ولم يكن له إلَّا ابنٌ واحدٌ اسمه عبد الله، ولقد كان يتمنَّى من الله أن يُرزق بابنين؛ ليسمِّيهما أبو بكر، وعمر.

الأُسُس التي ربَّى عليها أبناءه

تعدَّدت الأُسُس وتنوَّعت الأساليب المنوط بها تشكيلُ جيلٍ ربَّانيٍّ يحمل همَّ الدِّين والوطن، فكان من جملة هذه الأُسُس:

القدوة الحسنة

حرَصَ القائد أبو خليل على تعليم أبنائه الصَّلاة عن عمر سبعة أعوام، لحديث الرَّسول ﷺ "مُروا أولادَكم بالصَّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين"، فكان حريصاً أشدَّ الحرْص على التزامهم بها إذا بلغوا عشراً، وإذا ما اضطُرَّ كان يضربهم لتقصيرهم في الصَّلاة؛ لإشعارهم بالتَّقصير في حقِّ الله عزَّ وجلَّ، وكان أبو خليل يُمثِّل القدوة الحسنة لأبنائه، فكثيراً ما كان يُصلِّي بهم جماعة؛ ليعلِّمهم كيفيَّة الصَّلاة الصَّحيحة، ولإيمانه بأنَّ التَّربية بالقدوة أنجح الأساليب.



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة مع ابنه

الصِّدق

كان من أُولى الأُسُس الَّتي ربَّى عليها أبنائه الصِّدق، والبُعد عن الكذب. فكان كثيراً ما يوصي ابنه عبد الله بالصِّدق، مهما كانت العواقب، وعدم الكذب؛ لأنَّه بوَّابةٌ لكلِّ المعاصي، والمؤمن لا يكذب مطلقّاً.

بِرُّ الوالدين

كان القائد أبو خليل يحرص على بِرِّ أبنائه بأمِّهم؛ لأنَّه كان يشعر بأنَّه سيُغادرهم يوماً ما، فكثيراً ما كان يطلب من ابنه عبد الله أن يُحبَّ أمَّه أكثر من حبِّه له، فقد كان عبد الله شديد الحُبِّ والتَّعلُّق بأبيه، خاصَّةً أنَّه لم يكن يراه طويلاً؛ لانشغاله عنهم في ميادين الجهاد والمقاومة.

حفظ كتاب الله

كثيراً ما كان يتمنَّى أنْ يحفظ أبناؤه كتابَ الله، وبسبب تنقُّلهم المستمرِّ من منزلٍ إلى آخر؛ لم يكن بإمكانهم الانتظام بمراكز التَّحفيظ، إلَّا أنَّ زوجَه ألحقتْهم جميعاً بمراكز التَّحفيظ بعد استشهاد والدهم، واستقرارهم؛ تحقيقاً لرغبة والدهم، وتقول لهم: "من يُحبُّ والده ويرغب في الحصول على رضا الله، ورضا والده، فليحفظ القرآن".

التَّرويح عنهم

حرص القائد على قضاء أوقات الفراغ مع أبنائه، والتَّرويح عنهم، لا سيَّما في الإجازة الصَّيفيَّة، بما لا يُخِلُّ بواقعه الأمني، فكان أحياناً يصحبهم إلى المطعم، وإلى شاطئ البحر، وإلى مدينة الألعاب -الملاهي-، يصعد معهم الألعاب أحياناً؛ ليُدخل الفرحة والبهجة على قلوبهم، وأثناء معركة العصف المأكول كان قد وعدهم أنْ يحجز لهم استراحةً على شاطئ البحر؛ ليقضوا يوماً ممتعاً فيها بعد انتهاء العدوان، إنْ أبقاه الله بينهم.

حِرْصُه على التَّميُّز والارتقاء

حرص على تشجيع أبنائه على التَّفوُّق والتَّميُّز، وعلى تنمية مواهبهم وقدراتهم، فتقول ابنته الكبرى رُبى: لقد وعدني والدي وأنا طالبةٌ في الصَّفِّ الخامس الإبتدائي إنْ حصلتُ على المرتبة الأولى أنْ يصحبني معه لأداء العمرة في شهر رمضان، وبالفعل درسْتُ واجتهدتُ وحصلتُ على المرتبة الأولى في ذلك العام، إلَّا أنَّ معركة العصف المأكول بدأت، واستشهد والدي قبل أن نذهب إلى العمرة.

ومن الأمثلة التي تُدلِّل على اهتمامه بتنمية ثقافة أبنائه، قوْل زوجِه: كان دائماً ما يجلس مع ابنته رُبى، ويُجري معها مطارحةً شعريَّة؛ ليُشجِّعها على حفظ المزيد من الأبيات، وعندما كان يسمع منها بيتاً جديداً كان يُثني عليها، ويُردِّد البيت مرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ ليحفظه.

أمَّا رُبى فقالت: "كان والدي دائماً يُحفِّظني الشِّعر، وأكثر بيتٍ كان يمازحني به:

ربابة ربَّة البيت تصبُّ الخلَّ في الزَّيت.

أمَّا ابنته نور –التي كان يُدلِّلها بلقب الملكة نور–، فقد كانت تُحبُّ حفظ الأمثال الشَّعبيَّة، فكان يختار لها حرفاً معيَّناً، ويطلب منها أنْ تذكر له مثلاً شعبياً يبدأ بذلك الحرف؛ تشجيعاً لها على حفظ الأمثال الشَّعبيَّة".

ومن مواقفه الطَّريفة مع الأبناء خلال مدة الامتحانات، تقول زوجُه: "في إحدى المرَّات كنت أُدرِّس ابني عبد الله لامتحان التَّربية الإسلاميَّة، وطلبتُ من أبي خليل أن يُسمِّع له إحدى السُّوَر؛ حتَّى أتوضَّأ وأصلِّي، ولكنِّي ما أنْ توضَّأتُ وذهبْتُ لأصلِّي، حتَّى وجدتُ أبا خليل يلعب بالكُرَة مع عبد الله، فقلتُ له: لقد طلبتُ منك أنْ تُراجع للولد، وأنت تلعب معه؟!، فقال لي: "يا بنت الحلال، أنتِ جعلْتِ البيتَ في حالة استنفار، أنا مش عارف لمَّا يصير الولد في توجيهي ايش حتعملي فينا؟!".

أمَّا عن سعادته الكبيرة يوم استلام أولاده الشِّهادات، فتقول زوجُه: "كان يشتري الحلويَّات والشُّوكولاتة للمعلِّمات شكراً وتقديراً لهنَّ، ويشتري لنا أيضاً الحلويَّات والهدايا، لكنَّه كان يُهنِّئني أوَّلاً بنجاح الأبناء، ويُحضر لي هديَّة، ويقول لي " مبارك عليكِ النجاح، فلولا جهودُك معهم ما كان نجاحهم بتميُّز، وبعدها يُحضر الهدايا لهم".

علاقته بأهله وجيرانه

ما كان القائد ليُقصِّر في حقِّ أمِّه التي ربَّته وإخوته، فأمُّ خليل – أمُّ القائد محمَّد – المرأة المجاهدة الصَّابرة على صعوبات الحياة، وعلى مسؤوليَّاتها العظيمة تجاه أبنائها، وجدت كُلَّ البِرِّ والحُبِّ والتَّقدير من ابنها محمَّد، فلقد كانت تخاف كثيراً عليه، وبسبب انشغاله بالعمل الجهادي معظم الوقت؛ لم يكن يجتمع مع أمِّه وإخوانه وأخواته على مائدة طعام؛ لذلك كانت أمُّه تُلقِّبه بالمَنْسِيّ.


القائد الشهيد / محمد أبو شمالة مع والدته

كان دائماً يشتري لأمِّه المأكولات التي تُحبُّها دون أنْ تطلب منه ذلك، ورغم صعوبة عمله، وسرِّيَّة تحرُّكاته، إلَّا أنَّه لم يكن يتوانى عن زيارتها، خاصَّةً في مرضها الأخير، وإنْ كانت مواعيد زياراته تتناسب وظروفه الأمنية، فأحياناً يزورها في منتصف الليل، وأحياناً عند الفجر، وكان يزورها كلَّ يومٍ رغم أنَّها كانت في غيبوبةٍ؛ من أجل أنْ يقرأ القرآن عليها، ولم تمنعه الظُّروف الصَّعبة، وعندما كان لا يستطيع القدوم لزيارتها كان يُرسل زوجَه.

وفي نزعها الأخير طلبتْ رؤيَته، فحضر ملبِّياً، فاكتحلتْ عيناها برؤيته، ثمَّ فارقت الحياة في 2 ديسمبر عام 2010م، في مخيَّم رفح للاجئين الفلسطينيِّين.

أمَّا عن دعائه لوالديْه بعد وفاتهما، فقد تجسَّد فيه حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"، فكان يدعو لوالديه في كلِّ صلاة. تقول زوجُه: خلال ثلاث عشرة سنةٍ قضيْتُها مع زوجي، لا أذكر يوماً واحداً أنَّه صلَّى الفجر أو قيام الليل، دون أن يدعو لوالدَيْه، فرغم أنَّ والده توفِّي وعمره ثلاث سنوات، إلَّا أنَّه لم ينساه من دعائه، كما أنَّه كان يُكثر من الصَّدقات على أرواحهما، وكان يجتهد دوماً أنْ يذهب لزيارة قبر أمِّه، ويصطحب معه أبنائه.

تعدَّدت مهمَّاته ومناصبه العسكريَّة، وامتلأ وقته بهموم الوطن، إلَّا أنَّ ذلك كلَّه لم يُثنِه عن التَّواصل مع إخوانه، وأخواته بِرَّاً بهنَّ، وحُبَّاً لهن، وتعويضاً لهنَّ عن فقدان الأم، وقبل وفاة والدته كان يحرص على حضور اجتماع العائلة (إخوانه وأخواته وأبناؤهم) في منزل والدته، حيث كان يعيشُ فيه إخوانُه، وكان يصطحب معه أبناءه؛ لحرصه الشَّديد على توثيق علاقتهم مع أعمامهم وعمَّاتهم وباقي العائلة، وبعد وفاة والدته، قصفتْ طائرات الاحتلال منزل العائلة، وأصبح الاجتماع الأسبوعي للعائلة في بيت أخيه الأكبر خليل أبو البهاء، وكان يحرص على الحضور ما أمكن؛ للالتقاء بإخوانه وأخواته وأبنائهم، أمَّا باقي أفراد العائلة من الأقربين، فكان يحرص على مشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، بما يسمح به وقتُه.

ورغم ظروفه الأمنيَّة الصَّعبة؛ إلَّا أنَّه كان حريصاً على زيارة جميع أرحامه، أخواته، وإخوانه، وأعمامه، وخالته، وأبناء خالته، وأقربائه، فقد كان يُداوم على زيارة حتَّى البعيد منهم، كان في أيَّام العيد يحرص على الذَّهاب مع إخوته لزيارة أرحامه، حتَّى أنَّ كبير عائلة أبو شمَّالة الدُّكتور فايز قال له عندما رآه في جولةٍ عائليَّةٍ مع إخوته وفي سيَّارةٍ واحدةٍ في أحد أيَّام عيد الأضحى المبارك: "إنَّني أخشى عليك أنْ تخرج بمثل هذا العدد من إخوتك في سيَّارةٍ واحدةٍ في هذا الوقت"، فردَّ عليه أبو خليل قائلاً: "نحن دائماً متوكِّلون على الله، والله هو الحافظ".

تقول خالته ندى (أمُّ سعيد): "كان محمَّد يُحبُّ أقرباءه وأرحامه كثيراً، يزورهم ويُحبُّهم بلا استثناء، وفي كلِّ عيدٍ يزورني مع إخوانه ويُقدِّم لي المعايدة، فكانت علاقته بأرحامه قويَّةً ومتينة، وذلك يعود إلى شخصيَّته المتَّزنة، التي يغلب عليها طابَع التَّسامح والحُبِّ".

تواصله مع أهله في خِضَمِّ العدوان حتَّى ارتقائه إلى الجنان

ذكرتْ زوجة القائد محمَّد أبو شمَّالة حول تواصلها مع زوجها أثناء العدوان على قطاع غزَّة قائلة: خلال معركة العصف المأكول عام 2014م، كان التَّواصل مع أبي خليل صعباً ومحدوداً جدَّاً، فقد كان الأمر مقتصراً على تبادل بضع رسائل ورقيَّة أطمئنُّ من خلالها عليه، وفي الوقت نفسه يطمئنُّ هو عليَّ وعلى أبنائه وأفراد عائلته في هذه الحرب المسعورة، وقد حرصتُ والأبناء خلال أيَّام الحرب على التَّقليل من الخروج أو الحركة؛ لأنَّني كُنتُ على يقين بأنَّني مراقَبةٌ في كلِّ حركةٍ أقوم بها، فكنتُ أخشى أنْ أزور أيَّ بيتٍ من بيوت أقاربي؛ كي لا يعتقد الاحتلالُ أنَّ أبا خليل موجودٌ في ذلك البيت فيقصفه، فأُلحق الضَّرر بالآخرين.

كانت الأوضاع الأمنيَّة في المعركة خطرة، إلَّا أنَّه ربما شعر بقُرْب لقاء ربِّه؛ فاستغلَّ وجود تهدئة، فأرسل لزوجِه يطلب قدومها وجميع الأبناء لرؤيتهم والاطمئنان عليهم.

تقول ابنته الكبرى رُبا: بدأتْ أُمِّي تُجهِّز طعاماً لأبي، فذهبتُ لأساعدها، وكنت نشيطةً جدَّاً؛ لأنَّني كنت أُعِدُّ طعاماً سيأكل منه أبي، ثمَّ ذهبنا لمقابلته، وخلال اللقاء أخذ يُواسي زوجَه لقصف منزلهم، ومبشِّراً إيَّاها بقَصْرٍ في الجنَّة إنْ شاء الله عوضاً عنه، ويُوصيها بالأبناء خيراً، وأعلمها أنَّها دوماً عند حُسْن ظنِّه بها، فهي دوماً على درجةٍ عاليةٍ من المسؤوليَّة، وهو راضٍ عنها.

أمَّا ابنه الوحيد عبد الله الذي لم يتجاوز الثَّمانية أعوام، فما إنْ شاهد والدَه حتَّى تعلَّق في رقبته وقبَّل جبينه، قائلاً له: "كي تتذكَّرني بهذه القُبْلة دوماً".

أمَّا هو فكأيِّ أبٍ يُحبُّ أبناءه، ويتمنَّى أنْ يُسعدهم دوماً، وَعَدَ عبد الله بعد انتهاء الحرب بأنْ يصحبه معه ويجعلَه يتدرَّب على إطلاق النَّار، أمَّا البنات، فقد وعدَهنَّ بأنْ يأخذْهنَّ في رحلةٍ بحريَّة كما قام بإعطائهم العيدية حتَّى الطِّفلة الصَّغيرة ذات العامين، لأنَّ العيد كان قد اقترب، ويمكن ألَّا يُقابلهم يومَ العيد.

وبطبيعته المرِحة، أخذ يُداعب أبناءه، ويُغنِّي لهم كعادته، ليكون هذا اللقاء آخر لقاء بهم في الحياة الدُّنيا، غادر أبو خليل المكان الذي تمَّ فيه اللقاء، وبعدها غادرت الزَّوجة والأبناء، لترتقي بعدها روح القائد محمَّد أبو شمَّالة، وبرفقته القائد رائد العطَّار، ومحمَّد برهوم فجر يوم الخميس 21 أغسطس 2014م، الموافق 25 شوال 1435هـ، ومنذ ذلك اليوم ينتظر أهله اللقاءَ القادم بينهم -بإذن الله- في جنَّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرض.

المبحث الثاني

القائد رائد العطّار (أبو أيمن)

ميلاده ونشأته

الميلاد والنَّشأة



القائد / رائد العطار

وُلد القائد القسَّامي رائد صبحي أحمد عبد الرَّحيم العطَّار في 1 مايو 1974م في أسرةٍ فلسطينيَّةٍ هُجِّرت من بلدة "يبْنا[1]" عام 1948م، واستقرَّت في مخيَّم (يبْنا) للاجئين بمدينة رفح، تُوفِّي والده عام 1981م، وعمره لم يتجاوز وقتها سبع سنوات، تاركاً خلفه ثمانية عشر فرداً من البنين والبنات، كان رائد أصغرهم جميعاً. منهم ثلاثة إخوة، وسبع أخوات من أمِّه وأبيه، وخمسة إخوة وأختان من أبيه، فقد كان والده متزوِّجاً من امرأةٍ أخرى قبل زواجه من والدته.

الكنية واللقب

كانت للشهيد القائد رائد العطَّار كُنْيتان، هما: (أبو أيمن، وأبو أشرف):

- أبو أيمن: كنّى القائدُ نفسَه "أبو أيمن"؛ نسبةً إلى صديقه الشَّهيد أيمن برهوم[2]، حباً له، حيث ارتقى شهيداً في معتقل النَّقب الصَّحراوي في الانتفاضة الأولى عام 1987م، فعندما حمَلت زوجُه للمرَّة الأولى، وعرف أنَّ الجنين ذكر قال: (سأُسمِّيه أيمن)، إلَّا أنَّ إرادة الله شاءت ألَّا يكتمل ذلك الحَمل، بعد أنْ داهمتْ أجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة منزلَه وعاثتْ فيه فساداً، وأرادتْ أنْ تأخذ سلاحه، إلَّا أنَّ زوجَه رفضت تسليمهم إيَّاه، وتعاركت معهم؛ ما أدَّى لفقدانها جنينها.

(1) يبنا: من أقدم القرى العربية في قضاء الرملة، وتقع إلى الجنوب الغربي منها، وتبعد 56كم عن غزَّة، و22 كم عن اللد، احتلها الصهاينة عام 1948م، وفي العام التالي دمَّروها، وأقاموا على أنقاضها البلدة الصُّهيونيّة (يفنة).

(2) أيمن إبراهيم محمَّد برهوم (1969-1993م): من شباب مسجد الهدى في حي يبنا في رفح، وقد اعتقل بتاريخ 25 نوفمبر 1992م، على خلفية المشاركة في مقاومة الاحتلال، واستشهد في معتقل النقب الصَّحراوي (أنصار3)، في 27 يناير 1993م؛ نتيجة الإهمال الطبي، وكان عمره في ذلك الوقت 20 عاماً، وقد شهدت رفح حداداً عاماً فور استشهاده.

- أبو أشرف: كُنِّي القائد رائد بهذه الكُنية حبَا ووفاءً لصديقه وعديله الشَّهيد القائد أشرف مطيع المعشَّر -أبو مسلمة-[1]، وتخليداً لذكراه سمَّى ابنه الأكبر، الذي رزقه الله إيَّاه بتاريخ 22 فبراير 2009م بهذا الاسم -أشرف-.



الشهيد / أشرف المعشر

الحياة التَّعليميَّة

التحق القائد رائد العطَّار "أبو أيمن" عام 1980م بمدرسة رفح الابتدائيَّة المشتركة (أ) التَّابعة لوكالة الغوث بمخيَّم يبْنا للاجئين الفلسطينيِّين، ثمَّ التحق بمدرسة ذكور رفح الإعدادية (أ) التَّابعة لوكالة الغوث الدَّوليَّة، ليلتحق بعدها بمدرسة بئر السَّبع الثَّانويَّة للبنين في مدينة رفح، حتَّى أنهى المرحلة الثَّانوية في عام 1991-1992م.



القائد الشهيد / رائد العطار بالمرحلة الثانوية

كان رائد طالباً متفوّقاً في دراسته، محبوباً من زملائه، فقد شهِد له بذلك أساتذته وكان منهم: الأستاذ محمَّد عوَّاد برهوم، والأستاذ محمَّد نافع الفرَّا، والأستاذ عبد الجواد شلايل، وغيرهم.

---

(1) أشرف مطيع محمود المعشر (1980-2006): -أبو مسلمة-: ولد بتاريخ 18 أكتوبر 1980م، لأسرة فلسطينية هُجِّرت من مدينة يافا، نشأ وترعرع مع أسرته بحي الجنينة بمدينة رفح، التحق بكتائب القسام منذ بداية انتفاضة الأقصى عام 2000م، وساهم في العديد من العمليات الجهادية، أهمها: حفر نفق تحت موقع ترميد بمحاذاة الشريط الحدودي القريب من بوابة صلاح الدين، والمشاركة في حفر نفق عمليَّة "محفوظة"، وحفر نفق عمليَّة المعبر المشتركة مع صقور فتح، كما شارك في حفر نفق عمليَّة الوهم المتبدد التي أدت إلى مقتل 4 صهاينة، وإصابة عدد منهم وأسر الجندي الصُّهيونيّ جلعاد شاليط، ثم ارتقى شهيداً، بتاريخ 18 أكتوبر 2006م خلال تصديه لتوغل قوة صهيونية خاصة قرب حي السلام المحاذي للشريط الحدودي لرفح.

وأثناء دراسته الإعداديَّة اشتعلت شرارة الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى انتفاضة الحجارة عام 1987م، فأصبح همّه اليومي مقارعة جيش الاحتلال الصُّهيوني، من خلال إلقاء الحجارة عليهم، والمشاركة في إغلاق الشَّوارع بالمتاريس؛ لمنع جيبّات الاحتلال من التَّنقُّل داخلها، وكان يوم حصوله على شهادة الثَّانويَّة العامَّة بتاريخ 27 سبتمبر 1992م، هو ذات اليَّوم الذي بدأت فيه مرحلةٌ جديدةٌ من حياته، حيث المطاردة، لتنتهي بذلك مسيرته التَّعليميَّة، وتبدأ حياته الجهاديَّة.

يتحدث ناصر العطّار شقيق القائد قائلاً: "نجح أخي رائد في الثَّانوية العامَّة التَّوجيهي، فرأيتُه يومها، وهنَّأتُه بنجاحِه وقلتُ له: "إن شاء الله تُكمل دراستك، وتلتحق بالجامعة"، فأجابني قائلاً: "هناك اعترافات عليَّ لدى الاحتلال الصُّهيونيّ، ولن أتمكّن من الالتحاق بالجامعة، ولن أُسلِّم نفسي، وسأنضمُّ للمطاردين".

الهوايات والاهتمامات

تعدَّدت هوايات القائد واهتماماته، فمنذ صغره كان يُحبُّ تربية الطُّيور واقتناءها، يقول شقيقه محمَّد: منذ صغره كان يُمارس هواية صيْد الطُّيور وتربيتها، فقد كان لرائد صقر أَلِفَ مرافقته، ودائماً ما كان يضعه على كتفه يرافقه المسير. واستمرَّت تلك الهواية ترافقه من مرحلة الفتوَّة إلى مرحلة الشَّباب، فتقول زوجُه أمُّ أيمن: كان يُحبُّ تربية الطُّيور بجميع أنواعها وأشكالها، فقد كان يُربِّي الحمام والعصافير.



القائد الشهيد / رائد العطار

ومن أبرز هوايات القائد أنَّه كان يُجيد طهْو السَّمك، فتقول زوجُه: كان يطهو السَّمك لنا في المنزل، وأحياناً كثيرة كان يُجهِّز أكلات سمكٍ خاصَّةً للشَّباب المرابطين، ولا يتردَّد أنْ يخبرهم أنَّه هو الذي طهاها لهم بنفسه.

طاعته وعبادته

تجسَّدت في روح التَّوأمين (محمَّد ورائد) التَّقوى، متمثِّلةً بقول الله تعالى: "اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِيْن"، فلا عجب أنْ يتشابه الخليلان في أخلاقهما، وكمْ هو عظيمٌ أنْ يتشابها ويتنافسا في طاعة الله ومرضاته.



القائدان / رائد العطار ومحمد أبو شمالة

كان كلٌّ من رائد العطّار، ومحمَّد أبو شمَّالة يحملان مصحفاً صغيراً في جيبهما، لا يُفارقهما أبداً، وكلاهما له وِرْدٌ يوميٌّ من القرآن الكريم، يُحبَّان قراءة القرآن بصوتٍ جهوري، محافظِين على صلاة الضُّحى إلى جانب الصَّلوات الخمس، وكأنَّها فريضةٌ من الفرائض، وكلاهما أيضاً لا ينام إلَّا على وضوء، وبعد أداء قسطه من قيام الليل.

كما حرص القائد رائد العطَّار على صيام يومي الاثنين والخميس من كلِّ أسبوع، وصيام ستَّة أيَّامٍ من شهر شوَّال، والأيَّام التِّسعة الأُوَل من شهر ذي الحِجَّة، ويوم عاشوراء، فاجتهد في أداء نوافل الصيام كافَّة.

رحلة الحج

أصابتْ دعوة أمِّ أيمن وتحقَّقت أمنيتها، بعد أنْ ألحَّت على الله بالدُّعاء بقلبها المخلص لله، المُحبِّ لزوجها، -أثناء أدائها فريضة الحج- ألَّا يقبض زوجها شهيداً إلى جواره إلَّا وقد أدّى الرُّكن الخامس من أركان الإسلام (رُكْن الحج)، سيَّما أنَّ زوجها كان دائماً يُذكِّرها بأنَّ نهاية طريقه ورحلته في هذه الحياة هي الشَّهادة في سبيل الله.

تقول زوجُه: أثناء رحلة الحج هاتفتُ أبا أيمن، وقلت له: إنَّني أدعو الله في كلِّ وقتٍ وحين أنْ يُكرمك بالحج، فردَّ عليَّ ممازحاً: "ما رأيكِ، هل أتزوَّج أم أحجُّ، فقلتُ

له: حُجَّ أوَّلاً، ثُمَّ تزوَّج إنْ شئتَ بعد ذلك، فردَّ ضاحكاً: والله الزَّواج أسهل من الحج، فردَّت: ليس على الله صعباً".

لم يُخيِّب الله حُسْن ظنِّها به، واستجاب لرجائها ودعائها، فأكرم زوجَها ورفيقيه في درب الجهاد القائدين محمَّد أبو شمَّالة، وأحمد الجعبري بالحج، عام 1433هـ - 2012م.



القادة الشهداء/ الجعبري وأبو شمالة والعطار

الصِّفات الشَّخصيَّة

حنان القلب

تميَّز القائد رائد العطَّار بقلبه الحنون؛ فهو الذي شمل الجميع بحبِّه وحنانه ورعايته، خاصَّةً أبناء القسَّام وأطفالهم، فحين استشهاد صديقه وعديله أشرف المعشَّر، الذي كان قد ترك ولده مسلمة ذا الثَّلاثة أشهر والنِّصف، تعهَّد أبو أيمن برعايته والاهتمام به من لحظة استشهاد والده وحتَّى استشهاده -رحمه الله-.

وربَّما طغى أحياناً حنانه وحبُّه لمسلمة على أمورٍ أخرى، فتقول زوجُه: ذات مرَّة كان مسلمة مريضاً، لدرجة أنَّه أُغمي عليه، فاتَّصلتُ بأبي أيمن وأخبرته بذلك، فما كان منه إلَّا وأنْ حضر فوراً، وأخذه للمشفى، وانتظر معه حتَّى انتهى الطَّبيب من علاجه، رغم خطورة الوضع الأمني، وقد تعلَّق مسلمة بأبي أيمن، ولا يزال يَبكيه أشدَّ البُكاء بعد استشهاده، فقد كان له بمنزلة الأب الحنون.

كان أبو أيمن يطلب من زوجِه زيارة زوجات الشُّهداء؛ لمُواساتهنَّ والاطمئنان عليهنَّ، وعلى أطفالهنَّ، وكان يتعامل مع أولئك الأطفال كأولاده تماماً، فلأنَّه ذاق مرارة اليُتم في طفولته، كان يُشفق على كُلِّ طفلٍ يتيم، ويتضايق جدّاً إذا رأى طفلاً يتيماً يبكي، أو علم أنَّه طلب شيئاً ولم يتمكَّن من الحصول عليه.

لقد كان في زيارته لأطفال الشَّهداء يوصي أبناءه -الذين كان يصحبهم معه أحياناً- بالاهتمام به، وحسن صحبته، قائلاً لهم: "إنَّ والده أفضل منِّي، فوالده ضحَّى بروحه من أجل فلسطين، وليس هناك ما هو أغلى وأعزُّ من الرُّوح".



القائد الشهيد / رائد العطار مع ابنه

وكان يرى أنَّ أشبال القسَّام كالنَّبتة الصَّغيرة، التي هي بحاجةٍ للاهتمام والرِّعاية، وكلَّما كان الاهتمام والرِّعاية أكبر، كانت الثِّمار أنضج وأفضل، فهم مَنْ سيكمل طريق الجهاد والمقاومة.

اليقظة والحذر

كان رائد القائد شديد الحذر في كلِّ أمور حياته؛ في تعامله مع الآخرين، وفي دخوله لبيته وخروجه منه، وكذا في اتِّصالاته، فكان يعتمد في كلِّ اتصالاته على الهاتف الأرضي، أو يرسل رسولاً يُبلِّغ ما يريد، وكان حذراً عند لمسه أيَّ شيء، ويوصي أهله بالحذر عند تلقِّي أيَّة هديَّةٍ من الآخرين.

كان لا يُحبذ استعمال المصعد الكهربائيّ في كثيرٍ من الأحيان؛ لدواعٍ أمنيَّة، كما رفض أن يرافقه حارسٌ شخصيٌّ ثابت للسَّبب ذاته، فقد يُعرَف مكانُه ويُستدلُّ على تنقُّلاته من خلال المرافق له، فقد كان شديد الحرص على أمنه الشَّخصي؛ لدرجة أنَّه لم يكن يمكث في المكان الواحد طويلاً، وكانت زياراته قصيرةً جداً.

ولقد اعترف جيش الاحتلال الصُّهيونيِّ بذلك في أحد تقاريره عنه قائلاً: "العطَّار المُكنَّى (أبو أيمن)، متزوِّج وله أبناء، لكنَّه كان يعيش (كالذِّئب) منفرداً، دون عنوان، هو شخصيَّةٌ مهمَّةٌ في حماس، لكنَّه كان مضطراً للاختباء؛ خوفاً من قتله، كلُّ ليلةٍ ينام في منطقةٍ مختلفة، وخلال ساعات النَّهار يمكث متخفياً؛ الأمر الذي يزيد من صعوبة متابعته، والقليلون يعرفون عن حياته، وكيف يمضي يومه، إنَّه ذكيٌّ جدَّاً،

ومُخادع، ومن الصَّعب تتبُّعه، إنَّه إنسانٌ سرِّيٌ جدّاً، وخطيرٌ جدّاً، ولا يطّلع أحدٌ على خططه، والقليلون هم الذين يحظوْن بلقائه؛ لأنَّه هدفٌ للتَّصفية والقتل".

كان يُغيّر طريقه باستمرار، فالطَّريق الذي يذهب منه لمكانٍ ما لا يعود منه، وإنْ اتَّصل عليه أحدٌ يطلب رؤيته لا يخبره بمكانه مطلقاً، بل يقول له: أنا سأحضر إليك، ويمكن أنْ يذهب إليه بعد ساعةٍ من الوقت أو أكثر، أو قد يتّصل عليه لاحقاً يطلب منه مقابلته في مكانٍ ما هو يُحدِّده له؛ وذلك حفاظاً على سرِّيَّة عمله، وأمنه الشَّخصي.

السماحة والصفح

اتَّصف القائد بسماحته وصَفحه، فقد فقِه قول رسول الله ﷺ: "ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلّا عزّاً، وما تواضع أحدٌ لله إلّا رفعه الله".

قضى سنواتٍ عدّةً من عمره في سجون السُّلطة الفلسطينيَّة، ذاق خلالها أشدَّ ألوان العذاب، إلّا أنَّه عفا عمَّن كانوا سبباً في ذلك وسامحهم بعد أنْ لاحت له فرصة الانتقام والثَّأر، وكان بمقدور قائدٍ مثله أن ينتقم لنفسه من أيِّ شخصٍ منهم كان، إلّا أنَّه تعامل بأخلاق الكبار بروحه العالية، فعفا عن الجميع، واحتسب ما تعرَّض له من الإيذاء في سبيل الله، ومدَّ يده إلى جميع أبناء الفصائل الفلسطينيَّة؛ ليتعاون معهم في عمليَّاتٍ مشتركةٍ ضدَّ الاحتلال الصُّهيوني، وذلك خلال انتفاضة الأقصى التي اندلعت عام 2000م، وما تلا ذلك من أحداث، حتَّى استشهاده رحمه الله.

جوادٌ كريم

حرص القائد على خبيئةٍ الصَّدقة بينه وبين الله، فكان عندما يحلُّ الليل يخرج قاصداً بيوت المعوزِّين، يلتمس حاجتهم، يطرق أبوابهم مُدخِلاً السُّرور إلى قلوبهم، فهذه إغاثةٌ عاجلة، وتلك مساعدةٌ طارئة، فقد أخفى ظلام الليل ملامح ذاك المتصدِّق، الذي يطوف بيوت الفقراء من المتعفِّفين، حتَّى شاهد الأقربون يمين أبي أيمن تمتدُّ بالعطاء بعد أن أخفى الصَّدقة وحاول جاهداً ألّا تعلم شماله ما أنفقت

يمينه، فقد خصَّص مبلغاً ماليَّاً من راتبه الشَّهري ليتصدَّق به على المحتاجين، وكان دائماً يترك مبلغاً من المال مع زوجِه قائلاً لها: إنْ طرَقَ الباب سائلٌ أكرميه ولا تردِّيه خائباً، حتَّى وإنْ كان كاذباً وليس بحاجةٍ لسؤال النَّاس أعطُوه، فنحن نُؤجَر بأعمالنا، وهو يُحاسَب على ما يأخذ دون حقٍّ يوم القيامة فكان لا يردُّ طالباً أو ينهر سائلاً.

ومن أبرز ما تحلى به القائد أبو أيمن من خصال الكرم والإحسان مساعدته لمتأخري الإنجاب، حيث تأخر القائد رائد العطَّار عن الإنجاب سبع سنوات؛ فرقَّ قلبُه، وازداد قُرْبُه من ربِّه أكثر، وشعر بأولئك المحرومين قبل أن يُكرمه الله بالبنين والبنات، وترك ذلك الأمرُ بالغ الأثر في نفسه وانعكس على حياته، فكان يُقدِّم المساعدة للناس عامَّة، ولمَن تأخروا عن الإنجاب خاصَّة، فقد كان يساعدهم في تكاليف عمليَّات الزِّراعة والعلاج، راجياً من الله أن يرزقهم أطفالاً ينفعون ذويهم والمسلمين وفلسطين.

جميل المظهر... عذْب الابتسامة

لم تقتصر صدقة القائد رائد على الأموال فحسب؛ فكثيراً ما كان ينثر صدقة الابتسامة تطرق قلبَ كلِّ مَنْ يشاهدُها، رافعاً شعارَه الدَّائم قوْل رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "تَبَسُّمُكَ في وجْه أخيْك صَدَقَة"، فكلما مر على جمعٍ أشهر في وجوههم ابتسامته المعهودة التي تحمل في طياتها وقار المجاهد وهيبة القائد، وكان رائد زاهداً متواضعاً رغم علوِّ مكانته وشأنه بين النَّاس، حريصا على أن يظهر أجمل ما لديه من حسن هندامه، منطلقا من فهمه العميق أن الزهد والجمال وردتين لا تناقض بينهما، متخذا الرَّسول الكريم قدوة له امتثالا لقوله ﷺ: "إنَّ الله جميلٌ يُحبُّ الجَمَال".



القائد الشهيد / رائد العطار

الحياة الاجتماعيَّة



القائد الشهيد / رائد العطار

قَدِمَتْ السيدة إيمان جبر عبد الرَّحيم الهمص مع أسرتها من دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة؛ لزيارة الأهل والأقرباء في قطاع غزَّة في صيف عام 1996م، بينما كان القائد رائد العطَّار معتقَلاً لدى أجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة.

ذهبت إيمان مع أمِّها وخالتها فتحيَّة -أمُّ رائد العطَّار- لزيارة ابن خالتها رائد في السِّجن، فعرضت عليه أمُّه أثناء الزِّيارة أنْ تخطبها له بعد خروجه من السِّجن، ومع أنَّه رآها لأوَّل مرَّة إلَّا أنَّه وافق، فما كان من خالته إلَّا أنْ ردَّت قائلة: "إنْ أعطاني الله عُمراً، فهي لك بعد خروجك من السِّجن".

حينها ببالغ الدَّهشة سألتْ إيمان أمَّها: "كيف توافقين على تزويجي له بهذه السُّرعة؟!، وأنت لا تعرفينه جيِّداً؟! ألا يحتاج الأمر تفكيراً؟!"، فردَّت عليها أمُّها قائلة: "الشَّابُّ الذي مثل رائد الواحد يعطيه دون أنْ يُفكِّر"، فردَّت عليها ابنتُها قائلة: "لأنَّه ابنُ أختك؟!"، فأجابتْها: "لا، ولكن لالتزامه بالدِّين، ولأخلاقه الحسنة، ألم تلاحظي حياءَه؟!".



القائد الشهيد / رائد العطار

ومع كونها الفتاة المدلَّلة لأهلها، والتي نشأتْ في دولة الإمارات حيث الهدوء، والأمان، والاطمئنان، ورغد العيش، فلا قصفٌ ولا حروبٌ ولا دمارٌ ولا حصار، ورغم علمها بأنَّه شابٌّ مجاهدٌ، ومطاردٌ للاحتلال الصُّهيوني، ومعتقلٌ لدى أجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة، إلَّا أنَّها وافقت على الزَّواج منه.

عـادتْ إيمـان للإمـارات بعـد خِطْبتها، وقضتْ هنـاك عامـاً كامـلاً، لتعـود في صَيف العـام التـالي مع أسـرتها، حيـث شـهد موعـد زفافهـا لرائـد في 21 أغسـطس 1998م، وقـد أعـاد والدهـا المهر لـه معهـا، لتكـون ابنتـه العـروس إيمـان هديَّـةً لذلـك المجاهـد القائـد؛ مـا يـدلُّ علـى التفـاف جماهيـر شـعبنا حـول المقاومـة وقادتهـا.

تأثيره في شخصيَّة زوجِه



القائد الشهيد / رائد العطار

جاءت زوجُ القائد أبو أيمن من مجتمعٍ مختلفٍ بعاداته وتقاليده وطريقة تفكيره، وحاجات النَّاس فيه وآمالهم وتطلُّعاتهم؛ لترتبط حياتها بشخصٍ لا يعيش حياةً عاديَّةً كأيّ إنسانٍ، وكانت الفجوة كبيرةً بين ما اعتادت عليه في دولة الإمارات، ، وبين الحياة التي ستعيشها مع القائد رائد العطَّار، لكنَّ اللَّه تعالى اختارها زوجاً له؛ ليُكرمها بالعيش على أرض الرِّباط، ويكتب لها أجر المرابطين المجاهدين في سبيله، ولتعيش الظُّروف التي سيمرُّ بها زوجها من اعتقالٍ وملاحقاتٍ ومحاولات اغتيال جيش الاحتلال الصُّهيونيِّ وأجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة على حدٍّ سواء، ورباطٍ وجهادٍ في سبيل الله، وانشغالٍ عنها وعن الأبناء معظم الأوقات.

كان القائد رائد كثير التَّعليم والتَّثقيف لزوجِه في كُلِّ أمور حياتها، حتَّى طريقة تفكيرها، تقول أمُّ أيمن: رغم أنِّي تعلَّمت بالجامعة، وهو لم يُكمل تعليمه الجامعي، ورغم أنَّه لا يكبرني إلَّا بعامين اثنين فقط، إلَّا أنَّني كنت أشعر أنَّه يملك ثقافةً وعلماً وخبرةً كانسانٍ عمره سبعون عاماً، فعندما كنت أسأله متى تعلَّمت كلَّ هذا؟ كان يجيب بأنَّ عمله العسكري علَّمه الكثير، فتعلَّمت منه قوَّة الشَّخصيَّة، والمثابرة والصَّبر وقوَّة التَّحمُّل، وعندما كنتُ أواجه مشكلةً كبيرةً كان يقول لي: حاولي أن تساعدي نفسك بنفسك في حلِّها، ولا تنتظري أحداً ليساعدك، فأنا لن أعيش لك

العمر كلَّه، وقد تعلَّمت منه الكرم والجود، ومساعدة الآخرين، والتَّسامح، فهو لم يكن يحقد على أحدٍ حتَّى مَنْ آذَوْه في يومٍ من الأيَّام.

تربية الأبناء

شاءت الإرادة الإلهيَّة أنْ يُرزق القائدُ رائد العطَّار بابنته البِكْر "سجى" بعد سبع سنين من زواجه، وذلك بعد أن أجهضت زوجُه جنينها الأوَّل؛ بسبب مداهمة عناصر أجهزة أمن السلطة الفلسطينيَّة لمنزلهما، فكانت الفرحة كبيرةً جدَّاً بميلاد سجى عام 2004م، وقد وزَّع الحلويات على الأهل والأقربين والأحباب والجيران.

وبعد عامين رزقهما الله بالابنة الثّانية شيرين، ثُمَّ بثلاثةٍ من الأبناء، هم: أشرف -تيمُّناً بعديله وصديقه الشَّهيد أشرف المعشَّر-، ومحمَّد -وفاءً للشَّهيد محمَّد حرب-، وعبيدة الذي لم يُكمل ثمانية أشهرٍ عند استشهاد والده، قد سمّاه أخوه أشرف بذلك تيمُّناً بكُنية النَّاطق العسكري باسم كتائب أبو عبيدة.



القائد الشهيد / رائد العطار في مقاعد الدراسة

ورغم أنَّ أشرف كان لا يزال صغيراً لم يتجاوز الرَّابعة من عُمُرِه، إلَّا أنَّ القائد أبو أيمن كان يصحبه معه أحياناً لمواقع التَّدريب العسكري؛ ليصنع منه رجلاً قويّاً، ويعلِّمه ركوب الخيل؛ امتثالاً للمأثور عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: "علِّموا أبناءكم الرِّماية والسِّباحة وركوب الخيل".

كما كان يشجِّعه على حفظ القرآن الكريم، ولأنَّ الصَّلاة ركنٌ أساسيٌّ من أركان الدِّين، فقد حرص على تعويد بناته عليها منذ الصِّغر، فكان يوقِظُهُنَّ لصلاة الفجر رغم صغر سنِّهنَّ.

ورغم انشغاله الدَّائم ولأوقاتٍ طويلةٍ عن البيت، كان يسارع الخطى في متابعة أمورهم، ومعرفة أدقّ تفاصيل حياتهم، فما يكاد يدخل البيت حتَّى يبدأ بالسُّؤال عن الأبناء والاطمئنان عليهم.

وكان يتابع دراستهم، وحفظهم للقرآن، ويشجِّعهم على التَّفوُّق والتَّقدُّم للأمام دوماً، وعندما يحوز أحدهم على التَّميُّز والتَّفوُّق سواء في الامتحانات المدرسيَّة أو في حفظ أجزاءٍ من القرآن الكريم كان يُقدِّم له الهدايا التَّشجيعيَّة المادِّيَّة والمعنويَّة، يرسم لهم معالم الطَّريق رغم يقينه أنَّه لن يُكمل المشوار معهم، فسجى اليوم تُريد أنْ تصبح مهندسةً معماريَّةً كما كان يتمنَّى لها والدها، أمَّا مسلمة المعشَّر فيريد أنْ يصبح مجاهداً مثل والده أشرف المعشَّر، ومَنْ تعهَّده القائد رائد العطَّار؛ لأنَّهما يمثِّلان له القدوة الحسنة.

مكافأة اللقاء بعد الغياب

فطِن القائد الرَّائد مسؤوليَّته في التَّرويح عن أفراد عائلته، فكثيراً ما يتشوَّقون إلى مجالسته؛ حيث كان يتعدَّى غيابُه الأيَّام، وإذا ما حضر سارع لاصطحابهم إلى بعض الأماكن كالسوبر ماركت، أو مواقع التَّدريب العسكري، أو كان يعلِّمهم ركوب الخيل، أو يذهب بهم إلى البحر، أو المطعم، أو مدينة الألعاب، وكان يمارس معهم الألعاب، ويستمتع بذلك، وينشد لهم أناشيد المقاومة، ويشتري لهم المجموعات القصصيَّة المفيدة، ويطرح عليهم الألغاز؛ لينمِّي الذَّكاء لديهم.

القائد بين عائلته

برّاً بوالدته

تربَّى القائد على موائد القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، وكيف لا يكون كذلك؟! وجدُّه الشَّيخ أحمد العطَّار أحد مشايخ يبْنا، فقد كانت تأتيه الوفود من المدن والقرى الفلسطينيَّة بغرض تلقِّي العلم، ومن بعده عمِّه الشَّيخ رجب العطَّار، فلم يكن يجهل وجوب بِرِّه بوالديه، ولكنَّه تربَّى يتيم الأب، حيث استشهد والده وعمره لم يتجاوز سبع سنوات.

لتنفرد أمُّه بواجب تربيته وإخوانه الثّلاثة وأخواته السَّبع إلى جانب إخوانه غير الأشِقَّاء.

حفظ رائد لأمِّه فَضْلها عليه بعد الله تعالى، وتَحَمُّلها مشاقَّ تربيته، خاصَّةً وأنَّه أصغر إخوانه وأخواته، فحرص على برِّها، ولم يمنعه ذلك من أداء واجبه نحو وطنه فمنذ طفولته كان شهماً جريئاً شجاعاً، وكان يخرج يوميّاً لإلقاء الحجارة على جيبَّات جيش الاحتلال في مخيَّم يبْنا بمدينة رفح.



والدة القائد رائد العطار

عاهد رائد أمَّه منذ مطلع شبابه ألَّا يترك المحتلَّ الصُّهيونيَّ يهنأ في أرضه، وألَّا يتوانى عن مقاومته، وأن يحرص على ألَّا يقع أسيراً في أيديهم، فهو يُفضِّل أن يعيش مطارداً، أو أن يلقى ربَّه شهيداً على أن يقضي يوماً من عمره في الأسر، فأيقنت أمُّه أنَّه لن يتراجع عن طريق الجهاد والمقاومة يوماً من الأيَّام، واطمأنَّت لنُبْل هدفه، وعظيم غايته، فهو لن يقاتل سوى اليهود الصَّهاينة أعداء الدِّين والوطن والأمَّة والإنسانيَّة.

كان شديد البِرِّ بها، والحبِّ لها، وكثيراً ما عرَّض حياته للخطر الشَّديد مقابل أن يحظى برؤيتها للحظات، وأن يسمع دعاءها له، خاصَّةً أثناء ملاحقة أجهزة السُّلطة والاحتلال له خلال فترة أسر الجندي الصُّهيوني جلعاد شاليط، فقد كان على يقين أن المخاطر تحيط به من كلِّ جانب، غير أنَّه تسلَّح بالحذر، متوكِّلاً على الله، وأدام زيارته لوالدته.

تتحدّث والدة الشهيد القائد بعباراتها البسيطة المعبِّرة: "الله يرضى عليه ما تركني أبداً، يزورني ويأخذني لبيته، يُلبِّي كلَّ احتياجاتي، دائم التَّقبيل لرأسي، يتمنَّى أن أطلب منه شيئاً؛ حتَّى يُسرع في تلبيته، يُلحُّ عليَّ في الطَّلب أن أرضى عليه".

وعلى لسان أشقّائه كافّةً، يقول شقيقه محمّد: "كانت أمّي دائماً تجدّد رضاها عليه، وتقول ببالغ الحزن: ألا يكفي مطاردة اليهود حتّى يطارده العرب". ويضيف أخوه عبد العزيز: "كان أخي رائد يُحبُّ والدتنا كثيراً جدّاً، فكان شديد البِرِّ بها، حتّى في مدّة مطاردته، دائماً ما كان يصحبها لبيته، خاصّةً في يوم الجمعة؛ لتناول طعام الغداء معه، وكان لا يذهب لأيِّ مكانٍ مع زوجِه وأبنائه، إلّا ويصحبها معهم".

أمّا زوجُه أمُّ أيمن فتُضيف: عندما كانت تأتي خالتي -والدة رائد- لزيارتنا كان شديد الاهتمام بها، والإكرام لها، ولا يقبل أن تأكل من طعام اليوم السّابق مهما كان الأمر، وفي كلِّ يومٍ كانت تمكث فيه خالتي في ضيافتنا كان يحُثُّني على تقديم كلِّ ما تشتهيه وتُحبُّه من أصناف الطعام، كما كان يشتري الأطعمة والفواكه والتّسالي الّتي تُحبُّها ويحضرها لها، وكان يعاقب أيَّ واحدٍ من الأبناء عندما يُغضب جدّته أو يتسبّب في إزعاجها أو حتّى يرفع صوته بالكلام وهو يتحدّث معها، أو يضحك أمامها بصوتٍ مرتفع، كلُّ ذلك احتراماً لها، وبَرّاً بها، فهو مهما صنع لن يَفِيَها جزءاً من حقِّها عليه.

ومن أبرز المواقف التي تجسّد عظيم حبّه لأمّه وبَرّه بها، أنّه فور عودته من أداء فريضة الحج ذهب لزيارتها أوّلاً ورؤيتها والاطمئنان عليها، ثمَّ ذهب لبيته ورأى زوجَه وأبناءه واطمأنَّ عليهم.

علاقته بإخوانه وأخواته

حرص القائد رائد على صلة رحِمه؛ إيماناً واعياً منه بأنَّ صلتهم من صلة الله، فتميَّزت علاقته بإخوانه وأخواته على حد سواء، دون تمييزٍ بين أخٍ أو شقيق، فوالدته لم تكن تُفرِّق بينهم مطلقاً، وربّتهم جميعاً كأولادٍ لها، خاصّةً بعد وفاة والدهم، فنشأوا جميعاً قلباً واحداً، ويداً واحدة.

يُحدِّث أخوه الأكبر ناصر -أبو صبحي- قائلاً: "أخي رائد أغلى وأعزُّ من أولادي، فالأخ إن فُقد لا يُعوَّض، أمّا الابن فيمكن أن ننجِب غيره، لقد جمعت بيننا الأُخوّة، ورابطة المقاومة، ولقد سُجنتُ معه عامين ظلماً في قضيّة مقتل النّقيب رفعت جودة، وكانوا يساومونه دائماً على أن يعترف مقابل الإفراج عنّي، إلّا أنّني كنت أحاول

أن أخفِّف عنه دوماً حزنه الشَّديد بسبب اعتقالي معه، وتسريحي من عملي لأجله، فكنتُ أقول له: "سواءً أمكثتُ عامين أو ثلاثة، سيأتي يومٌ وأخرج فيه من هنا، فلا تحزن لأجلي".

كما تميَّزت علاقته بأخيه أبو يحيى الذي يكبره بعامين، فهما شقيقان ورفيقا دربٍ منذ الصِّغر، حيث كانا معاً في المنزل، والمسجد، وفي شوارع المخيَّم، يقاومان جيش الاحتلال الصُّهيوني.

ولقد حرص القائد أبو أيمن على التَّواصل المستمرِّ مع جميع إخوانه وأخواته، وأبنائهم وبناتهم المتزوِّجين والمقيمين في مختلف مناطق قطاع غزَّة، خاصَّةً إذا علم أنَّ أحدهم يُواجه مشكلةً ما، فلا يهدأ له بالٌ، إلَّا إذا شارك في حلِّها، أمَّا من باعدتْ بينه وبينهم المسافات، فكان يجتهد ما استطاع أن يتواصل معهم، فإحدى أخواته تقيم في السُّعوديَّة، فما أنْ همَّت زوجُه أمُّ أيمن لأداء فريضة الحج حتى أوصاها أن تزورها وتتفقَّد أحوالها، وكذلك عندما ذهب لأداء ذات الفريضة زارها.

علاقته مع الجيران، والنَّاس

اتخذ القائد رائد من سيرة رسول الله ﷺ منهاجاً يشقُّ به طريق حياته، فكان يعلم يقيناً ضرورة الإحسان إلى الأصحاب والجيران والوقوف عند حقوقهم. فتميَّز بابتسامته الصَّادقة المُشرقة التي كانت تملأ وتُنيرُ قسمات وجهه؛ فكسب بها قلوب وعقول كلِّ مَن حوله، فأحبُّوه، فكان مثال الشَّابِّ المشهود له بالتَّديُّن، وحُسْن الخُلُق.

لم تُثنِه ظروفه الأمنيَّة عن الاجتهاد في الإحسان إلى الجيران والتواصل معهم، حتَّى وإن كانوا يخالفونه الفكر والانتماء السِّياسي، تقول زوجُه: انتقلنا للسَّكن في أحد المنازل بمخيَّم يِبْنا، وكان لنا جارٌ يخالفنا الانتماء السياسي، وفي البداية تخوَّف جارنا وزوجُه وأبناؤه من التَّعامل معنا؛ لأنَّنا ننتمي لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، ولكنَّ أبو أيمن استطاع أنْ يستحوذ على عقولهم وقلوبهم بعد مدَّةٍ زمنيَّةٍ، من خلال تعامله الرَّاقي الحسن معهم، وعندما سُجن ابنهم لدى جيش الاحتلال

الصُّهيوني وقف أبو أيمن إلى جانبهم، وكان دائماً يتفقَّد أحوالهم؛ ما كان له بالغ الأثر في نفوسهم".

قرارٌ يقضي بإعدام القائد

أصدرت سلطة أوسلو قراراً بإعدام أبو أيمن على خلفيَّة اتِّهامه في قضيَّة مقتل النَّقيب رفعت جودة عام 1998م، الأمر الذي أثار حفيظة جماهير مدينة رفح فخرجت في مظاهراتٍ غاضبة، فأغلق المتظاهرون الشَّوارع بالمتاريس، ورشقوا قوَّات الأمن الفلسطينيَّة من شرطةٍ وأجهزةٍ أمنيَّةٍ مختلفةٍ بالحجارة، واستمرَّت الاحتجاجات أكثر من ثلاثة أيَّامٍ متواصلة، تعطَّلت خلالها المدارس، وأُعلن عن إضرابٍ تجاريٍّ شامل، ولم تُفلح محاولات السُّلطة في إخماد المظاهرات رغم دفعها بالكثير من القوَّات لقمع المتظاهرين، وقد استُشهد في تلك المواجهات فتيان وهما: خميس سلامة، وعلاء الهمص، وأُصيب العشرات، ولم يوقف تلك الاحتجاجات إلَّا قرار رئيس السُّلطة الفلسطينيَّة ياسر عرفات بوقف تنفيذ حكم الإعدام بحقِّ المجاهد رائد العطَّار. وما كانت جماهير رفح لتخرج للشَّوارع وتستمرَّ في التَّظاهر لأكثر من ثلاثة أيَّامٍ، لولا حبِّها للقائدين رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة.

عشق القائد مدينته رفح فسارع إلى ردِّ الجميل لهم، فقد حرص وجميع أفراد عائلته للعمل على تلبية احتياجات كلِّ ذي فاقةٍ أو فقر، والوقوف بجانبهم في مختلف الظُّروف وتبدُّل الأحوال، والإصلاح بين المتخاصمين منهم.

وفوْر خروج القائد رائد العطَّار من السِّجن عام 2000م، ذهب لزيارة عائلتَيْ سلامة، والهمص، اللتين قدَّمتا ابنيهما فداءً له، عندما أصدرت السُّلطة حكماً بإعدامه عام 1998م.

وقد حظِي القائد رائد بمكانةً احتلَّت قلوبَ العامَّة والخاصَّة، حتَّى مثَّل شخصيَّةً عامَّةً يلجأ إليها أهالي مدينة رفح لحلِّ مشكلاتهم وإنهاء خلافاتهم، ومن أمثلة ذلك: لجأت إليه إحدى السَّيِّدات تطلب منه أنْ يساعدها في استرداد حقِّها من إخوانها الذين حرموها ميراثَها، فما كان منه إلَّا أن أرسل رسولاً باسمه لإخوانها يطلب

منهم أن يُعطوها حقَّها، فما كان من إخوتها إلا أن استجابوا لطلبه وأعادوا الحقَّ إلى أختهم.

ذاع صِيتُ القائد رائد العطَّار، حتى أصبح اسمه نجما لامعا في سماء مدينة رفح، فلم يبقَ أحد إلا وسمع باسمه حتى وإن لم يلتقِ به ويتعرف على شخصه، فذات مرَّة ذهب القائد "أبو أيمن" مع إخوانه لحلِّ مشكلةٍ وقعت بين أحد العائلات برفح وأثناء حديثه بادره أحد الجالسين – وكان لا يعرفه شخصيًّاً– قائلاً له: "مَنْ أنت لتقول هذا القول؟!"، فردَّ عليه أحد الحضور قائلاً له: "هذا أخونا أبو أيمن العطَّار"، فما كان من ذلك الرَّجل إلَّا وأن قال له: "ما دمت أنت العطَّار فاعتبر أنَّ المشكلة قد حُلَّت"، وبالفعل زال الخلاف والإشكال؛ إكراماً له.

تعدَّى دورهُ الإصلاحيُّ إلى داخل صفوف المجاهدين؛ فكثيراً ما كان يلجأ إليه مجاهدو كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام؛ لحلِّ بعض القضايا الخاصَّة بهم، وكان دائماً عند حسن ظنِّهم به، يُحاول جاهداً إرضاءهم وتحقيق مطالبهم وحل مشاكلهم؛ وهذا ما جعل أحد الشَّباب يقول بعد استشهاده: "نحن جميعاً أصبحنا أيتاماً، فاستشهاد القائد العطَّار لم يجعل أبناءه فقط أيتاماً، فهو كان بمكانة الأب لنا جميعاً".

علاقته بفصائل المقاومة

شغلتْ قضيَّة فلسطين عقل وساعد القائد رائد العطار، فما فتئ يقارع الاحتلال الصُّهيونيَّ ويحضُّ على مقاومته، حتَّى مدَّ جسور الوُدِّ بينه وبين فصائل المقاومة الفلسطينية التي تسير على الهدف ذاته، يجاورهم خندق الجهاد، ويُعبِّدُ الطَّريق أمامهم، فقد تجاوز حبُّه لوطنه نفسه وماله وولده، فلم ينتصر لنفسه أبداً، بل صفح عن ألوان العذاب التي تعرَّض لها في سجون السُّلطة الفلسطينية، حتَّى جمعته علاقات قوية مع الأذرع العسكرية المتعددة من كتائب شهداء الأقصى، وصقور فتح، وسرايا القدس، وألوية النَّاصر صلاح الدِّين، ورفاق الجبهتين، وجيش الإسلام، وغيرهم من فصائل المقاومة.

ومن أبرز ما يُدلّل على عُمْق تلك العلاقات، العمليّات النّوعيّة المشتركة، فعمليّة براكين الغضب التي أدّت إلى نسف موقع معبر رفح العسكري التّابع لجيش الاحتلال الصُّهيوني بتاريخ 12 ديسمبر 2004م كانت مشتركةً بين كتائب القسّام، وصقور فتح.



القائد رائد العطار مع القائد حسن المدهون

وعمليّة الوهم المتبدّد التي أدّت إلى مقتل إثنين من جنود الصهاينة، وإصابة عددٍ آخر منهم، وأسر الجنديِّ الصُّهيونيِّ جلعاد شاليط بتاريخ 25 يونيو 2006م كانت مشتركةً بين كتائب الشّهيد عزِّ الدِّين القسّام، وألوية النّاصر صلاح الدِّين، وجيش الإسلام.

بذلك يكون قد أرسى دعائم وحدة الهدف والسلاح مع فصائل المقاومة الفلسطينيّة التي آتت أُكُلَها في مدينة رفح، حيث دشّنوا أبهى وحدة تجمع سلاح المقاومة في خندقٍ واحد.

المحادثة الأخيرة

بالحنكة العسكريّة، والمتابعة الأمنيّة، توقّع قادة كتائب القسّام دنُوَّ معركةٍ قريبةٍ مع جيش الاحتلال، فقد بانتْ لهم أشراطُها، فأخذ أبو أيمن واخوانه في قيادة كتائب الشّهيد عزِّ الدِّين القسّام يُعدِّون العُدَّة، ويواصلون الليل مع النّهار؛ استعداداً لتلك المعركة، فخلال الشّهرين الأخيرين اللذين سبقا معركة العصف المأكول كان يخرج السّاعة السّادسة صباحاً، ثمّ يعود في جُلِّ الأيّام قرابة السّاعة الثّانية عشرة ليلاً، وعندما كانت زوجُه تعاتبه لانشغاله الطّويل عن البيت والأبناء كان يردُّ عليها قائلاً: "تحمّلوا هذين الشّهرين فقط، وبعد ذلك ستتغيّر الأحوال إن شاء الله".

وما أنْ انقضى الشّهران تقريباً حتّى توقّع القائد أبو أيمن بَدْءَ معركة العصف المأكول، فأخذ زوجَه والأبناء، وأوصلهم إلى بيت أختها "أمّ مسلمة"؛

لشعوره بالخطر الشَّديد عليهم في حال بقائهم في منزلهم، وبعد عدَّة أيَّام حدث ما كان يتوقَّعه، فلقد بدأت المعركة، فاتَّصل على زوجِه يوصيها بالاهتمام بالأبناء، وضرورة منْعِهم من اللعب في ساحة المنزل الخارجيَّة.

وما هي إلَّا أيَّامٌ أُخْرياتٌ حتَّى عاود الاتِّصال عليها للمرَّة الثّانية؛ ليوصيها من جديدٍ على الأبناء، وبعد مرور ساعاتٍ معدودة، اتَّصل جيش الاحتلال على أمِّ مسلمة -أخت أمِّ أيمن-، وطلب منها إخلاء المنزل بسرعةٍ ليتمَّ قصفه، وبالفعل خرجت أمُّ مسلمة، وأمُّ أيمن والأبناء جميعاً من المنزل، وقُصف المنزلُ بعد لحظاتٍ من خروجهم.

لقد كان القائد رائد يشعر بدنوِّ أَجَلِه وقُرْبه من الشَّهادة، فكان يُوصي زوجَه مكرِّراً بالاهتمام بالأبناء، وضرورة تحفيظهم القرآن الكريم، وضرورة ردِّ الأمانات إلى أصحابها، والتي منها الأسلحة الّتي كانت بحوزته.

كما حرص على التَّواصل مع أخيه الأكبر ناصر -أبو صبحي-؛ للاطمئنان عليه وعلى العائلة، وعلى والدته خاصَّة، فكان الاتِّصال الأخير بينهما يوم الأربعاء العشرين من أغسطس 2014م، وخلال الحديث طلب القائد أبو أيمن العطار من أخيه ناصر أن يرسل والدته لبيت إحدى أخواته؛ لأنَّه كان يشعر بالخطر عليها إن بقيتْ في هذا المنزل، فقد يُقصف البيت في أيَّ لحظة.

فاجعةٌ حلَّت بالعائلة (نبأ الشهادة)

يوم أن بثَّت قناة الأقصى الفضائيَّة نبأ ارتقاء والدهم القائد شهيداً في صباح الثّاني والعشرين من شهر أغسطس عام 2014م، خلال معركة العصف المأكول، ضجَّت العائلة حزناً وصدمةً بتلقِّي هذا النَّبأ، غير أنَّهم رغم مصابهم الجلل آثروا السَّير على نهج والدهم الشَّهيد، فأخذوا يحقِّقون وصيَّة والدهم لهم، بأداء صلاة ركعتين شكراً لله أنْ قبض والدهم شهيداً، مجاهداً في سبيله مقبلاً غير مدبر.

مضت عائلة القائد أبو أيمن على ذات النَّهج والطَّريق الذي خطَّه الشَّهيد، فرغم حداثة سنِّهم إلَّا أنَّهم يذكرونه حاضراً في كلِّ تفاصيل حياتهم، ويفخرون به، ويقتفون أثره، فهو القدوة الأولى لهم في مسيرة حياتهم، بكلِّ ثباتٍ يحافظون على ما غرسه في نفوسهم من مبادئ وقيم، من التزامٍ بالصَّلاة، أو حفظٍ لكتاب الله، أو اجتهادٍ في الدِّراسة، أو غير ذلك.

الفصل الثاني

الانطلاقة الجهاديَّـة

للقائدين محمَّد أبو شمَّالة ورائد العطَّار

(2000 - 1987)

المبحث الأوّل

القائدان من رياض الإخوان
إلى ميدان القسام

(1987 - 1994)

اندلاع الانتفاضة الأولى (1987 م)

جاءت الانتفاضة الفلسطينيَّة نتيجةً طبيعيَّةً لمعاناة الشَّعب الفلسطيني بسبب الاحتلال الصُّهيوني، الذي تعمَّد قهْر الإنسان الفلسطيني، وسلبه ما تبقَّى في يديه من مقدَّرات، بعد أن احتلَّ أرضه، وفرض عليه حُكْماً عسكريّاً صارماً، وما مارسه من استغلال وسلب الأراضي والثَّروات، واستغلال الأيدي العاملة، والعمل على إلحاق الأراضي المحتلَّة عام 1967م بالاقتصاد الصُّهيوني.

وكان السَّببُ المباشر لاندلاع الانتفاضة قيام سائق شاحنةٍ صهيوني بصدْم سيَّارةٍ تُقلُّ عُمَّالاً فلسطينيِّين قرب حاجز بيت حانون إيرز؛ ما أدَّى إلى استشهاد أربعةِ عمَّالٍ منهم، وأثناء تشييع الشُّهداء، تحوَّلت الجنائز إلى اشتباكاتٍ مع جنود الاحتلال الصُّهيوني في مخيَّم جباليا.

انفجر غضب الفلسطينيِّين في وجه قوَّات الاحتلال، وتفجَّر إحباطُهم من العرب والعالم في انتفاضةٍ شعبيَّةٍ عارمة، شارك فيها الشَّعب بمختلف فئاته الاجتماعيَّة ومستوياته العُمُريَّة وانتماءاته السِّياسيَّة والفكريَّة والدِّينيَّة، فقد حَقَدوا على الاحتلال، وكرِهوه، وقد تخمَّر هذا مع فقرهم وتفاعل معه؛ فانفجر منتجاً انتفاضة الحجارة.

اندلعت الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى في 8 ديسمبر 1987م، واستمرَّت حتَّى قدوم السُّلطة الفلسطينيَّة في 4 مايو 1994م، وقد تميَّزت تلك السَّنوات بمشاركةٍ جماهيريَّةٍ واسعة، لكنَّها عانت من حالات مدٍّ وجَزْر.

مرحلةٌ شهدت تنوُّعاً في أساليب المقاومة الفلسطينيَّة بين المقاومة الجماهيريَّة الشَّعبيَّة، والوسائل المقاومة الكفاحيَّة العسكريّة، التي تُنفِّذها مجموعاتٌ شبه مسلَّحةٍ تابعةُ للتَّنظيمات، أو التي يقوم بها أشخاص بصورةٍ فرديَّة.

انطلاقة حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس

انطلقت حركة المقاومة الإسلاميَّة "حماس" إبَّانَ وقوع حادثة الشَّاحنة الصُّهيونيَّة، فكانت إعلاناً بدخول مرحلةٍ جديدةٍ من جهاد شعبنا الفلسطيني، ليكون الرَّدُّ بإعلان النَّفير العامِّ واندلاع الانتفاضة، وصدر البيان الأوَّل عن حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس يوم 14 ديسمبر 1987م، مرحلةٌ مَثَّلَ الإسلاميُّون فيها رأس الحربة في مواجهة الاحتلال الصُّهيوني.

سابقت رفح بمبادرةٍ مشهودةٍ وفاعليَّةٍ عاليةٍ إلى العمل ضمن الأجهزة التَّنظيميَّة التَّابعة لحركة حماس، والتي تمثَّلت "بجهاز الدَّعوة، وجهاز الأمن، وجهاز الأحداث، والجهاز الإعلامي، وجهاز الصَّاعقة، والجهاز العسكري".

بوابَّة الدُّخول

بدأت تتشكَّل ملامح التزام القائد محمَّد أبو شمَّالة منذ نعومة أظفاره، فواظب على صلاة الجماعة في مسجد الهدى، حتَّى انُتقي من بين روَّاد المسجد لينضمَّ إلى جهاز الدَّعوة عام 1987م، فكان المربِّي محمَّد الحوراني أوَّل من حظي بمتابعته الدَّعويَّة، ثمَّ انتقل بعدها إلى المربِّي إسماعيل برهوم، فقد حسُن التزامُه في المحاضن التَّربويَّة، وتمكَّن من حفظ بعض أجزاء القرآن والأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة، وتميَّز بقدرته على الخطابة والإلقاء، وقد رافقه في هذه المحاضن عددٌ من إخوانه، كان منهم "أبو أشرف"، ومحمَّد أبو حجَّاج، ورائد العطَّار.

يقول رفيقه أبو أشرف: عشنا حياة الأُسَر التَّربويَّة معاً، فكان المربي يطلب منَّا حفظ عشر آياتٍ من كُلِّ سورة، وحديثٍ نبويٍّ، وذات يوم طُلب منَّا حفظُ عشر آياتٍ من سورة الحشر، وعندما تناولتُ مصحف الحفْظ وجدتُ العشر آيات من سورة الحشر موزَّعةً على صفحةٍ ونصف، فاستصعبتُ الأمر، وتوجَّهتُ إلى محمَّد، وأخبرتُه أنِّي لا أستطيع حفظها، فدرَّبني على الحفظ، حتَّى حفظتُها، وكان قد حفظها خلال بضع دقائق.

فقد عُرف بالتزامه في حفظ القرآن والأحاديث النَّبويَّة، ودوام حضوره الأُسَرَ التَّربويَّة، إضافةً إلى تمام أخلاقه ودماثة صفاته وحبِّه للعمل الدَّعوي والجهادي في سبيل الله، الأمر الذي دعا قادة العمل إلى انتقائه رغم صغر سِنِّه، ليكون ضمن عناصر جهاز الأحداث.

في الوقت ذاته كان رفيق الدرب رائد العطار خطا خطواته الأولى نحو الالتزام، فقد لعب الشَّيخ رجب العطَّار -عمُّه-، ومسجدُ الهدى في مخيَّم يِبْنا بمدينة رفح، دوراً كبيراً في صقل شخصيَّته، فقد اشتهرت عائلة العطَّار بتديُّنها.

كان الشَّيخ رجب العطَّار لا يخلو له مجلسٌ من الحديث عن المقاومة الفلسطينيَّة، وعن اعتقاله ومقاومته للاحتلال، فقد غرس في نفوس أبناء العائلة حبَّ الوطن، وحبَّ الجهاد في سبيل الله، وضرورة مقاومة الاحتلال الصُّهيوني.

نشأ رائد منذ مهده كما باقي إخوانه في مسجد الهدى؛ حيث تلقَّى تربيةً إسلاميَّةً حقَّة، وتميَّزت طفولته بصفاتٍ عديدةٍ لفتت أنظار مَنْ حوله إليه، فقد تميَّز بالشَّجاعة والمبادرة والإقدام، وحبِّ الاستطلاع، فلا تكاد تحدُث حادثةً في المخيَّم إلَّا ويعلم بها، وتعرَّف إلى كُلِّ أزقَّة المخيَّم وحفظها منذ طفولته؛ الأمر الذي ساعده خلال مدّة مطاردته لجيش الاحتلال.

وقد شارك رائد ومحمَّد في أحداث مدينة رفح، حيث كانا مع باقي الفِتْيان والشَّباب ينتظران دخول المغتصبين للمنطقة، لرشقهم بالحجارة، ثمَّ تطوَّر الأمر لإلقاء الحجارة على حافلات شركة (إيغد) الصُّهيونيَّة، التي تنقل العمَّال الفلسطينيِّين للدَّاخل المحتلِّ.

ومع انطلاق الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى عام 1987م، وإعلان انطلاق حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس لم يكن رائد ومحمَّد يتجاوزان ثلاثة عشر عاماً، ورغم صغر سنِّهما كانا ينضمَّان بشكلٍ يومي لشباب المخيَّم، ويشاركان في إلقاء الحجارة على جيبات جيش الاحتلال الصُّهيوني.

وقع الاختيار على رائد لينضمَّ لإحدى الجلسات التَّربويَّة التَّنظيميَّة[1] في مسجد الهدى بمخيَّم يِبْنا مطلع عام 1988م، فكان ورفيقُه محمَّد أبو شمَّالة أصغر مَنْ انضمَّ لتلك الجلسات الإيمانيَّة في تلك المدّة، وقد كانا في مسجدٍ واحد، يُشاركان معاً في إشعال إطارات السَّيَّارات، ووضع الحواجز الاصطناعيَّة -المتاريس- في شوارع المخيَّم، وفي رشق جيبَّات جيش الاحتلال بالحجارة، وكانا يجلسان معاً ساعاتٍ طويلةٍ يوميَّاً مع أبناء المخيَّم ينتظران مرور الجيبَّات.

وفي الحديث عن هذه المرحلة يقول أبو يحيى العطَّار: "أذكر أوَّل عملٍ قمتُ به مع أخي رائد، عندما ذهبنا نُعلِّق صوراً للشَّهيديْن زهير الهمص، ووليد أبو عبيد، ثمَّ عندما كنَّا نذهب معاً لرشق جيبات جيش الاحتلال بالحجارة في المنطقة القريبة من منزلنا، وكنَّا عندما ننتهي نذهب معاً إلى المنطقة القريبة من بيت عمٍّ لنا، وأحياناً كنَّا نبيت الليل في بيته؛ بسبب تأخُّر الوقت.

وذات يوم أثناء ذهابنا لإلقاء الحجارة، يُحدِّثني رائد: "أشعر بأنِّي سأصاب اليوم، وما أن وصلنا منطقة الاشتباكات مع جيش الاحتلال، حتَّى ضرب أحد الجنود قنبلة غاز، أصابتْ رائد في رأسه، وبمساعدة الشُّبَّان المتواجدين في المكان تمكنَّا من نقله ومغادرة المنطقة".

في غمار الأحداث

بدأ العمل ضمن جهاز الأحداث بكتابة الشِّعارات على الجدران، وقد تميَّز محمَّد أبو شمَّالة بخطه الجميل، وكانت تُعدُّ الكتابةُ على الجدران مَعْلماً من المعالم الأساسيَّة للانتفاضة، وقد أبدعتْ حركة حماس في تلك الفعاليَّة عن غيرها من الفصائل الأخرى، وامتازت بقوَّة الشِّعارات التي كانت تُكتب على الجدران، إضافةً إلى جمال الخطِّ وروعة الرُّسومات.

---

(1) **الجلسات الإيمانية التربوية والتنظيمية:** سعى الشيخ أحمد ياسين إلى بناء تنظيم تكون نواته صلبة قوية، فحرص على بناء الأسر التنظيمية وفق منهاج تربوي تلتقي فيه الأسرة أسبوعياً قرابة ساعتين،، توجّه فيه النصائح والإرشادات بعد إلقاء الأخوة ما عليهم من مقررات منهجية، ويسوده السرية والانضباط.

خرج محمَّد في إحدى مهمات جهاز الأحداث برفقة مجموعةٍ من الشُّبَّان للكتابة على الجدران، وقد تلثَّم بكيس نايلون أسود اللون، وكانت ليلةَ عيدِ الفطر عام 1990م، وكتب حينها "ليس العيد لمن لبس جديداً، وإنَّما العيد لمن مات شهيداً"، وفي تلك الأثناء باغتتْهم مجموعةٌ من جنود الاحتلال الصُّهيوني، وأطلقت الرَّصاص تجاههم؛ ما أدَّى إلى استشهاد أمين عوض الله.

ومع إصدار البيانات، تبدأ مهمة جهاز الأحداث بنسخ ما في البيان وتوزيعه على مجموعات المنطقة المحلِّيَّة، ومن ثَمَّ تحديد الكتابة لكلِّ مجموعةٍ بوقتٍ محدَّد، بحيث تُوزَّع المجموعات خوفاً من كمائن الجيش والقوات الخاصة، وتُخصَّص منطقةٌ محلِّيَّةٌ لكلِّ مجموعة، والمجموعة الواحدة تتكوَّن من أربعة أفراد، وفي بعض الأحيان يزداد العدد لدواعٍ أمنيَّة، حيث يتمُّ تشديد الحراسة والرَّصد في المناطق الخطرة، وكذلك ضبط محاور المنطقة التي سيتمُّ الكتابة فيها.

وفي ذات يوم توجَّه محمَّد إلى المسجد، فقَدِم الشيخ إسماعيل برهوم، وطلب منهم إلصاق مجموعة بيانات، وكان ذلك يوم جمعة، فامتلأ قلبُه بالفرح، حيث كان دائماً توَّاقاً للعمل، وقد قال للشيخ إسماعيل بلهفة شوقه للعمل العسكري: "ماذا بعد اللصق؟" فأجابه: "اصبر".

ومن الأعمال التي أُوكلت إليه توزيع رسائل على الطُّلَّاب القادمين من الخارج، فوضع اللِّثام على وجهه، وتوجَّه لإيصال الرَّسائل مع زميله أبو أشرف، وقد احتوت الرَّسائل على تكليف الطُّلَّاب بحمل همِّ الدَّعوة الإسلاميَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة إلى الإخوة خارج فلسطين، وكانت مهمَّة أبو خليل وأبو أشرف إيصال الرَّسائل إليهم بصورةٍ آمنة.

وقد بَرَزَ دور أبو خليل في الإضرابات وحراسة اللجان، وإشعال إطارات السَّيَّارات، ووضع المتاريس، ورشق جنود الاحتلال بالحجارة، ولشدة حرصه كان ينتظر مرور الجيبَّات العسكريَّة ساعاتٍ طويلة، وقد شارك في تفعيل الإضرابات في ذكرى الغزوات والمجازر وغيرها من الأحداث الدِّينيَّة والوطنيَّة.

وتبيَّن للمشرفين على العمل الدور البارز للشابين أبو شمالة والعطَّار وغيرهما في جهاز الأحداث، واندفاعهم للعمل؛ فجعلوهما في لجان جهاز الأحداث.

وخشية وقوعهم في قبضة الاحتلال، قاموا بتوزيعهم على لجان جهاز الأحداث. ومع احتدام فعاليات الانتفاضة برز دور رائد، فنظراً لشجاعته ونشاطه الكبير، اختير منذ البداية لعضويَّة هذا الجهاز، ولم يكن أحدٌ من الشَّباب يعلم أنَّه يعمل داخل تنظيمٍ تابعٍ للحركة، التي كانت في البداية تعرف باسم (ح. م. س)، فإلصاق الملصقات، أو كتابة الشِّعارات على الجدران كانت تقتصر على عددٍ محدودٍ من الشَّباب، خاصَّةً أصحاب الخطِّ الجميل.

ومع شدَّة إقدام رائد وحرصه أن يتقلَّد موقعه المتقدِّم في المواجهة، تعرَّض لإصابةٍ من جيش الاحتلال الصُّهيوني في مطلع عام 1990م بطلقةٍ بلاستيكيَّةٍ في رُكْبته؛ ما أدَّى لتوقفه عن العمل حوالي ثلاثة أشهر.

تميَّز المجاهدان رائد، ومحمَّد بالمبادرة والإقدام، وعلوِّ الهمَّة، فعملا معاً على الارتقاء بجهاز الأحداث، وقد طلبا من قيادة الحركة أن يتوسَّعا في عمل الجهاز، من خلال تزويدهما بالسِّلاح، والسَّماح لهما بملاحقة العملاء.

من الأحداث إلى الصَّاعقة

تأسس جهاز الصَّاعقة الإسلاميَّة عام 1988م امتداداً لجهاز الأحداث، وقد تمثَّلت مهامه الأساسية في ملاحقة العملاء، ومتابعة المحلَّات التي تُروِّج الخمور والمخدَّرات، واللحوم والمأكولات الفاسدة، والأفلام والصُّور الهابطة. وقد تمكَّن جيش الاحتلال الصُّهيوني من اعتقال المجموعة المؤسِّسة للجهاز على مستوى مدينة رفح خلال عام 1988م، إلَّا أنَّ الجهاز استمرَّ في العمل، ولم يتوقَّف.

استطاع محمد أبو شمالة، ورائد العطار إنجاز المهام التي كانت تلقى على عاتقهما في جهاز الأحداث جميعها، ما جعل الأنظار تلتفت نحوهما ليُختارا للعمل ضمن صفوف جهاز الصاعقة الإسلامية مع حلول يونيو 1992م، بعد أن توافرت



القائدان / رائد العطار ومحمد أبو شمالة

فيهما معايير الانتساب والعمل داخل الجهاز، وإذ تحتاج مهامه إلى جرأة عالية، ومهارة كبيرة.

طلب "أبو أسامة" -قائد جهاز الصَّاعقة الإسلاميَّة في مدينة رفح- أن يتمَّ تزويد الجهاز بالسِّلاح؛ ليتمكَّن الشَّباب من العمل بالشَّكل الصَّحيح، وبالفعل زُوِّد الجهاز آنذاك بقطعة (M16) اشتروها بخمسة آلاف دينارٍ أردني، وأُعطيت للمجاهد إبراهيم عاشور،كما اشتروا عدَّة قطع كارلو، ومسدَّسات.



القائدان / رائد العطار ومحمد أبو شمالة

وبدآ رائد ومحمَّد وباقي المجاهدين بالتَّدرُّب على استخدام السِّلاح من حيث آلية الفك والتركيب وإطلاق النَّار، وشاركا في أعمال الجهاز كافَّة، حيث كان هذا مُقدِّمةً للعمل ضمن صفوف كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وذلك مع بداية عام 1993م.

امتلك القائدان أبو شمَّالة والعطَّار مسدَّساً، وبدآ بملاحقة العملاء، الأمر الذي أدَّى إلى مطاردة جنود الاحتلال الصُّهيونيِّ لهما، فاستقبلهما أحد الشَّباب في منزله، وذات يوم أحضر لهما سلاحاً من نوع كلاشنكوف، مصحوباً بطلقاتٍ تعود سنواتُ إنتاجها إلى عام 1956م، ففتح أمامهما آفاقاً جديدة في كيفيَّة مواجهة العدو، مرحلةٌ تعاقبت خلالها المُلِمَّات، فلم تقف على مطاردة العدوِّ فقط، بل كابدا خلالها ضَنَكِ توفير المأوى والحصول على قليل الزَّاد من طعامٍ وشراب.

رائد العطّار في أقبية الاعتقال

استغلَّ جيش الاحتلال الصُّهيوني انشغال العرب في الحرب الدَّائرة بين دولتَي "العراق والكويت" مطلع عام 1991م، وكذا انغماس حركة حماس في إتمام مراسيم انطلاقتها الثّالثة، التي وشِّحت بتنفيذ المجاهدان: أشرف البعلوجي، ومروان الزايغ[1] لعمليَّة يافا[2]، فشنّ جيش الاحتلال الصُّهيونّي حملة اعتقالاتٍ واسعةٍ في صفوف حركة حماس، طالت جميع أفراد الهيئة القياديَّة العليا للحركة، ويقول "أبو موسى" أحد أفراد خليَّة جهاز الأحداث "مع حلول الصَّباح دخل جنود الاحتلال منزلنا، واعتقلوني، فعصَبوا عينيَّ، ووضعوني في جيب (البور)، واقتادوني إلى مركز رفح، واستمرَّت مدَّة توقيفنا من السَّاعة الثّانية عشر ظهراً حتَّى السَّاعة الثّالثة فجر اليوم التالي، وقد كان برفقتي رائد العطّار، وآخرون، ثمَّ نقلونا إلى مركز تحقيق السَّرايا بغزَّة، الذي كان مكتظّا بالمعتقلين، وطواقم التَّحقيق لا تكفي لذلك العدد الكبير من المعتقلين، فنقلونا لمركز تحقيق أنصار بمدينة غزَّة، وبعد جولات قاسية من التحقيق، حوّلونا ثلاثتنا إلى المحاكمة، وصدر الحكم على الأخ أبو إسلام بالسَّجن ثمانية عشر شهراً، أمَّا أنا -أبو موسى- والأخ رائد فقد حُكم علينا بالسَّجن خمسة عشر شهراً، قضيناها في معتقل النَّقب الصَّحراوي".



القائدان / رائد العطار ومحمد أبو شمالة

(1) مروان فرج سلامة الزّايغ (1973-1992م): ولد بحي الدّرج بمدينة غزَّة، انضم لصفوف المجموعات العسكرية في بداية التّسعينيات، رافق المجاهد "أشرف البعلوجي" بتنفيذ عملية بطولية في مصنع الألمنيوم بمدينة يافا المحتلة، طورد بعدها ليعدّ المطارد الأوّل في المجموعات العسكرية التابعة لحركة المقاومة الإسلامية حماس، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 25 مايو 1992م برفقة المجاهدين "ياسر الحسنات، ومحمد قنديل" بعد قصف المنزل الّذي كانوا يكمنون فيه بالطائرات المروحية الصّهيونية بعد اشتباكٍ مسلّح دار بينهم وبين القوات الّتي أقدمت على اقتحام المنزل.

(2) عمليَّة يافا: 14 ديسمبر 1990م، نفذ المجاهدان أشرف البعلوجي ومروان الزايغ عمليَّة طعن لعدد من الصهاينة في مصنع للألومنيوم بمدينة يافا المحتلة، وتمكنّا من قتل ثلاثة مغتصبين، واعتقل أشرف البعلوجي، في حين طورد مروان الزايغ -الذي استشهد فيما بعد-، وعلى إثرها شنَّت حكومة العدو حملة اعتقالات شملت أكثر من 1700 فلسطيني للاشتباه بعلاقتهم بحماس.

وبذلك أُغلق ملف الاعتقالات في منطقة رفح في تلك الضَّربة التي وُجِّهت للحركة.

ولقد دفع صبحي العطَّار -الأخ الأكبر لرائد- مبلغاً من المال مقابل تخفيف الحُكْم[1] شهرين عن أخيه، وبذلك أصبحت مدَّة الاعتقال لرائد ثلاثة عشر شهراً، فكان رائد طوال الوقت يُمازح صديقه "أبو موسى" قائلاً له: "أنا راح أروّح قبلك"، ولكن شاء الله أن يخرج "أبو موسى" قبل رائد، فقد تمَّ توقيع اتفاقيَّة مدريد (للسَّلام)، وأفرج جيش الاحتلال الصُّهيوني عن فئةٍ من المعتقلين، فأفرجوا عن "أبو موسى" قبل رائد العطَّار؛ لأنَّ الشُّروط انطبقت على "أبو موسى"، ولم تنطبق على رائد؛ لقلَّة ما تبقَّى من محكوميَّته.

كان المجاهدون الثَّلاثة: رائد العطَّار، وأبو إسلام، وأبو موسى أصغر المعتقلين في الضَّربة التي طالت أبناء الحركة على مستوى قطاع غزَّة، حيث أولت قيادة الحركة الأسيرة عناية فائقة بهم داخل السجن، خاصَّة الدكتور إبراهيم المقادمة[2]، حيث كان يُعدُّ برنامجاً تربويَّاً دعويَّاً لهم، أضعاف ما كان لباقي المعتقَلين، لنظرته الثاقبة بأنَّهم ممن سيحملون لواء القيادة لتحرير فلسطين. وفي إحدى جلساته معهم أخذ يتخيَّل جيش كتائب القسَّام، وهو موزَّعٌ لكتائب على مستوى فلسطين، وهذا الجيش يُخطِّط لعمليَّاتٍ استشهاديَّةٍ ضدَّ العدوِّ، ويمتلك أحدث أنواع الأسلحة، ووسائل النَّقل التي تُمكِّنه من تحقيق الانتصار.

ظنَّ الأبطال الثَّلاثةِ أنَّ الدُّكتور إبراهيم المقادمة يحلم، فالمجاهدون لا يكادون يجدون رصاصاتٍ معدودة وهو يتحدَّث عن كتائب وأسلحةٍ، وتخطيطٍ لعمليَّاتٍ في

(1) كانت سلطات الاحتلال تسمح في الانتفاضة الأولى (1987-1994م) بشراء مدة من المحكومية بمبالغ مالية، حيث دفع مبلغ تحدده مقابل التخفيف من محكومية المعتقل مالم تكن قضية أمنية خطيرة.

(2) **إبراهيم أحمد المقادمة**: ولد عام 1950م، وعاش في مخيم البريج وسط قطاع غزَّة لأسرة هُجّرت من بيت دارس، وكان الشَّهيد طبيباً مجاهداً مفكراً ومربياً وداعية، كما كان له دور فاعل في النشاط العسكري، فقد أُعتقل في الخلية الأولى للعمل العسكري للإخوان المسلمين، التي نظمها الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- عام 1984م، وقد ساهم في إمداد المقاتلين بالأسلحة، وبالتخطيط لمواصلة العمليات العسكرية، واغتالته قوات الاحتلال صباح السبت، بتاريخ 8 مارس 2003م.

عمق الكيان الصُّهيوني، فهم يعيشون عام 1991م، وهو يتحدَّث عمَّا ستكون عليه كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام في الأمد البعيد.

ترك ذلك العام الذي قضاه رائد العطَّار مع قادة الحركة داخل السِّجن بالغَ الأثر في نفسه وعلى شخصيَّته، فقد خرج من السِّجن بهمَّةٍ عالية، فيضيف المجاهد أبو موسى: خرجنا من السِّجن، وكان أبو أيمن يتعجَّل العمل، على العكس منِّي، فأنا قلت: لا يوجد سلاح، ولا أرغب أن أبقى طوال عمري أجاهد بجنزيرٍ وبلطةٍ في حراسة الشَّباب الذين يكتبون على الجدران، لقد تأثَّرنا بكلام الدُّكتور إبراهيم المقادمة -رحمه الله- بضرورة امتلاك السِّلاح للجهاد.

لقد تحوَّلت محنة الاعتقال في سجون الاحتلال الصهيوني إلى منحة، فكانت التَّربية الإيمانيّة القويَّة على يد قادة حركة المقاومة الإسلامية حماس داخل السِّجن، كما تعرفوا على عناصر وقادة العمل الميداني خلال تلك المدّة أمثال القائد



القائد الشهيد / محمود مطلق عيسى



القائد الشهيد / زاهر نصار

القسامي محمود مطلق عيسى[1]، والقائد زاهر نصّار أبو حماس[2]، الأمر الذي أسهم في نجاح العمل العسكري فيما بعد، خاصّةً مع اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م، حيث أصبحوا ينتقون الشّباب الذين تعرّفوا إليهم خلال مدّة الاعتقال؛ ليكونوا قادة العمل في الميدان.

العطار.. جولة كرٍّ وانتصار

أُفرج عن القائد رائد بتاريخ 16 فبراير 1992م، بعد أن أمضى ثلاثة عشر شهراً في معتقل النّقب الصّحراوي، فما كاد يتنسّم عبير الحُرِّيّة حتّى سارع الاحتلال الصّهيونيُّ إلى إعادة اعتقاله بتاريخ 27 مارس 1992م، أي بعد واحدٍ وأربعين يوماً من الإفراج عنه، فقد حُكم عليه بالسّجن ستّة أشهر إداريّاً، قضاها في سجن النّقب الصّحراوي، وأُفرج عنه بتاريخ 27 سبتمبر 1992م، وبعد خروجه هذه المرّة، فطِن لخُبْث جيش الاحتلال الذي فرض معادلاتٍ جديدة في حياة القائد، متمثّلةً بمطاردته لهم.



القائدان/ رائد العطار ومحمد أبو شمالة

(1) **محمود مطلق عيسى:** ولد في مطلع نوفمبر عام 1966م في مخيم دير البلح، التحق بجماعة الإخوان المسلمين عام 1983م، وعمل في جهاز مجد، وعمل في الجهاز العسكري عام 1988م، زرع العبوات المتفجرة لدوريات الاحتلال، وأشرف على عدة عمليات عسكرية، كما شارك في إطلاق الصواريخ، استشهد أثناء مهمة استطلاعية جهادية، بتاريخ 20 فبراير 2002م.

(2) **زاهر صالح محمد نصّار:** ولد بتاريخ 30 مايو 1961م، تعود أصوله لبلدته الأصليّة غزّة، انضمّ لصفوف الحركة مع بدايات تأسيسها وكان أحد الفاعلين في أجهزتها الأمنيّة، كما عمل ضمن صفوف كتائب القسّام منذ بداياتها بينما كان يبلغ من العمر 21 عاماً، فالتحق بأوائل المجموعات العسكرية، وكان أحد رفاق درب الشّهيد القائد ياسر النّمروطي، كما عمل مرافقاً للشيخ صلاح شحادة، اعتقلته قوات الاحتلال مرات عدّة، وفي المرة الأخيرة أُبعد وعددٌ من أبناء الحركة إلى مرج الزّهور جنوب لبنان عام 1992، تعرّض عام 2001م لمحاولة اغتيالٍ إثر قصف طائرات الاحتلال منزل أحد أقاربه الّذي كان بداخله فأصيب بجراحٍ خطيرة، إلّا أنّه أكمل طريقه الجهادي حتى ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 27 يونيو 2002م إثر استهداف المنزل الّذي كان به برفقة الشيخ القائد صلاح شحادة ليرتقي هو والشيخ وعدد كبير من أهالي المنطقة إلى الله شهداء.

وبينما كان القائد أبو أيمن في السِّجن يمضي حُكْمه الإداري، تعرَّض محمَّد أبو شمَّالة وأبو هادي "أحد قادة كتائب القسام في مدينة رفح" للمطاردة، وبعد أن خرج من السِّجن واجه صعوبةً في انضمامه للمطاردين؛ بسبب ظروفهم الصَّعبة، حيث انتشرت في تلك المدّة على مستوى قطاع غزَّة ظاهرة المطاردين، إلَّا أنَّ الحركة كانت غير قادرةٍ على تحمُّل الزِّيادة في الأعداد بسبب عدم تهيُّؤ وجهوزيَّة المجتمع لاحتضان هذه الظَّاهرة، إضافةً إلى قلَّة الإمكانات من المال والسِّلاح، الذي أثَّر سلباً على تأمين تنقُّلاتهم، وتوفير المأوى والطَّعام اللازم لهم.

في ذلك الوقت كان عمل المجاهد رائد ضمن مجموعات الصَّاعقة قد انكشف، فعرضت عليه قيادة الحركة أنْ يخرج كباقي إخوانه لخارج فلسطين؛ حفاظاً على حياته، فعرض الأمر على عمِّه الشَّيخ رجب العطَّار -رحمه الله-، فهو صاحب خبرةٍ في العمل المقاوم منذ عام 1948م، فأرسل له عمُّه الرَّدَّ قائلاً له: "قبرٌ في غزَّة أهلك يزورونك فيه، أفضل من قصرٍ خارجها". ففهم رائد رسالة عمِّه، ورفض التَّسلُّل لخارج فلسطين، وقرَّرت الحركة ضمَّه للمطاردين في مدينة رفح، وزوَّدته بقطعة سلاح.

سِجالٌ جديدٌ خاض غِماره القادة أبو شمَّالة والعطَّار وأبو هادي، فكثيراً من الأحيان كانت المقابر مسكنهم، والعراء مأوى لهم، والأحراش تضمُّهم، يقرصهم زمهرير البرد في ليالي الشِّتاء الحالكات، فكانت تمضي الأسابيع دون إمكانيَّة تبديل ملابسهم أو أحذيتهم، مرحلةٌ حُرم خلالها رائد من الوصول إلى بيته عامين كاملين تقريباً.

محمَّد أبو شمَّالة بين جدران الزِّنزانة

واصل جيش الاحتلال بطشه بأبناء الشَّعب الفلسطينيِّ عامَّةً، وأنصار حركة حماس خاصَّة، حتَّى وصلت قوَّةٌ من جيش الاحتلال الصُّهيونيِّ لبيت محمَّد أبو شمَّالة؛ لاعتقاله هو وأخوه رائد، فنكلت بالبيت، واعتقلت مَن تريد، عندها حاولت أمُّ خليل تخليص ولديها من بين أيدي الجنود، فضربوها، وضربوا زوجة ابنها الأكبر،

واعتقلوا محمَّد وأخاه رائد، وفي تلك الحادثة أمر ضابط الدَّوريَّة من لواء جولاني الآليَّات المرافقة للدَّوريَّة بإمطار المنزل بالأعيرة المطَّاطيَّة؛ ما أدى إلى خلق حالةٍ من الخوف والذُّعر.

وعلى إثر ذلك توسَّعت المواجهات واشتدَّت حِدَّتها، وآزرت نساء الحيِّ أمِّ خليل، التي نُقلت إلى المستشفى فيما بعد لتلقِّي العلاج. ليَمضي محمَّد في معتقل النَّقب الصَّحراويِّ أحد عشر شهراً وكانت تلك المرَّة الوحيدة التي اُعتُقل فيها في سجون الاحتلال الصُّهيوني ليكون أحد المجاهدين الذين طالتهم الضربة التي تعرضت لها حركة حماس عام 1989م، حيث فضَّل بعدها أن يبقى مطارداً أمداً بعيداً دون أنْ يُسجَن ساعةً واحدة.

اعتقالٌ فمطاردة... محنٌ متعاقبة

غادر القائد محمَّد أقبية السِّجن إلى محلِّ الإيواء، بعد أن أيقن أن جيش الاحتلال لن يكتفي بشهور السجن آنفة الذِّكر، وما إنْ أفرج عنه، حتَّى بادر جيش الاحتلال بالسُّؤال عنه وعن أماكن وجوده، ثمَّ بدأت محاولات الوصول إليه واعتقاله.

فقد اقتحمت قوَّات جيش الاحتلال الصُّهيونيِّ بيته بعد أيَّامٍ من بدء مطاردته عام 1992م، وقد كان غائباً عن البيت قُرابة عشرة أيَّام، وبدأت هذه القوَّات بالتَّنكيل بالبيت وضرب من فيه، ومارسوا التَّحقيق الميدانيَّ مع أفراد البيت كافَّة، ووجَّهوا إليهم وابلاً من الأسئلة تحت التَّهديد والوعيد، جميعها عن مكان محمَّد، فقد عزلوا شقيقه أيمن داخل الغرفة وأغلقوا الباب، وسألوه عن أخيه رائد، فقال لهم: "رائد غائب عن البيت منذ أربعة عشر يوماً، وسألنا الصَّليب فأخبرنا أنَّه معتقلٌ لديكم"، قال الضَّابط: "نعم، رائد معتقل عندنا"، ثمَّ سأل قائلاً: "أين محمَّد؟"، فقال له أيمن: "لم أره ولم يدخل البيت منذ عشرة أيَّام"، حينها انهال هذا الضَّابط عليه بالضَّرب المبرح، ثمَّ توجَّه الضَّابط إلى أخيه خليل ووجَّه له الأسئلة ذاتها، ثمَّ توجَّه إلى أمه، ثمَّ إلى أخته.

وكانت كلُّ الأسئلة تتركَّز على مكان وجود محمَّد، وكان هذا الضَّابط الصهيوني يَلقى من الجميع الأجوبة ذاتها، بعد ذلك خرجت قوات الجيش الصهيوني من المنزل وهم يُهدِّدون ويتوعَّدون، في حين بدأت العائلة تُجهِّز نفسها لمعاناةٍ جديدة، من اقتحاماتٍ للبيت، أو تلقِّي خبر استشهاد محمَّد في أيِّ لحظة.

دمٌ ينزف... وعزيمةٌ لا تلين

وُشِّحَ جسد القائد محمَّد بعلامات الجهاد وشارات المقارعة، مُذكِّراً بشخص سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﵁ الذي شهِد ما يقرب من مائة معركةٍ إسلاميَّةٍ وقاد العديد منها ولم يكن في جسده الطاهر موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة لسيف أو طعنةٌ برمح أو رمية بسهم، فكان محمَّد خالد هذا الزَّمان، فلا يكاد يخلو عضوٌ في جسده من إصابة، فقد كان مصاباً في أذنه، وأنفه، وعدَّة إصاباتٍ في رأسه، وأخرى في قدمه.

وواحدةٍ ابتعدت عن القلب نصف سنتيمتر، حتَّى طالت الأمعاء فأدَّت إلى استئصال 30 سم من أمعائه، وإصابة في أصبع قدمه. مع تناثر الشَّظايا في مختلف أجزاء جسده، خاصَّةً في الظَّهر والكتفين، ووجود جزءٍ من رصاصةٍ في قدمه، كثيراً ما كانت تؤلمه، خاصّةً أنَّها كانت قريبةً من العصب؛ وكان هذا يؤدِّي لشعوره بتماسٍّ كهربائيٍّ في سائر قدمه.

تعرَّض محمَّد لأوَّل إصابةٍ خلال الانتفاضة عام 1987م، وذلك مع اندلاع مواجهاتٍ عنيفةٍ بالقرب من مركز التَّموين التَّابع للأونروا في مدينة رفح، حيث أطلقت قوَّات الاحتلال عشرات القنابل المعدنيَّة والمُسيِّلة للدُّموع؛ فأصيب بواحدةٍ في رأسه؛ ما أحدث جُرحاً نُقِل على إثره إلى عيادة الأونروا (الوكالة) للعلاج، وقطب جرحه بستِّ غُرَز.

وخلال المواجهات اليوميَّة المندلعة بين الشُّبَّان وقوَّات الاحتلال الصُّهيوني، تقدَّم محمَّد تلك المواجهات بقلب لا يعرف الخوف، حتى أصيب بطلقٍ معدنيٍّ في

رأسه من الخلف، أفقده توازنه وذاكرته، ونُقل على إثره إلى مستشفى ناصر في مدينة خان يونس للعلاج.



القائدان/ رائد العطار ومحمد أبو شمالة

أمَّا الإصابة الثّالثة فكانت عام 1988م، حيث أصيب بعيارٍ ناريٍّ في أنفه أثناء وجوده في بيت عزاء الشَّهيد وائل الهمص، في مخيَّم يِبْنا بمدينة رفح، وكان الشَّهيد الهمص قد استشهد في مواجهاتٍ مع قوَّات الاحتلال، فاقتحم جنود الاحتلال بيت العزاء تحت وابلٍ من إطلاق الرَّصاص والضَّرب بالهراوات، حيث رفض الشَّباب الانصياع لأوامر قوَّات الاحتلال، وإخلاء بيت العزاء، فحدثت اشتباكاتٌ بالأيدي بين الجنود الصَّهاينة المدجَّجين بالسِّلاح من جهة، والشُّبَّان العُزَّل في خيمة العزاء من جهة أخرى، وأمسك محمَّد بأحد الجنود من رقبته، فصوّب فوّهة البندقيَّة على رأسه، وعندما همَّ بإطلاق النَّار عليه، أبعد محمَّد رأسه عن فوّهة البندقيَّة فأصابت الطَّلقة أنفه، ونقل إلى مستشفى ناصر ووجهه ملطَّخٌ بالدِّماء؛ لدرجة أنَّ أحد أقاربه -كان يعمل ممرِّضاً في المستشفى- لم يتعرَّف عليه من كثرة الدِّماء التي غطَّت وجهه.

وأما إصابته الرَّابعة التي أُصيب بها، فقد كان برفقة صديقه وجاره الشَّهيد فريد أبو مطر في مقدِّمة المواجهات ضدَّ جنود الاحتلال في الانتفاضة الأولى، فأطلقت قوَّات الاحتلال الصُّهيونيِّ الرَّصاص الحي؛ لتفريق المتظاهرين؛ ما أدَّى إلى إصابة محمَّد، والشَّهيد فريد بجروحٍ في ساقيهما، نُقلا على إثرها إلى مستشفى ناصر في مدينة خان يونس، لكن ورغم كثرة إصابات محمَّد من جنود الاحتلال الصُّهيوني؛ إلَّا أنَّه لم يتوقَّف عن مقاومتهم والتَّصدِّي لهم.

وبذلك يتبيَّن أنَّ محمَّد أبو شـمَّالة، ورائد العطَّار شـقَّا طريقاً للمقاومة، ومقارعة قـوَّات الاحتـلال الصُّهيوني منذ كانا فَتَيَيْنِ في مُقتبل العمر، فلم يَنعُما بطفولـةٍ هانئة، كان لزاماً عليهما ألَّا يـتركا المحتـلَّ الصُّهيونيَّ يهنـأ، أو يهـدأ لـه بـالٌ، أو يَقِرَّ له قـرار، حيث شـهدت مدينـة رفـح في هـذه المرحلة خـلال عام 1993م، ظهـور أبو خليل وأبـو أيمن وأبو هادي .

رفْعُ اللواء... وامتشاق السِّلاح

مع اشـتداد وطيس ملاحقة الاحتـلال الصُّهيوني للقائديـن كليهما، والـتي بدورها هيَّأت لمرحلةٍ جديـدةٍ أُرغِما على عيـش غمارهـا، فانطلقـا لمرحلـة المطـاردة، بما تحتويـه مـن ألـمٍ، ومعانـاةٍ، وضيـقٍ وكـدر، غـير أنَّ حُبّهما للجهـاد، ورغبتهمـا في الإثخـان في الصَّهاينـة الغاصبين، وحرصهما علـى الاستشـهاد في سـبيل الله، جعـل منهـا رحلـةً شـائِقة الأحـداث رائعـة الظُّـروف.

هـذا وقـد عَقَـب خـروج القائـد أبـو إبراهيـم - أحـد قـادة كتائـب القسـام - مـن السِّـجن لقـاءٌ جمَعَـه بالقائديـن محمـد أبـو شـمالة ورائـد العطـار؛ بغـرض اسـتئناف العمـل العسـكريِّ بالمنطقـة مـن جديـد، حيـث التقـى بهمـا في بيـت الشَّـيخ طـارق أبـو الحصـين[1] الواقـع شـرق مدينـة رفـح .



الشهيد / طارق أبو الحصين

(1) طـارق صبـح أبو الحصـين (1964-2003م): من مدينة رفح، خطيب مفوّه، ورجل إصلاح مشـهور، قائد عسـكري في كتائب القسـام، اعتقل في سـجون السـلطة عام 1996م عامين، شـارك في العديد من المهام الجهادية، واستشـهد خلال تصديـه لاجتيـاح قوات الاحتلال لحي السـلام بمدينة رفح، بتاريـخ 18 أكتوبر 2003م.

وبادروا إلى استعادة مجد العمليَّات الجهاديَّة، فانتقل القائدان أبو شمَّالة والعطَّار إلى مدينة خان يونس؛ بهدف تنفيذ عمليَّاتٍ مشتركةٍ مع رفيق دربهم أبو إبراهيم، وأثناء طريقهم إلى هناك ظهرت أمامهما سيَّارة تابعة لمغتصبين صهاينة، وبلا أيِّ تردُّد أطلقا الرَّصاص عليها مباشرة.

المبحث الثاني

احتلالٌ وسلطة .. مِحَنٌ وسطوة

(1994 - 2000)

قدوم السلطة

مع قدوم السُّلطة الفلسطينيَّة عام 1994م، خرجت الجماهير الفلسطينيَّة بكامل الحفاوة تستقبلهم، على اعتبار كونهم جزءاً من النِّضال الفلسطينيِّ الذى استمرَّت الجماهير تُراهن على صوابيَّة هدفه، وأنَّ قدومهم يأتي تلبيةً لطموحات شعبنا في نيْل استقلاله، وما أنْ تمكَّنت من زمام المبادرة وأصبحتْ لسانَ حالِ الشَّعب الفلسطيني، حتَّى بانت سوأتُها، فأخذت تتربَّص برجال المقاومة وترفض الكفاح المسلَّح، الذي كان بالأمس شعاراً ترفعه، فناوأتْ كلَّ مجاهد، وطاردتْ أيَّ مناضل.

في حينها تعرَّضت كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام -الجناح العسكري لحركة حماس- لضغوطٍ شتَّى من ملاحقاتٍ واعتقالاتٍ لعناصرها، بصورةٍ متصاعدةٍ ومستمرَّة، وقد استخدمت السُّلطة أجهزتها الأمنيَّة كافَّة في التَّرغيب والتَّرهيب؛ من أجل ثني مجاهدي القسَّام عن الاستمرار في نهج المقاومة، لكنَّ محاولات السُّلطة وأجهزتها الأمنيَّة البائسة لم تُثنِهم عن شقِّ طريقهم، فكان من هؤلاء القائدان العطَّار وأبو شمَّالة، اللذان استطاعا تنفيذ عدَّة عمليَّات، رغم مضايقات السُّلطة لهما.

القائدان.. والصولات الجهادية

جاء قرار القائد العام أبو خالد الضيف منتصف عام 1994 بالتجهز لسلسلة عمليات ضد قوات الاحتلال الصهيوني، ليسارع المجاهدان الخطى بسلسلة أعمالٍ متعاقبة، زعزعت أمن العدو في قطاع غزة واستنزفت مقدَّراته، وأرعبت كافة مغتصباته.

اجتمع القائدان أبو شمالة والعطار مع رفيق دربهم القائد أبو إبراهيم في مدينة خانيونس وبدأوا بالتخطيط لتنفيذ عمليات عسكريَّة.

أولاً: عمليَّة موقع محفوظة العسكري[1] (12 يوليو 1994م):

بتاريخ 12 يوليو 1994م، وقع الاختيار على موقع محفوظة العسكري لوجود سيَّاراتٍ للمغتصبين، وكثافة الأشجار في المكان، التي تسمح بالمناورة الميدانيَّة، وخلال طريقهم قام المجاهد أبو إبراهيم بتدريب أبو شمَّالة والعطَّار على قيادة السَّيَّارة، اللذين كانا فطنَيْن في التَّعلُّم، فسُرعان ما أتقنوا القيادة في وقتٍ قياسي.

وعند وصولهم لمسرح العمليَّة كان انتشار المجاهدين كما هو مخطَّطٌ له، حيث أبو شمَّالة والعطَّار وآخرون في تغطية جانب الطَّريق الغربي؛ لإيهام النَّاظر إليهم أنَّ السَّيَّارة بها عطل، أمَّا المجاهد أبو إبراهيم فكان يتولَّى مهمَّة رصد واختيار الهدف، حيث كان الهدف سيَّارةً تُقلّ أكثر من ثلاثة مغتصبين، وبمجرَّد قدوم الهدف استقلَّ سيَّارته، وأرسل إشارةً إلى المجاهدين، من خلال إنارته لمصابيح السَّيَّارة، فامتشقوا أسلحتهم وأخذوا مواقع رمايتهم، ومن نقطة صفر باشروا السَّيَّارة المستهدفة وصبُّوا وابل الرصاص تُجاهها.



מוגבל
- 18 -
שם ראיד צבחי אחמד
עטאר
ת"ז 900248246
מגורים רפיח
מבוקש על: ירי בצומת
הגוש (12/7), ירי בצומת מורג (14/7),
ירי על ציר פילדלפי ברפיח (19/7), ירי
בכיסופים (14/8).

العمليات التي نفذها القائد رائد العطار



מוגבל
- 7 -
שם מחמד אברהים
צאלח אבו שמאלה
ת"ז 900199514
מגורים רפיח
מבוקש על: ירי בצומת
הגוש (12/7), ירי בצומת מורג (14/7),
ירי על ציר פילדלפי ברפיח (19/7),
ירי בכיסופים (14/8).

العمليات التي نفذها القائد محمد أبو شمالة

(1) حاجز محفوظة: هو موقع عسكري صهيوني إستراتيجي يقع على مفترق المطاحن "حاجز أبو هولي" سابقاً، ويُطلق عليه الصهاينة "موقع أورحان" العسكري شمالي منطقة القرارة، ويعدّ ثكنة عسكرية حصينة تشرف على مرور المغتصبين والدوريات العسكرية في المنطقة، ويستخدم مهجعاً لمبيت الجنود، وكان فيه من 40-60 جندياً صهيونياً.

وعندما انتهى المجاهدون من إطلاق النّار، انسحبوا من المنطقة تكتيكيّاً، حيث كان المجاهد أبو إبراهيم ينتظرهم بسيَّارة الانسحاب على مسافة عشرين متراً، منطلِقين للبحث عن هدفٍ جديد، وبعد مرور بُرْهةٍ من الوقت، أعلن الاحتلال الصُّهيوني عن وقوع إصابتين في صفوف جنوده، وُصفت حالتهُما بالمتوسِّطة.

ثانياً: عملية خزاعة (1994):

مثَّلت منطقة خُزاعة بيئةً خصبةً للمجاهدين، يقتنصون من خلالها الأهداف، فلم ينقضِ وقتٌ طويلٌ على تنفيذ العمليَّة السَّابقة، حتَّى جاء راصد القسَّام ببشرى هدفٍ قريبٍ، حينها تجهَّز المجاهدون وأجمعوا على الخطَّة، وسارعوا إلى تنفيذها، حيث تمركز المجاهدون أبو أيمن، وأبو خليل، وأبو هادي خلف الكُثبان الرَّمليَّة في المنطقة ذاتها؛ بغرض استهداف أحد الجيبَات التي تخرج من خندقٍ كانت جرَّافات الاحتلال الصُّهيوني قد جهَّزته حمايةً لدوريَّاتها أثناء مسيرها في تلك المنطقة، فانتظر المجاهدون بالقرب من نهاية الخندق، وبمجرَّد خروج جيبٍ صغيرٍ منه أطلقوا وابلاً من الرَّصاص تجاهه؛ ما أدَّى إلى توقُّفه، وإذ بالجنود الصَّهاينة المُعْتلون لأبراج المراقبة يصبُّون وابل رشَّاشاتهم تجاههم، على إثر ذلك لم يستطيعوا رفع رؤوسهم عن الأرض عشر دقائق، وما أن توقَّفت هذه الرَّشَّاشات عن الإطلاق انسحب المجاهدون بسلامٍ، وأعلن العدوُّ الصُّهيوني عن وقوع عدَّة إصاباتٍ في صفوفه نتيجة هذه العمليَّة.

شهِدت هذه المرحلة إبرام اتِّفاقيَّة السَّلام المزعومة أوسلو، حيث انتقلت كتائب الشهيد عز الدين القسَّام إلى مرحلةٍ جديدةٍ بقدوم السُّلطة الفلسطينيَّة، التي جاءت نِتاجاً لاتِّفاقيَّة أوسلو عام 1993م، والتي تمَّت بين منظَّمة التَّحرير والكيان الصُّهيوني، ليصبح حَمَلة السِّلاح في الأمس لمقاومة الاحتلال هم القائمين اليوم على حمايته، ورعايته، ومنع انطلاق عمليَّاتٍ فدائيَّةٍ ضدَّه، تحت شعار محاربة الإرهاب؛ وبذلك كان على كتائب القسَّام مواجهة الملاحقة الصُّهيونيّة والسُّلطويَّة معاً في آنٍ واحد.

ثالثاً: جولات "مغتصبة موراج" الجهادية (14يوليو 1994م):

لم يدخر المجاهدون من أبناء كتائب القسام جهداً في البحث عن الأهداف الصهيونية المنتشرة في قطاع غزَّة والمناسبة لتنفيذ العمليات وفقا لإمكاناتهم المحدودة، وخلال جولات الرصد جاءت المعلومات عن مغتصبة موراج ومحيطها والتي كانت وجهة للكثير من المركبات الصهيونية ما جعلها مسرحا للمجاهدين في عملياتهم الجهادية.

وبدأت أولى المهمات عندما باغت المجاهدون: رائد العطّار، ومحمَّد أبو شمَّالة، وأبو إبراهيم سيَّارة نقل خضرواتٍ في محيط مغتصبة موراج شرق مدينة رفح يوم 14 يوليو 1994م يوم التَّنفيذ، وقد أعلن الاحتلال الصُّهيوني عن وقوع إصاباتٍ في صفوفه.

وبعد أيام كمن مجاهدو كتائب الشهيد عز الدين القسّام لعربة شحنٍ صُهيونيَّة كانت تجمع القمامة في موراج الشَّرقي، وأطلقوا عليها الرَّصاص من مسافة صفر، وذلك بعد دراسة وجمع المعلومات، ورصد حركة المغتصبين، حيث انطلقت سيَّارةٌ من نوع (بيجو برايفت 504) يستقلُّها العطَّار، وأبو إبراهيم، وأبو هادي، على خطِّ موراج جنوب قطاع غزَّة، تُجاه موقع صوفا العسكري[1]، وقد تمركز المجاهدون في مكانٍ مرتفعٍ قرب المفترق الغربيِّ للخطِّ الشَّرقي، أو ما يُعرف بمنطقة الشَّعوت؛ ليتمكَّنوا من مشاهدة حركة السَّيَّارات.

وبعد رصْد سيَّارةٍ يستقلُّها مغتصبان صهيونيان، تحرَّك العطَّار وأبو إبراهيم تُجاه السَّيَّارة المستهدفة، وأطلقا النَّار عليها ثمَّ انسحبا، بينما كان أبو شمَّالة ينتظرهما في مكانٍ معيَّن، وقد أعلن جيش الاحتلال الصُّهيوني عن إصابة المغتصبين.

---

(1) **موقع صوفا العسكري**: موقع عسكري يقع شرق مدينة رفح بالقرب من معبر العودة الذي يُعرف صهيونيّاً باسم (حاجز صوفا) الذي كان مخصصاً لعبور العمال من قطاع غزَّة للأراضي الفلسطينيَّة المحتلة عام 1948 بين عامي 2000-2005، واستخدم بعد ذلك لإدخال مواد البناء باتجاه قطاع غزَّة، وفي أغلب الأوقات يكون مغلقاً وتكون فيه الإجراءات الأمنية الصُّهيونيّة مشددة.

رابعاً: انتقام الأحرار؛ أبو شمَّالة والعطّار عمليّة السُّلَّم (19 يوليو 1994م):


عملية السلّم البطولية

بعد تنفيذ عدَّة عمليَّات بطولية جهاديَّةٍ في مدينة خان يونس جنوب القطاع، انتقل المجاهدون إلى مدينة رفح؛ فوْر استلامهم عدَّة إشاراتٍ تُفيد بتوفُّر العديد من الأهداف العسكرية. استقرَّ هدف المجاهدين بعد رصدهم جيباً عسكريّاً صغيراً[1] يتجوَّل في جزءٍ من الحدود مع جمهورية مصر العربية، بجوار أرضٍ مغلقةٍ "ذات سور"، فتوجَّه المجاهد أبو إبراهيم برفقة مجاهدٍ آخر لمكان مرور الهدف، كانا في ذلك الوقت يتحرَّكان بِحُرِّيَّة؛ فلم يكونا معروفين عند سكَّان المنطقة؛ لأنَّهما من سكَّان مدينة خان يونس، فكسرا قفل باب الأرض، واستبدلاه بقفلٍ جديد، وهدما حجراً من السُّور، وفتحا أربع فتحاتٍ لإطلاق الرَّصاص من خلالها؛ لأنَّ برج المراقبة الموجود على الحدود المصريَّة الفلسطينيَّة يكشف المكان.

خرج المجاهدون بسيَّارتَيْن؛ سيارةٍ يقودها الشَّيخ طارق أبو الحصين، وتوقَّف بها على امتداد شارع مدرسة خولة بمدينة رفح قبل الطَّريق الحدودي؛ تأميناً للمجاهدين، وسيَّارةٍ أخرى انطلق بها أبو خليل، وأبو أيمن، وأبو بلال، وأبو هادي، كما كانت وجهة المجاهد أبو إبراهيم إلى السلك الحدودي، وذلك غرب البرج بالقرب من بيت أبي خليل، حيث لا يفصل بينهم سوى 600 م، وتركوا السَّيَّارة في شارعٍ ترابيٍّ بين البيوت قريباً من موقع العمليَّة، وقد اجتاز أبو خليل السِّلك الفاصل وبيده قنبلةٌ وقطعة قماش، فوضع قطعة القماش على السِّلك؛ لإيهام العدوّ أنَّ شخصاً يريد التَّسلُّل عبر الحدود والهرب من أعلى السِّلك؛

(1) كان الناس في قطاع غزَّة يطلقون على جيبات الجيش الصُّهيونيِّ الصغيرة، التي كانت تُقل ثلاثة جنود إضافة إلى السائق، اسم "جيب صرصور"؛ لأنه صغير جداً من ناحية، ومن باب التحقير من ناحية أخرى.

وبذلك يتوقَّف الجيب العسكريُّ ويتمكَّن المجاهدون من توجيه رصاصهم تُجاهه؛ نظراً لصعوبة إصابة الهدف -الجيب- أثناء تحرُّكه؛ وفي تلك اللحظة وصل الجيب العسكريُّ للمكان، ولكنَّه لم يتوقَّف؛ ما اضطرَّ المجاهدين للانسحاب إلى بيت الشَّيخ طارق دون تنفيذ العمليَّة.

عاد المجاهدون أدراجهم شاردي الذِّهن، يبحثون عن فكرةٍ أخرى لاستدراج الجنود، حتَّى اهتدى أحدهم لصناعة سُلَّمٍ؛ بهدف استدراج الجنود الذين يستقلُّون الجيب العسكري، فأحضر الشَّيخ طارق لوحَيْ خشب؛ لصناعة سُلَّم، وانطلقوا مرَّةً أخرى لتنفيذ العمليَّة، فعبر أبو خليل معيداً الكَرَّة وواضعاً السُّلَّم على السِّلك، إلى أن قدِم الجيب العسكري باتجاه أبو خليل مشهراً سلاحه فما أن همّ بالتسديد حتى بادر المجاهدون الأربعة بإطلاق النَّار على الجيب من مسافة عشرين متراً، كما ألقى أبو خليل القنبلة عليه، لكنَّها لم تنفجر، ثُمَّ سارعوا إلى خطِّ الانسحاب ثمَّ إلى بيت الشَّيخ طارق.

وفي أوقاتٍ تلت العمليَّة أعلن الاحتلال الصُّهيوني عن مقتل الضَّابطِ الملازم (غي عوفاديا) 23 عاماً، حيث أُصيب بثمانٍ وعشرين طلقة، لكنَّه أخفى ما حلَّ بباقي جنوده.

كما وأوردت صحيفة القدس المقدسيَّة نبأ تلك العمليَّة في عددها الصَّادر في اليوم التَّالي للعمليَّة (20 يوليو 1994م) فقالت: ذكرت مصادر (إسرائيليَّة) أنَّ الضَّابط الذي أُصيب بجروحٍ بالغةٍ بالرَّصاص في العمليَّة التي تبنَّتها حركة حماس، قرب مدينة رفح على الحدود مع مصر، وتوفِّي متأثِّراً بجراحه، كان برتبة ملازم، وقد أُصيب الضَّابط بالرَّصاص عندما نزل من سيَّارته لسحب سُلَّمٍ وُضع على الأسلاك، وبذلك أطلق مجهولون النَّار عليه من منزلٍ مجاور، فردَّت الدَّوريَّة بإطلاق النَّار، وقامت بعمليَّة تمشيطٍ في قطاع غزَّة تُساندها التَّعزيزات.

وأفادت الصحيفة أنَّ رصاصاتٍ فارغة، وقنبلةً يدويَّة، ومنشوراتٍ تحمل توقيع كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام وُجدت في مكان الحادث، ونقلت طائرةٌ مروحيَّةٌ الضَّابط إلى مستشفى في (إسرائيل)، وذكر شهود عيان فلسطينيُّون أنَّ منفِّذي العمليَّة تَوارَوْا عن الأنظار وهم يُردِّدون الله أكبر.

وقد أعلنت حركة حماس مسؤوليَّتها عن العمليَّة، مؤكِّدةً أنَّها جاءت ردّاً على أحداث معبر بيت حانون؛ نقطة العبور الرَّئيسة بين قطاع غزَّة والأراضي المحتلَّة عام 1948م، وقد استُشهد في تلك المواجهات فلسطينيَّان وجُرح نحو مائة، برصاص جنود الاحتلال الصُّهيوني.

سلسلةٌ من العمليَّات الجهاديَّة أثارت حفيظة السُّلطة الفلسطينيَّة، والتي بدورها أوْعزت إلى أجهزتها تشديد الخِناق على رجال المقاومة، ومنع تنفيذ عمليَّات عسكريَّة ضدَّ جنود الاحتلال الصُّهيوني؛ بزعم اتِّفاقيَّات السَّلام مع العدو، وعلى إثر ذلك اعتقل أبو شمَّالة والعطَّار عدَّة مرَّات؛ ما أدَّى إلى إضعاف العمل العسكري في مدينة رفح مدَّة مكوثهما داخل السِّجن، وما إن خرجا من السِّجن حتَّى استعادا التجهيز للعمل العسكريَّ من جديد.

انكسر القيَد فأشعلا الفتيل

شكَّلت حادثة يُسري الهمص[1] نقطة تحوُّلٍ في واقع العمل العسكري، حيث انطلق المجاهدون يواصلون طريقهم، يطوفون الحدود، ويتنقَّلون راصدين أماكن وجود الجنود، فخرج أبو أيمن وأبو إبراهيم ومجاهدٌ آخر، حينها كان أبو خليل لايزال يرقد في فراش الإصابة، ولا يستطيع الخروج، تمكَّن المجاهدون من تحديد الهدف، وبدأت عمليَّات التَّخطيط لقطع الشَّريط الإلكتروني الحدودي، ووضع عبوَة على أشواك الصَّبَّار في السِّلك الخارجي، فصنعوا ثغرةً في الشَّريط الخارجي، ووضعوا بها عبوَّة أفراد، ثمَّ انسحبوا من ذلك المكان.

(1) لمزيد من التفاصيل، أُنظر (حادثة مقتل الرَّائد يُسري الهمص) صفحة 83.

وبعد وضع العبوَّة قدِمت دوريّةلجيش الاحتلال الصهيوني من منطقة (تل زعرب) مقابل القطع –منطقة الاستدراج–، فتوقَّفتْ مشعلةً إناراتها –الكشَّافات–، ففجرّ المجاهدون العبوّة، حيث أحدثت انفجاراً شديداً وأصدرت صوتاً عالياً، فقد كانت تزِنُ ثمانية كيلو غرامات، وبعدما حدث التَّفجير أطلق المجاهدون الرَّصاص عليها من مسافةٍ لا تزيد على 100 متر، وانسحبوا أدراجهم بعد تنفيذ العمليَّة البطوليَّة بسلامٍ وأمان، فقد وُشِّح يوم 19 نوفمبر 1994م ببراعة المجاهدين في استدراج الجنود الصَّهاينة الغاصبين.

وما برح المجاهدون يتنقَّلون في معركة الكرّ والفرّ مع جيش الاحتلال الصهيوني، حتَّى جاء يوم 1 ديسمبر 1994م، حيث قرّر المجاهدون زرع عبوة ناسفة أخرى على السّلك الحدودي، تستهدف دوريّةً متحرّكة، حيث حظي بشرف التنفيذ القائد أبو أيمن ومجاهدٌ آخر.

خامساً: عمليَّة غوش قطيف الاستشهاديَّة (٢٩ أكتوبر ١٩٩٨م):

مع تراكُم الخبرات برع القائدان في ابتكار أساليب مباغتة العدوّ بدهاءٍ وفطنة لا يُدركها العدوُّ، لينتقلوا إلى جولةِ تحدٍّ جديدةٍ فريدة، رُوَّادها ثلاثيُّ شعلة الجنوب أبو أيمن وأبو خليل وأبو إبراهيم، إلى جانب الشهيد القائد سعد العرابيد، فقد أجمَعوا أمرَهم وأرسوا خُطَّتَهم على تنفيذ عمليَّةٍ استشهاديَّة أشرف القائد العام أبو خالد الضيف على دقيق تفاصيلها، فتواصلوا مع أبي محمَّد الجعبري فور خروجه من السِّجن؛ حيث رشّح استشهاديّاً لتنفيذ العمليَّة أثناء زيارته مهنِّئين إيّاه بخروجه من السِّجن، فكان الاستشهادي صهيب تمراز[1].

باشر القادة الثَّلاثة عمليَّة التَّجهيز،حيث اشتروا سيَّارةً من نوع أوبل من أحد المعارض بهويَّةٍ مزوَّرةٍ، ثمَّ زوّدوها بالمواد المتفجِّرة والعبوات النَّاسفة، وبعد جولات

(1) **صهيب عبد الرحمن تمراز**: ولد في مخيم جباليا عام 1980م، من بلدة أسدود، عرف عنه التزامه في مسجد الخلفاء الراشدين، بايع جماعة الإخوان المسلمين عام 1997م، ارتقى شهيداً بعد تنفيذه عملية استشهادية في مغتصبة كفار داروم جنوب قطاع غزَّة بتاريخ 29 أكتوبر 1998م، وكان عمره عند استشهاده 18 عاماً.

الرَّصد المتعاقبة، بات الهدف جليّاً لدى المجاهدين، باصٌ صهيونيٌّ يسير من طريق (كيسوفيم) شرقاً حتَّى (كفار دروم) غرباً، ثمَّ من طريق المطاحن وغوش قطيف إلى شمال مدينة خان يونس، فكان التَّخطيط أن يتوقَّف صهيب مستقلّاً السَّيَّارة في أحد الشَّوارعِ التُّرابية غرب منطقة المطاحن تُجاه مدينة خان يونس، حيث يُقابل الباص بالقرب من منطقة (محفوظة).

وما أنْ وصل الباص، وكان بجانبه جيب عسكري، حتَّى أُعطي صهيب الإشارة، فخرج بسيَّارته من الشَّارع التُّرابي، فنادى سائقُ الجيب على سائق الباص وأمرَه بالتَّوقُّف، فقد أثار ريبَتَه خروج سيَّارةٍ من شارعٍ ترابي، ولكنَّ صهيب زاد سرعة السَّيَّارة وفجرّ نفسه بالباص والجيب، ليُعلن الاحتلال الصُّهيوني بتاريخ 29 أكتوبر 1998م يوم التَّنفيذ عن مقتل جنديٍّ صُهيونيٍّ وإصابة اثنين آخرَيْن.



الشهيد / صهيب تمراز

أُصيبت السُّلطة الفلسطينيَّة بحالةٍ من التَّوتُّر بعد نجاح العمليَّة البطولية، واستدعت مجاهدي كتائب القسَّام؛ للتَّحقيق معهم بشأن العمليَّة، وقد تواصلت أجهزة السلطة مع جيش الاحتلال الصُّهيوني الذي أمدَّهم ببعض المعلومات، وطلب منهم المساعدة في البحث عن دقائق التَّفاصيل التي تتعلَّق بالمنفِّذ، فأخذ (عناصر السُّلطة) منهم رقم سيَّارة المنفِّذ، وتوجَّهوا لصاحب معرض السيارات، لكنَّ المجاهدين كانوا قد اشتروا السَّيَّارة بهويَّةٍ مزوَّرة، غير أن أجهزة السلطة الفلسطينية لم تكل من مواصلة مهمة البحث عن المجاهدين المنفذين.

سادساً: عمليّة موقع كيسوفيم العسكري (14 أغسطس 1994م):

في إطار سلسلة العمليات القسامية البطولية التي قادها الثلاثي قادة الجنوب، فقد واصل المجاهدون القساميون رصد أهدافهم حتى كان يوم 14 أغسطس 1994م، اليوم المشهود، حيث استقلّ القادة مركبة التّنفيذ من نوع بيجو 504 وجلس في المقعد الأمامي القائد أبو خليل، والمجاهد أبو ابراهيم المقعد الخلفي، لينطلق المجاهد أبو صخر (السائق) برفقة المجاهدان صوب شارع صلاح الدِّين شمال طريق المطاحن، لتستقرَّ في طريق مغتصبة كيسوفيم [1]، وبدأ المجاهدان ينتظران قدوم هدف سيَّارةً تُقلُّ أكثر من خمسة أشخاص.

انقضى وقت الانتظار سريعاً حتَّى قدِمت سيَّارةٌ من نوع فورد ترنزيت، يزيد عدد مُستقلِّيها على خمسة مغتصبين صهاينة، فما إن أبصرها المجاهدان حتَّى انطلقا يطاردانها، إلى أن توازت السَّيَّارتان متقابلتين، ليبادر أبو خليل وأبو إبراهيم بإطلاق النَّار من النَّوافذ عن مسافة صفر. حيث أدخل المجاهدان فُوَّهات البنادق داخل سيَّارة الهدف، ما أدّى إلى انحرافها بجانب الطَّريق، وتوقُّفها، لتتقدَّم بعدها شاحنةٌ تجاه المجاهدين تحول بينهم، ما اضطرَّهم للانسحاب، حيث كانت الوُجهة إلى منزل القائد العسكري أبو البراء لإطلاعه على نتائج العمليَّة، لتَبُثَّ إذاعة العدو وتعلن عن مصرع جنديٍّ واحدٍ ووقوع أربع إصابات، منها إصابتان حرِجتان.

(1) كيسوفيم: مغتصبة تقع شمالي غرب صحراء النقب متاخمة لقطاع غزَّة وتقع ضمن اختصاص ما يُسمى (بالمجلس الإقليمي أشكول)، كان عدد سكانِّها 120 شخصاً، أنشأها عام 1951، من أعضاءه في حركة الشباب الصُّهيونيّ الذين هاجروا من الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية؛ أمَّا موقع كيسوفيم العسكري: فهو موقع يمتد على عشرات الدونمات الزراعية، وله ما لا يقل عن ثلاث بوابات، ومحصَّن كثيراً جداً بالكتل الخرسانيَّة الضَّخمة، فضلاً عن الكثبان الرملية، ويحتوي على أبراج مراقبة عسكرية متعددة الأشكال ومحصنة، ومجهَّزة بالأسلحة الآلية الرَّشاشة، فضلاً عن انتشار كاميرات التصوير والمراقبة، وهو يضم مربضاً للدبابات، ويحتل الموقع مساحات واسعة من أراضي المواطنين شرق القرارة ووادي السَّلقا اللتين يفصل بينهما ما يُعرف بطريق كيسوفيم الذي كانت تمر عبره سيارات المغتصبين إلى تجمع مغتصبات غوش قطيف قبل انسحاب قوات الاحتلال ومستوطنيها من القطاع عام 2005م.

القائدان.. على قائمة المطلوبين للسُّلطة الفلسطينيَّة

إنَّ من أجلِّ مرامي أهداف تشكيل السُّلطة الفلسطينيَّة، تكبيلَ المقاومة الفلسطينيَّة وكبْحَ جماحها، فما أنْ قدِمت حتَّى باشرت بتنفيذ خططها المرسومة، وبدأت بالتَّضييق على مجاهدي كتائب القسَّام، ثمَّ تجرَّأت بإطلاق النَّارِ عليهم، وصولاً إلى الاعتقالات المتكرِّرة، وإلصاق التُّهم الملفَّقة لهم زوراً وبُهتاناً؛ بهدف التَّخلُّص منهم، وكان من أبرز تلك التُّهم: حادثة مقتل يُسري الهمص، ورفعت جودة.



الرائد / يسري الهمص

حادثة مقتل الرَّائد يُسري الهمص

لاحق جهاز الأمن الوقائي القائدين رائد العطَّار ومحمد أبو شمَّالة عدَّة مرَّات، وحاول مدير جهاز الأمن الوقائي في مدينة رفح اعتقال أبي أيمن كثيراً، غير أنَّ تحرُّكه بحقيبة المتفجِّرات على ظهره، والحزام النَّاسف على وسطه حال بينه وبين ما يريدون.

وفي يوم 19 سبتمبر 1994م، وأثناء سير أبو أيمن وأبو خليل بسيَّارة يستقلانها متَّجهيْن إلى منطقة تلِّ السُّلطان غرب مدينة رفح، فإذا بإحدى سيَّارات جهاز الأمن الوقائي تعترض طريقهما، حيث ملئت الضغينةً قلوب قيادة هذا الجهاز لكلٍّ من العطَّار وأبو شمَّالة منذ أمد، فطالبتهما بالتَّوقُّف وتسليم أسلحتهما، ولكنَّهما رفضا الاستسلام، وتزامن هذا الموقف مع مرور يُسري الهمص (ضابطٌ في المخابرات)، الذي يسكن في منطقة الحدث ذاتها، فتدخَّل بدوره لإنهاء الخلاف، وحاول الفصل بين الطَّرفين؛ لمنع تطوُّر الحدث بينهم، حيث استقلَّ سيَّارة المجاهدين؛ لتأمين مغادرتهم دون وقوع أيِّ إشكال، إلَّا أنَّ أفراد الأمن الوقائي أطلقوا النَّار تُجاه السَّيَّارة؛ ما أدَّى إلى مقتل الرَّائد يُسري الهمص، وإصابة رائد العطَّار بجروحٍ خفيفةٍ في قدمه، أمَّا محمَّد أبو شمَّالة فقد أُصيب إصابةً خطيرة.

نُقل القائدان العطّار وأبو شمّالة إلى مستشفى ناصر في مدينة خان يونس، وأُدخل أبو خليل غرفة العناية المشدّدة، وتمّ عمل جبيرةٍ من الجبس لقدم أبي أيمن، وانتشرت قوّات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية وملأت أرجاء المستشفى، واعتقلت إخوة رائد العطّار الذين وصلوا للمكان بعد إبلاغهم بالخبر، وكذلك اعتقلت المجاهدَيْن أبو إبراهيم، وأبو محمد، حيث استجوبتهما عن المواقع العسكريّة ومواضع التّدريب وإخفاء الأسلحة، وكذلك حققت معهما فيما يتعلّق بالتّسليح، وقد أشرف على طاقم التّحقيق مسؤول المباحث في قطاع غزّة، وبعد ثلاثة أيّام أفرج عنهما.

في مدة التّحقيق هذه كان المجاهدان يرسفان في مقرّ شرطة خان يونس على ذمة اللواء غازي الجبالي -المدير العام للشرطة-، فتدخّلت حركة حماس بقيادة الدُّكتور محمود الزّهار، وأُطلق سراح المجاهدين أبو إبراهيم وأبو محمد.

عمل جهاز الأمن الوقائي على تأجيج الوضع، حيث اتّهم القائدان العطّار وأبو شمّالة بمقتل الرّائد يُسري الهمص، وطالب عناصر هذا الجهاز بإحراق بيتيْهما، وعندما علِم رائد العطّار بهذا الأمر هرب من المستشفى، وتوجّه إلى بيت عائلة الهمص وأخبرهم بما حدث، فطالبت عائلة الهمص بالتّحقيق في مقتل ابنها يُسري، ومكث العطّار في بيت الدُّكتور عبد العزيز الرّنتيسي، وكانت والدة الدُّكتور تقوم على رعايته.

أمّا أبو خليل أبو شمّالة فقد نُقل إلى مستشفى الشّفاء بمدينة غزّة؛ لخطورة حالته، تحت حراسةٍ أمنيّةٍ مشدّدة، ثمّ مُنعت عنه الزّيارة منعاً تامّاً. وفي السّاعة الحادية عشرة من ليلة 11 أكتوبر 1995م حاصرتْ قوّاتٌ كبيرةٌ من الأجهزة الأمنيّة مستشفى الشّفاء، واعتقلتْ محمّداً، غير آبهةٍ بتردّي حالته الصّحّيّة، فلم يكن قد مرّ على إصابته سوى عشرين يوماً، واقتِيد إلى الاعتقال.

وفي صباح اليوم التّالي أعلن راديو الكيان الصُّهيوني النّاطق باللغة العربيّة عن وفاة محمّد أبو شمّالة، متأثّراً بالجراح التي أصيب بها، كما ونشرت ذلك جريدة القدس.

وعند سماع والدة محمَّد -أمُّ خليل- الخبر انتابتْها مشاعر قلقٍ كبيرة، وكأنَّ السُّلطة تُدبِّر أمراً مع قوَّات الاحتلال، فانطلقت مع الصَّباح الباكر برفقة ابنها الأكبر خليل وعمِّه يوسف إلى مستشفى الشِّفاء بغزَّة؛ للاطلاع على حقيقة الخبر، فلم يجدوا محمَّداً؛ وبعد مساعٍ حثيثة من أهله علموا بوجوده في إحدى زنازين السُّلطة. في تلك الأثناء بدأت قيادة حركة حماس بمساعٍ حثيثة؛ من أجل الإفراج عن محمَّد، وقد تكلَّلت تلك المساعي بالنَّجاح، فقد خرج محمَّد في مساء اليوم نفسه، وسط استقبالٍ مَهيبٍ من الأهل والجيران.

في حِينِها حاول وزير الدَّاخلية اللواء نصر يوسف توجيه أصابع الاتِّهام إلى عناصر حركة حماس بقتل الرَّائد يُسري الهمص، وذلك قبل التَّحقيق، غير أنَّ قادة السُّلطة ثبت لهم من خلال تشريح جثَّة الرَّائد المغدور أنَّه قُتل برصاص رجال الأمن الوقائي.

وقد دفع الحادثُ الطَّرفين السُّلطة وحماس ولأوَّل مرَّة إلى طاولة الحوار، حيث استغرق اللقاء الذي عُقد بين الجانبين أكثر من ثلاث ساعات متواصلة، والذي تركَّز حول ضرورة كشف ملابسات حادث اغتيال يُسري الهمص، وبعد مرور عامٍ على تلك الحادثة اعتدى جهاز الاستخبارات الفلسطيني مرَّةً أخرى على المجاهديْن.

فقد خرج أبو أيمن وأبو خليل لمنطقة خِرْبَة العدس[1]" في مدينة رفح، فحضرت قوَّةٌ من الاستخبارات واعتقلتهما، وأمضيا في سجونها سبعة أشهر، وكان ذلك نهاية عام 1995م.

(1) **خربة العدس**: تقع في شمال شرق مدينة رفح، كانت تزهر في أرجائها أشجار البرتقال، وهي منطقة زراعية تحدها من الشمال قرية مصبح ومن الجنوب طريق عوني ضهير المؤدي إلى وسط البلد ومن الشرق حي الجنينة ثم قرية الشوكة ومن الغرب مخيم الشابورة للاجئين كما أنها منطقة مرتفعة نسبياً وتشرف على مساحة جيدة من مدينة رفح.

ما لبث القائدان بضعة أشهر خارج السِّجن حتَّى عادت السُّلطة لاعتقالهما مرَّةً أخرى، وذلك عام 1996م، عقب استشهاد القائد المهندس يحيى عيَّاش[1] وثأر القسَّامِ لاستشهاده، كان ذلك بعد إصدار توصيات المؤتمر الدَّولي الذي عُقد في شرم الشَّيخ بتاريخ 13 مارس 1996م، وقد شاركت فيه ثلاثُ وثمانون دولة، وقد رَشَحَ عنه ضرورة مكافحة ما أسموه الإرهاب العربي الفلسطيني، الذي سارعت السُّلطة الفلسطينيَّة إلى العمل بتوصياته.


القائد الشهيد / يحيى عياش

سُجن معظم المطارَدين ومنهم القائدان محمد أبو شمَّالة ورائد العطَّار، ومكثوا في سجون السُّلطة ما يقرُب من خمسة أشهرٍ ونصف، كابدوا خلالها مرارة السجن وسطْوة السَّجَّان، حتَّى جاء قرار الرَّئيس القاضي بالإفراج عنهم، فأُطلق سراحهم ضمن قضيَّة "إنهاء ملف المطارَدين"، ليتمَّ تفريغهم وإحالة قيودهم إلى أجهزة السُّلطة، بذريعة توفير غطاءٍ أمنيٍّ لهم، وسعياً من السُّلطة في احتوائهم، والحيلولة دون مقاومتهم للاحتلال الصُّهيوني، فقد تمَّ تنسيب أبي أيمن وأبي خليل إلى جهاز الشُّرطة، وتمَّ تفريغ معظم المطاردين على جهاز الأمن الوقائي.

(1) يحيى عبد اللطيف عيّاش (1966-1996م): المهندس الأول وأحد القادة العسكريين في كتائب القسّام، ولد في 22 مارس 1966م في قرية رافات قرب مدينة نابلس، تخرّج في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة بيرزيت، وتزوج عام 1991م، ورُزق بابنه البراء عام 1993م، التحق بحماس عام 1989م، وبدأ نشاطه العسكري في كتائب القسّام عام 1992م. جهّز العديد من العمليات الاستشهادية في أرجاء الوطن بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة، وكان أولها سيارة مفخخة عام 1993 اكتشفها الاحتلال، وبدأت المطاردة. لقبته وسائل الإعلام الصهيونية بـ(الثعلب، الرجل ذو الألف وجه، العبقري، وغيرها). استشهد في 5 يناير 1996م في أحد المنازل شمال قطاع غزَّة، بعد تفجير قوات الاحتلال لهاتف خلوي مفخخ أوصله للعيّاش عن طريق أحد العملاء.

انضمَّ القائدان إلى جهاز الشُّرطة برتبةٍ متدنِّية، وبراتبٍ لا يزيد على 1200 شيكل، واعتمدا ضمن جهاز الشُّرطة الفلسطينيَّة، وخضعا لدورة الضُّبَّاط وتميَّزا في اجتيازها، إلا أنَّهما لم يسلما من بطش السُّلطة، حيث ألصَقت بهما الاتِّهامات العديدة، فحُوصرا مراراً وسُجنا تكراراً، ومع وطأة الظُّلم المتعدِّد الذي وقع على الثُّنائي أبو خليل وأبو أيمن من سجنٍ لثمانية عشرَ يوماً، وخضعا لتحقيقٍ قاسٍ في زنازين الأمن الوقائي، لم يُقدِّم قادة الشُّرطة الفلسطينيَّة لهما أيَّ اعتذارٍ عمَّا وقع عليهما ظُلماً وبُهتاناً، بل وأصدروا قراراً لاحقاً يقضي بفصلهما من الشُّرطة الفلسطينيَّة.

محاولة اغتيال محمَّد أبو شمَّالة بواسطة السُّم عام 1997م:

استخدم ضبَّاط الأمن الوقائي أساليبَ شتَّى؛ للتَّخلُّص من محمَّد، ومنها محاولة قتله بالسُّم، يقول أخوه رائد: "في إحدى المرَّات دخلْتُ على محمَّد أثناء وجوده في غرفته وهو يتقيَّأ باستمرار، لدرجةٍ كبيرةٍ لم يتمكَّن معها من الوقوف، وبقي مُلقًّى على الأرض فوق القيء الذي ملأ وجهه ورأسه، فصرختُ بأعلى صوتي: الحقوا محمَّد، وذهبتُ مسرعاً تجاه عيادة الوكالة؛ لإحضار سيَّارة إسعاف، وتوجَّهْنا به إلى قسم الاستقبال والطَّوارئ، واستمرَّ التَّقيُّؤ مع إسهالٍ شديد؛ لدرجة أنَّه أصبح غير قادرٍ على التَّحكُّم في نفسه، وكان يقول: "أنا سأموت على فراشي مثل خالد بن الوليد، أنا لا أريد ذلك"، وكان يتمنَّى الشَّهادة في المعارك وفي ساحات المواجهة مع الأعداء، وبقي أخي محمَّد في قسم الباطنة بمستشفى ناصر ثلاثة أيَّامٍ متواصلة، وشخَّص الأطبَّاء حالتَه على أنَّها حالة تسمُّم، ويُعتقد أنَّ أحد أفراد الأجهزة الأمنيَّة هو الذي قام بذلك؛ للتَّخلُّص من أخي محمَّد".

يضيف أخوه: كان ذلك أثناء تناوُله طعاماً في أحد البيوت التي كان يتنقَّل فيها، وفي أثناء زيارة والدتي له في المستشفى قالت له: "لقد تعرَّضت للتَّسمُّم"، فردَّ أخي محمَّد قائلاً: "نعم يا أمِّي أعرف أنَّه تسمُّم"، وكان محمَّد يعلم البيت الذي تناول فيه الطَّعام المسموم، لكنَّه رفض الحديث وفضَّل الصَّمت".

حادثة مقتل النَّقيب رِفعت جودة:


النقيب / رفعت جودة

لم يتوقَّف مجاهدو القسَّام وخاصَّةً أبو شمَّالة والعطَّار وأبو إبراهيم عن تنفيذ العمليَّات العسكريَّة، فبالرَّغم من التَّشديدات الأمنيَّة وحملات الاعتقال والمراقبة، إلَّا أنَّهم قرَّروا تنفيذ عمليَّة خطفٍ لجنديٍّ صهيوني؛ ليتمكَّنوا من إبرام صفقة تبادل، يتمُّ بموجبها الإفراج عن عددٍ كبيرٍ من المعتقلين ذوي المحكوميَّات العالية، فقد رتَّب الشَّهيد سهيل أبو نحل زيارةً خاصَّةً للشَّباب مع الشَّيخ أحمد ياسين، وفي تلك الجلسة تسلَّموا "ثلاثين ألف دولار"؛ لدعم العمل العسكريِّ القسَّاميِّ ضدَّ الاحتلال، فاشترى محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، وأبو إبراهيم جيباً من نوع نيسان أحمر اللون، وأخفوه في مدينة رفح، واختاروا مجموعةً من الشَّباب غير المطارَدين لتنفيذ العمليَّة، وسلّموهم الجيب قبل ثلاثة أيَّامٍ من موعد العمليَّة؛ ليتدرَّبوا على قيادته وإجراء التكتيكات العسكريَّة من خلاله.

في ذلك الوقت كان عناصر ومخبرو جهاز الأمن الوقائي يراقبون المجاهدين الثَّلاثة أبو شمَّالة، والعطَّار، وأبو إبراهيم على مدار السَّاعة، فما كان أحدهم يخرج من بيته حتَّى تتبعه سيَّارة الأمن الوقائي.

توجَّه المجاهدون: أبو شمَّالة، والعطَّار، وأبو هادي في تمام الساعة الواحدة والرُّبع من بعد ظهر الاثنين بتاريخ 1 فبراير 1999م، إلى شرق مدينة رفح؛ للالتقاء بأحد المجاهدين واستكمال ترتيبات العمليَّة، لينطلقوا بعدها تُجاه منطقة المحطَّة، وعندما اجتازوا مسافةً لا تزيد على أربعين متراً، اعترضت طريقهم قوَّات الأمن

الوقائي، تحت تهديد السِّلاح، وطالبوهم بالاستسلام، ولكنَّهم رفضوا ذلك، مستذكرين ألوان العذاب والظُّلم التي تعرَّضوا لها من هؤلاء، وأشهروا مسدَّساتهم، وأسندوا ظهورهم الى بعضهم بعضاً؛ استعداداً للمواجهة.

في تلك اللحظة رأى المجاهدون أنَّ الرُّعب قد دبَّ في قلوب عناصر جهاز الأمن الوقائي، فبدأوا بالانسحاب التَّدريجيِّ من المكان، حتَّى وصلوا إلى طريقٍ فرعيَّة، فركضوا عبرها، في لحظةٍ بدأ فيها عناصر الأمن الوقائي بإطلاق الرَّصاص عليهم بكثافة، فرمى عليهم أبو خليل قنبلةً لكنَّها لم تنفجر، إلَّا أنَّها أمدَّتهم ببضع ثوانٍ قفزوا خلالها من جدارٍ إلى جدار، إلى أن وصلوا بيتاً في منطقة معن، حينها تفاجأ أبو خليل، وأبو هادي أنَّ رفيق دربهما أبو أيمن قد ضلَّ الطَّريق عنهما، ولا يُعلم أين اختفى.

حينها أكمل المجاهدان أبو خليل، وأبو هادي اختباءهما، وبعد أنْ تأكَّدا من انسحاب القوَّات من المكان، جلسا كي يستريحا ويلتقطا أنفاسهما، وخلال مكوثهما في البيت شغلا جهاز راديو كان في الغرفة وإذ بهما يتفاجآن بخبر مقتل الضَّابط رفعت جودة خلال محاولة اعتقال ثلاثة أشخاصٍ بالقرب من منطقة معن -حسبما أعلنته إحدى الإذاعات-.

حينها اتَّصل أبو خليل بياسر أبو سمهدانة -أحد قيادات الشُّرطة الفلسطينيَّة في ذلك الوقت- فطالبهم بتسليم أنفسهم؛ لأنَّهم متَّهمون بقتل النَّقيب رفعت، فأنهى أبو خليل الاتِّصال في دهشةٍ تملؤ المكان، فكان القرار بالانتقال إلى مدينة غزَّة، فاستقلَ ورفيق دربه أبو هادي سيَّارةً يقودها أحد المجاهدين وانطلقوا تجاه مدينة غزَّة حتَّى وصلا بيت القسَّامي أبو معاذ في حيِّ الزّيتون، فاكتشفا أنَّ الأخير مطلوبٌ هو أيضاً للشُّرطة الفلسطينيَّة، فدلَّهما على بيتٍ آخر، وقبل المغادرة والتَّوجُّه إلى هذا البيت طلب المجاهدان أبو خليل وأبو هادي من المجاهد أبو معاذ البحث عن رفيق دربهما الثّالث أبو أيمن وإخباره بمكان اختبائهما، بعد أن فرقَّهما حدث منطقة معن عنه.

وصل أبو خليل وأبو هادي إلى البيت بعد عناءٍ كبير، فأخذا قسطاً من الرَّاحة، وفي هذه اللحظة طرق الباب، فقفز أبو خليل وجهَّز نفسه مشيراً إلى أبو هادي بالاستعداد لأيِّ طارئ، وتقدَّم أبو خليل تُجاه الباب وأمسك بمقبضه، وما أن فتحه حتَّى كانت المفاجأة، حيث إنَّ الطَّارق هو رفيق الدَّرب وتوأم الرَّوح أبو أيمن، فطارا من شدَّة الفرح، ولقد أرادت قيادة جهاز الأمن الوقائي آنذاك أن تتَّهم عناصر القسَّام أبو خليل، وأبو أيمن، وأبو هادي بقتل النَّقيب جودة، وبذلك تتخلَّص منهم بمحاكمةٍ أو باغتيال، ومن جهةٍ أخرى تُبعد عن نفسها تهمة قتل أحد عناصرها، ولو بطريق الخطأ، وبذلك تُحقِّق أهدافها التي رسمتها، فلاحقتهم من بيتٍ إلى آخر.

وتعرَّض بيت أبو خليل لعمليَّات اقتحامٍ وتفتيشٍ من عناصر جهاز الأمن الوقائي؛ وقد ذاقت أمُّ خليل وأبناؤها أصنافاً شتَّى من العذاب على يد أجهزة السُّلطة، فقد عبثوا وخربوا محتويات المنزل، وسحبوا زوجة أخيه من رأسها ودفعوها إلى الأرض بقوَّة؛ ما أدَّى إلى إصابتها، وتعالت الضَّحكات السَّاخرة والاستفزازيَّة المنبعثة من العناصر المنتشرة فوق جدران المنزل، فصاحت أمُّ خليل بهم لتُسمعهم جميعاً قائلة: "إنَّ أفعالكم ليست سوى أفعال يهودٍ صهاينة".

هذا وقد وضعت قوَّات جهاز الأمن الوقائي منازل القادة محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، وأبو هادي تحت المراقبة والرَّصد، وأكثرت من المداهمات لها كلَّما دخلها شخص، وكذلك أكثرت من حملات التَّفتيش، والعبث في أرجاء المنزل لمرَّاتٍ عديدة، واعتقلت عدداً من إخوانهم، وأذاقتهم أشدَّ ألوان العذاب في سجن مدينة رفح.

وقد رصد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان في غزَّة ما حدث آنذاك، فذكر قائلاً: اعتقلت قوَّات جهاز الأمن الوقائي أكثر من ثلاثين مواطناً في مدينة رفح في 1 فبراير 1999م، على خلفيَّة مقتل النَّقيب رفعت جودة، وقد رافقتْ عمليَّات الاعتقال هذه حملات تفتيشٍ ومداهمةٍ للمنازل، ومصادرة أجهزة الحاسوب، كما وتعرَّضت النِّساء للشَّتم والسَّبِّ بألفاظٍ نابيةٍ واستخدام العنف والقوَّة المفرطة على يد جهاز الأمن الوقائي الذي نفَّذ الاعتقالات.

تواصلت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس مع حركة فتح والسُّلطة، فقد اتَّصل (أبو جميل) _أحد قادة حماس_ بعناصر فتح، وسأل عن تفاصيل حادثة مقتل رفعت جودة، فأخبروه أنَّه قُتل برصاصةٍ أُطلقت من سلاح كلاشنكوف، وأكَّد مسؤول الطِّبِّ الجنائي هذا الأمر؛ ما يُدلّل على براءة المجاهدين، فلم يكن معهم سوى مسدَّسات، لذلك طلب أبو جميل من شقيق العطّار الحصول على التَّقرير الطِّبِّي؛ لإثبات براءتهم، ولكنَّ صعوبة الأوضاع وخطورتها حالتْ دون ذلك، فقد انتشرت قوّات الأمن، وأقدمت على حملة اعتقالاتٍ واسعة، فكان الحصول على التَّقرير أمراً في غاية الصُّعوبة.

شعرت قيادة حركة حماس بالخطر الشَّديد على مجاهديها القسَّاميِّين الثَّلاثة، بعدما تبيَّن أنَّ السُّلطة تتَّجه إلى التَّخلُّص منهم بالجملة، فأجرَتْ قيادة الحركة مفاوضاتٍ مع قيادة جهاز الأمن الوقائي؛ من أجل تسليم المجاهدين والتَّحقيق معهم دون أنْ يُعتدى عليهم، فإذا لم تُثبِتْ إدانتهم، تفرج عنهم بسرعة، وكانت قيادة الحركة تعلم علم اليقين ببراءتهم جميعاً من مقتل ضابط جهاز الأمن الوقائي في رفح، وقد تعهَّد العقيد في جهاز الأمن الوقائي (سمير المشهراوي) بالإفراج عنهم في حال ثبوت براءتهم.

وفي 10 فبراير من العام ذاته، سلّم المجاهدون الثَّلاثة أنفسهم، حيث كان في انتظارهم العقيد (سمير المشهراوي) وبرفقته عدد من الضُّبَّاط من غزَّة.

دخل المجاهدون الثَّلاثة سجن جهاز الأمن الوقائي في منطقة تلِّ الإسلام –تلُّ الهوى سابقاً– بمدينة غزَّة، وفوْر وصولهم أُدخلوا الزَّنازين، وتعرَّضوا لأبشع وأشدِّ عمليَّات التَّعذيب والتَّنكيل التي عرفتها سجون السُّلطة؛ بهدف إجبارهم على الاعتراف، كما وقد استغلُّوا جرح ذراع المجاهد العطَّار في التَّعذيب، ثمَّ اعتقلوا الدُّكتور محمود الزَّهَّار؛ بسبب تقديمه الإسعافات الأوَّليَّة للعطَّار، واستغلُّوا الإعلام في التَّرويج ضدَّ المجاهدين، وإظهارهم بصورة القتلة والمطلوبين للعدالة.

وذكر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أنَّ الشَّباب الثَّلاثة سلَّموا أنفسهم بتاريخ 10 فبراير 1999م، وتمَّ تحويلهم إلى محكمة أمن الدَّولة العليا، وعقدت المحكمة أولى جلساتها بتاريخ 25 فبراير 1999م، وتفاعل الشَّباب مع القُضاة الذين بدورهم أخبروهم أنَّ مدَّة حُكم أبو خليل، وأبو هادي ستكون ما بين 5-3 أشهر، أمَّا أبو أيمن فستكون مدَّة حكمه 12 شهراً؛ لأنَّه أطلق رصاصتين في الهواء، وأخذت القضيَّة في الإعلام صدًى كبيراً، ونقل الشَّباب لسجن السَّرايا في زنازين انفراديَّة، وقبل عقد المحكمة لجلستها الثّانية بيومٍ واحد جاء نقيبٌ في جهاز الأمن الوقائي، وأخبر المجاهدين أنَّ العطَّار وأبو شمَّالة سيُحكم عليهما مؤبَّداً، أمَّا أبو هادي فسَيُحكم عليه 15 سنة، حينها لم يتوقع المجاهدون هذا الإجرام.

وأوردت صحيفة القدس في متابعتها للمحاكمة ما يلي: اتَّخذت قوَّات الأمن الفلسطينيَّة إجراءاتٍ مشدَّدة، حيث أُغلق الشَّارع المؤدّي للمحكمة من جميع الاتِّجاهات، وذلك بعد المشادَّات الكلاميَّة في جلستها الأخيرة والأحداث التي شهدتْها مدينة رفح، ولم يتمكَّن من الدُّخول سوى بعض الصَّحفيِّين وحاملي البطاقات الخاصَّة، وكانت مجموعةٌ من قوَّات التَّدخُّل وحفظ النِّظام برئاسة مدير الجهاز، وفُصل بين عائلات المتَّهمين وعائلة المغدور.

وكانت هيئة محكمة أمن الدَّولة قد شُكِّلت وعين رئيسها والأعضاء، وأعلن رئيس المحكمة في الجلسة الخامسة التي عُقدت بتاريخ 10 مارس 1999م، تجريم المتَّهم رائد العطّار بالإجماع، وهو موقوفٌ اعتباراً من 10 فبراير 1999م بالتُّهم المسندة إليه من النِّيابة العامَّة والواردة في لائحة الاتِّهام، وحكمت عليه بالإعدام رمياً بالرَّصاص.



هيئة محكمة أمن الدولة

وقال اللواء فريد القطب ـ رئيس هيئة محكمة أمن الدولة ـ: "إنَّ المحكمة عدَّلت الوصف القانوني للتُّهم المنسوبة للمتَّهم الثّاني محمَّد أبو شمَّالة المعتقل اعتباراً من 10 فبراير 1999م، وحكمت عليه بالسَّجن المؤبَّد، وأبو هادي بالسَّجن 15 سنة" ومع صدور قرار المحكمة هتف المُتَّهمون بالتَّكبير والتَّهليل غاضبين، وصرخوا قائلين: (حسبنا الله ونِعْم الوكيل).

وفوْر تنامي خبر المحكمة الهزليَّة إلى أهالي رفح، خرجت الجماهير في مظاهراتٍ غاضبة، فأغلقوا الشَّوارع بالمتاريس، ورشقوا قوَّات الأمن الفلسطينيَّة بالحجارة؛ بسبب قرارات المحكمة الجائرة، أحرق المتظاهرون سيَّاراتٍ حكوميَّة، وفتحت الشُّرطة النَّار على المتظاهرين في رفح، ثُمَّ انتقلت المواجهات إلى مدينة خانيونس، التي بدورها شهدت؛ احتجاجات غاضبة على الأحكام التي صدرت بحقِّ العطَّار وأبو شمَّالة، وعلى إثر تلك الأحداث، قطع الرَّئيس الفلسطيني ياسر عرفات زيارته إلى الأردن، وعاد إلى غزَّة، واستمرَّت الاحتجاجات أكثر من ثلاثة أيَّامٍ متواصلة، تعطَّلت فيها المدارس، وأُعلن فيها عن إضرابٍ تجاريٍّ شامل، ولم تُفلح محاولات السُّلطة وقْف المظاهرات، رغم دفعها بمزيد من القوَّات؛ لقمع المظاهرات، وأدَّى ذلك إلى استشهاد فتييْن وإصابة آخرين.

وفي السِّياق ذاته رصدت جريدة القدس حالة الشَّارع الغزِّي، وردَّة فعله على محاكمة القسَّاميِّين الثَّلاثة، وممَّا أوردته في ذلك: بعد صدور حكم المحكمة بالإعدام على العطَّار، اندلعت مواجهات بعد انطلاق مسيرةٍ من مخيم يِبْنا مسقط رأس الشَّهيدين في رفح، شارك فيها المئات من المواطنين، ورفعوا خلالها الرَّايات السَّوداء، وردَّدوا الشِّعارات المطالبة بإلغاء حكم الإعدام، رافضين القرار بشأن المُتَّهمين الثَّلاثة.

وتابع المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان الأوضاع منذ بدايتها، فذكر أنَّ قوَّات الأمن ردَّت على المتظاهرين بإطلاق النَّار بكثافة؛ ما أدَّى إلى استشهاد علاء جمعة الهمص وخميس محمود سلامة من رفح، وأُصيب ثلاثة آخرون أحدهم طفل،

واعتقلت المباحث الجنائيَّة والشُّرطة البحريَّة عدداً من المواطنين على خلفيَّة الاحتجاجات التي اندلعت في رفح، وأفاد المعتقَلون الذين أفرج عنهم أنَّهم تعرَّضوا للضَّرب والإهانة وحلْق رؤوسهم أثناء الاعتقال، ولم يُوقف هذه الاحتجاجات إلا قرارُ رئيس السُّلطة ياسر عرفات حين أصدر أمراً بوقف تنفيذ حكم الإعدام بحقِّ المجاهد رائد العطَّار.

اندلاع انتفاضة الأقصى 2000م

مع اندلاع انتفاضة الأقصى بتاريخ 27 سبتمبر 2000م اضطُرَّت الأجهزة الأمنيَّة أن تُفرغ بعض السُّجون من المعتقَلين؛ بسبب استهدافها بالقصف الصُّهيونيِّ، فأفرجت عن عددٍ من المجاهدين القسَّاميِّين، كان منهم القائد أبو إبراهيم؛ بسبب سوء حالته الصِّحِّيَّة، في حين نقلت بعضهم الآخر ومنهم: رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة، والدُّكتور إبراهيم المقادمة من سجن الوقائي في تلِّ الهوى إلى سجن السَّرايا، ورغم خطورة الوضع الأمني فقد وُضعوا في زنازين، وأُقفل عليهم بعدَّة أقفال؛ بأمرٍ من مدير سجن السَّرايا آنذاك.

وُضع المجاهدون في الطَّابق السُّفلي من المعتقل، وبدأت أحداث انتفاضة الأقصى تشهد تطورات متلاحقة، وبدأ الطَّيران الصهيوني يقصف أهدافا حكومية في الضِّفَّة الغربيَّة، حيث استهدف مركزاً للشُّرطة الفلسطينيَّة هناك، وهدَّد بقصف أهداف أخرى في قطاع غزَّة، وقد شهدت سماء قطاع غزَّة تحليقاً لطائرات الأباتشي في الأجواء.

وفي ذلك الوقت، وبعد أنْ وصلت هذه الأخبار للمُعتقَلين في سجون السُّلطة الفلسطينية بقطاع غزَّة، استنفروا داخل السُّجون، وحمل كلُّ شابٍّ أيَّ آلةٍ تُساعده في الخروج من هذا المُعتقل قبل شنِّ قوَّات الاحتلال لهجمتهم، وبدأوا يصرخون على عناصر الشُّرطة؛ يُطالبونهم بإخراجهم من السجون، وكان جلُّ القابعين خلف قضبان سجون السلطة هذه مطلوبين لجيش الاحتلال الصهيوني، كان من أبرزهم الشُّهداء

القادة: الدُّكتور إبراهيم المقادمة، وأحمد الجعبري -أبو محمد-، وعوض سلمي[1]، وسهيل زيادة[2]، ومحمد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، وغيرهم من المجاهدين.



الشهيد / سهيل زيادة

رفضت إدارة السُّجون فتْح الأبواب، في حين كان المجاهدون في وقت الفورة والباب مفتوح، كسروا البابين الأوَّل والثّاني، ووصلوا بوَّابة السِّجن الإلكترونيَّة، -المدخل الرَّئيس-، الذي من الصَّعب فتْحُه، وعندما دخل العقيد وشاهدهم متَّجهين تُجاهه؛ أصابته الرَّيبة والوَجَل، وطلب من العساكر فتْح الباب، وخرج المجاهدون من السِّجن، ولم يُصدِّقوا أنَّهم خرجوا، حيث غمرتهم فرحة تنسم عبير الحرية، فقد اعتادوا على مساحة السِّجن الصَّغيرة، والفورة التي لا تزيد مساحتها على العشرين متراً مربَّعاً، وأسرعوا في المغادرة حتَّى وصلوا حيَّ الشِّجاعيّة، ومن هناك انطلق كلٌّ إلى وُجهته.



القادة الشهداء: محمد أبو شمالة وعماد عباس ورائد العطار وعوض سلمي.

(1) **عوض صالح سلمي (1969-2000م)**: أحد القادة العسكريِّين في كتائب القسّام، وُلد في مدينة غزَّة، اعتقل لدى قوات الاحتلال وهو في عمر الرَّابعة عشرة بتهمة إلقاء الحجارة، التحق بحركة حماس عام 1989م، وانضمَّ لصفوف القسّام عام 1992م على يد الشَّهيد القائد عماد عقل، نفَّذ العديد من العمليَّات ضدَّ قوَّات الاحتلال، كان أبرزها قتل الكولونيل الصُّهيوني "مائير منتز" وضابطٍ آخر، ارتقى إلى الله شهيداً في 24 ديسمبر 2000م، وذلك أثناء زراعته عبوَّةً ناسفةً ضدَّ قوَّات الاحتلال في منطقة المنطار على الحدود الشَّرقيَّة لمدينة غزَّة، فانفجرت العبوَّة وأدَّت لاستشهاده.

(2) **سهيل عبد الكريم زيادة (1975-2002م)**: من مخيم جباليا شمال غزَّة، من أبرز قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام، شارك في الإعداد لعدد من عمليات اقتحام المستوطنات، وعمل على إطلاق وتصنيع قذائف الهاون والبنا، استشهد برفقة الشهيد مازن فؤاد رزق بتاريخ 5 مايو 2002م، أثناء عملية استطلاعية لزراعة عبوة موجهة للدبابات بعد إطلاق الدبابات الصهيونية القذائف المسمارية باتجاههم.

ووصل القائدان أبو خليل وأبو أيمن إلى بيت رفيق دربهم أبو إبراهيم في مدينة خان يونس؛ وأمَّن لهما بندقيَّتين من نوع كلاشنكوف وقنابل وذخيرة، كما وزوَّدهم بعد يومين بسيَّارةٍ لتأمين تنقُّلاتهما.

وتحرَّكا إلى مكانٍ آمن، وكمنا فيه، وبعد مدة أرسلت السُّلطة أوامر للشَّباب الذين خرجوا من السِّجن بالعودة، وهدَّدوا ذويهم بأنَّهم سيجدون الكثير من المعاناة إذا لم يسلّم أبناؤهم أنفسهم، لكنَّهم لم يستجيبوا لذلك، وتصاعدت أعمال الانتفاضة الثّانية (انتفاضة الأقصى)، وبدأت مرحلةٌ جديدةٌ من حياة العطَّار وأبي شمَّالة ضمن صفوف كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

الفصل الثالث

القائدان وريادة الإعداد والجهاد القسامي

(2008-2000)

المبحث الأول

إعادة التنظيم، وروعة الإنجاز

الخروج من سجون السلطة

اندلعت الانتفاضة الفلسطينيّة الثّانية -انتفاضة الأقصى- عام 2000م، في وقت كانت فيه كتائب القسَّام تلتقط أنفاسها من بطش السُّلطة والاحتلال الصُّهيوني على حدٍّ سواء، حيث توالوا في توجيه ضرباتهم المتعاقبة التي طالت أجهزة حركة حماس كافَّة، وكان جُلُّ أبناء كتائب القسَّام معتقلين في سجون السُّلطة، ومن أطلق سراحهم كان نتيجة تردِّي أحوالهم الصِّحِّيَّة، غير أنَّهم ظلُّوا تحت رقابة الأجهزة الأمنيَّة والمتعاونين معها[1]، مما أعاق حصول كتائب الشهيد عز الدين القسام على السلاح.

مضت الأشهر السِّتَّة الأولى من انتفاضة الأقصى دون وجود مقاومةٍ ناجعة؛ بسبب حداثة خروج قادة العمل العسكري من سجون السُّلطة، إلا أنهم بدأوا يشقون طريق العمل الجهادي من جديد رغم عمق الجراح وقلة الإمكانات، حتَّى عملوا على تجميع ما تبقَّى لديهم من عُدَّةٍ وعتادٍ قبل سنوات الاعتقال، فكان عدد البنادق محدوداً، مع وجود بضعةِ صواعقَ وألغام.

إشعال الفتيل

في مطلع عام 2002م، عكفت قيادة الحركة على تنظيم العمل العسكري بشكلٍ أشمل، فتم التوافق على تولي الشيخ صلاح شحادة قيادة الجهاز ليكون القائد محمد الضيف نائباً له، وخاصَّةً بعد خروج بعض المجاهدين من السُّجون مثل: أبو إبراهيم، ورائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالةً، وغيرهم.

وقد بادر الشَّيخ القائد صلاح شحادة في هذه الفترة إلى توحيد المجموعات العسكريَّة العاملة في كافة مناطق قطاع غزة: الشَّمال، وغزَّة، والوسطى، والجنوب التَّابعة لكتائب الشهيد عز الدين القسَّام، سواء كان عناصر هذه المجموعات مطلوبين -مطاردين- أو غير معروفين لقوَّات الاحتلال الصهيوني.

---

(1) كان يُطلق على أحدهم (مندوب) وفي الشارع كانوا يطلقون على الجماعة منهم (مناديب).



القائد الشهيد / وائل نصار

وتـمَّ التَّوافق علـى أن يكون قائد منطقة الشَّمال أبـو أنـس الغنـدور برفقـة الشـهيد وائـل نصَّـار[1]، وقائـد منطقـة الوسـطى محمـود مطلـق عيسـى، وقائـد الجنـوب محمَّـد أبـو شـمَّالة –رحمه الله– وبهذا تكامل المجلـس العسـكريِّ الأعلـى لكتائـب القسَّـام، الـذي ضـمَّ أرجـاء القطـاع، لينطلـق بعـد إتمـام مرحلـة بنـاء التَّنظيـم إلى مرحلـة الإعـداد والتَّجهيز، فقـد عـزم علـى اسـتعادة فِكْـر التَّصنيـع العسـكري وتجديـد مجـده التَّليـد، حـتَّى باشـر بـأولى خطـوات إنتـاج مشـروعه الجديـد.

التصنيع القسّامي.. البارود والنار



القائد / رائد العطار وهو يطلق قذائف الهاون

أوجـدت الحاجـة الميدانيـة الملحـة ضـرورة البحـث عـن الوسـائل القتاليـة الـتي مـن شـأنها أن تلعـب دوراً في المواجهـة وصـد اجتياحـات الاحتـلال الصهيـوني وتوغلاتـه واعتداءاتـه، في وقـت لـم تعـد البنـادق والطلقـات تجـدي نفعـا في مواجهـة الترسـانة العسـكرية الصهيونيـة، مـا جعـل كتائـب الشـهيد عـز الديـن القسـام تتجـه نحـو علـم المتفجـرات والتصنيـع الذاتـي في ظـل عـدم

(1) **وائـل طلـب نصـار:** مـن حي الزيتـون بغـزَّة وُلـد عـام 1973م، وتعـود أصولـه لقريـة بيـت دراس، الـتزم في مسـجد الإمام الشـافعي منـذ صغـره، والتحـق مـع بدايـة الانتفاضـة الأولى بصفـوف حركـة المقاومـة الإسـلامية حمـاس، شـارك في العديـد مـن العمليـات العسـكريَّة، أبرزهـا عمليَّـة صهريـج الوقـود علـى الخـط الشـرقي لمدينـة غـزَّة، وكمـن لجيـب صهيـوني أدى لمقتـل مـن فيـه، وعمليَّـة مركـز جباليـا وغيرهـا مـن العمليـات، اسـتهدفته طائـرة اسـتطلاع بصـاروخ أثنـاء مـروره علـى دراجـة ناريـة في شـارع صـلاح الديـن؛ مـا أدى لاستشـهاده، بتاريـخ 30 مايـو 2004م.

توافر خطوط الإمداد والدعم الخارجي للمقاومة في قطاع غزَّة، وقد شهدت هذه المرحلة إنجازات عديدة لفرق التصنيع القسامي رغم شح الإمكانات.

قاذف الهاون وقذيفته:

خرج معظم قادة كتائب الشهيد عز الدين القسَّام من سجون السُّلطة الفلسطينيَّة مع بدء انتفاضة الأقصى عام 2000م، فكان منهم القائد عدنان الغول أبو بلال[1]، الذي بادر باسترجاع جزءٍ من العتاد الذي سلبته السلطة أثناء اعتقاله، فاستعاد مدفع الهاون، حيث بدأ بتفكيكه وإعادة تصنيعه؛ ليبدأ خطّ إنتاج مدافع الهاون في كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

وفي إطار رفع حالة الإنجاز وتطوير الأداء، آثرت قيادة التصنيع إيجاد ورشة خاصة بتصنيع الهاون في مدينة رفح، فسارع القائد محمَّد أبو شمَّالة إلى تحويل بيته إلى ورشةٍ للتَّصنيع. وكان ينفّذ جزءٌ من العمل في مدينة خان يونس، والباقي في مدينة رفح، في عملية توزيع للأدوار، وبذلك تُسجِّل مدينة رفح إنشاء أوَّل ورشةٍ في جنوب القطاع لتصنيع "قاذف الهاون وقذيفته"، تحت رعايةٍ مباشرةٍ من القادة الثَّلاثة: محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، وأبو إبراهيم.



القائد الشهيد / عدنان الغول

(1) يحيى (عدنان) محمود الغول (1958-2004م): ولد بمخيم الشاطئ في 24 مايو 1958م، كبير مهندسي القسام، ومخترع أول قنبلة يدوية فلسطينية، وكان أبرز قادة التصنيع العسكري في كتائب القسام حتى اغتياله، عمل على تصنيع العديد من القذائف المضادة للدروع، واستطاع أن ينقل المقاومة الفلسطينية نقلة نوعية من خلال تصنيع أسلحتها محليّاً رغم الحصار المفروض وشح السلاح، وكان من أبرز إبداعاته القنابل والأنيرجا والهاون والبنا والبدر والبتار والياسين، اغتيل في 21 أكتوبر 2004 في مدينة غزَّة، برفقة الشهيد القائد عماد عباس، وذلك باستهداف سيارتهما بعدة صواريخ من طائرات الاحتلال الحربية.

القُنْبُلة اليدويَّة:

شكَّلت الحاجة إلى القنابل اليدويَّة دافعاً لإنتاجها وتطوير أدائها، حيث تمكَّن العطَّار وأبو شمَّالة من تصنيع قنابل يدويَّةٍ بسيطةٍ، تمثَّلت بقنابل بلاستيكيَّة وأخرى معدنيَّة، واستمرت فرق التصنيع القسامي الأخرى المنتشرة في القطاع في محاولاتها الحثيثة لإنتاج القنابل، وما أنْ كُتبت لهذه القنابل أوَّل تجربة نجاحٍ حتَّى كان قرار مواصلة الإنتاج، ليتمَّ إرداف مجموعات كتائب القسَّام بعشرة آلاف قنبلةٍ أُنتجت في المراحل الأولى، وعندما تهيَّأت الفرص لتنفيذ العمليّات الاستشهاديَّة تمَّ تزويد الاستشهاديين ببضع قنابل من هذه النَّماذج، لتُدشِّن أوَّل ثمراتها ونجاعة أدائها في عمليَّة عتصمونا التي نفَّذها الاستشهادي محمَّد فرحات بتاريخ 2002/3/7م، وقد توالت بعدها مراحل التَّطوير والتَّجويد على هذه القنابل، والتي كانت تحمل رقماً تسلسُليًّا في عمل يشابه أداء المصانع العالميَّة، عدا عن أنَّها تفُوق في قوَّتها القنابل اليدويَّة النَّظيرة باعترافٍ صريحٍ وشهادةٍ واضحةٍ من العدوِّ ذاته.

العبوات القسَّاميَّة:

شهدت السنوات الأولى لانتفاضة الأقصى توغلات مستمرة بواسطة آليَّات العدوِّ للمُدُن والمخيَّمات الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة، فتطوف في الأحياء بين جولات هدمٍ وتجريفٍ وسفكٍ للدِّماء، ما دعا قادةَ القسَّام إلى العمل على تطوير أدائهم العسكري وقُدُراتهم التَّفجيريَّة، فلم تعدْ العبوات البسيطة تُجدي نفْعاً أمام ترسانة العدوِّ وآليَّاته المصفَّحة، فعملوا على إعادة هندستها وتحسينها وجعلها أكثر فاعليَّة، فدأب أبو خليل وأبو أيمن على إنتاج العبوَّات وتطويرها، من خلال شراء الألغام القديمة والعمل على تفكيكها واستخراج مادَّة الـ (TNT)، لكونها المادَّة الأساس في عمليَّة تصنيعها، ما سمح لهما بإنتاج عبوَّاتٍ متعدِّدة الأحجام ومختلفة الأشكال.

ومع تعاقب مراحل التَّطوير أصبح بإمكانهم استخدام أقلِّ كمِّيَّةٍ مُمكنةٍ من المتفجِّرات "لا تزيد على خمسةٍ وعشرين كيلو غراماً"، بفاعليَّةٍ تفجيريَّةٍ كبيرة، تُجابِه العدوَّ إذا ما حاول اجتياح المناطق الجنوبيَّة لقطاع غزَّة.

قطع أبو خليل وأبو أيمن خلال مسيرتهما الجهاديَّة عدَّة مراحل تصنيعيَّة تطويريَّة للعبوات القسَّاميَّة، والتي تُوجت بإنتاج العبوة التي تُعرف بثاقب، وتطوير عبوَّة (شواظ1) المختصة بمواجهة آليات العدو، وقد شهد هذا النموذج إدخال تحديثات عليه في إصدارين وهما (شواظ 2)، ومن ثمَّ (شواظ 3)، كما أنتجوا نماذج أخرى عُرفت بالعبوة البرميليَّة التي يزيد وزنُها عن خمسين كيلو غراماً.

أبو شمَّالة والعطَّار... قاذفا عزٍّ وانتصار

تواترت مراحل الارتقاء والتَّطوير في مجال التَّصنيع العسكري، واستقرَّ المطاف بالقائديْن أمام مرحلةٍ كان لها عظيم الأثر في تغيُّر نمط الصِّراع مع الاحتلال الصُّهيوني، من حيث إمكانية التعامل مع أهداف العدوّ الثَّابتة منها والمتحرِّكة على حدٍّ سواء، وبعد مرور أيام مديدة ودراسة فريدة أمعنت خلالها ثلة المهندسين الفكر وعصفت الذهن داخل ورش التصنيع.

تمكَّن القائدان وفريق مهندسي القسَّام من إنتاج قاذفٍ صاروخيٍّ، ليتسلَّمه الأمين العام للجان المقاومة الشَّعبيَّة والقائد العام لذراعها العسكري "ألوية النَّاصر صلاح الدِّين" الشّهيد القائد جمال أبو سمهدانة أبو عطايا[1]، من بيت أبو خليل حيث أُطلقت منه على أحد أبراج العدو.



القائد الشهيد / جمال أبو سمهدانة

(1) **جمال عطايا زايد أبو سمهدانة (1963-2006م)**: ولد عام 1963 في مخيم المغازي للاجئين، تخرج من الكلية الحربية في ألمانيا مهندساً للدبابات، نجح بالفوز في عضوية إقليم رفح، ولكنه لم يرض عن الفساد في أجهزة السلطة الأمنية حيث اعتقلته، أسس على إثر خلافاته مع السلطة ما يعرف بلجان المقاومة الشعبية والتي شكلت جناحاً عسكرياً أطلقت عليه ألوية الناصر صلاح الدين، استشهد 9 يونيو 2006م إثر قصف الطائرات الصهيونية لمواقع ألوية الناصر صلاح الدين، من أبرز عملياته تفجير الدبابة الصهيونية الشهيرة "ميركافا"، بالإضافة للعديد من عمليات اقتحام المستوطنات، كذلك شارك بالتخطيط لعملية الوهم المتبدد التي تم تنفيذها بعد ايام من استشهاده وكان برفقته كل من المجاهد الشهيد أبو يوسف القوقا والشهيد القائد محمد الشيخ خليل والمجاهد أبو إبراهيم القيسي والمجاهد أبو عوض النيرب.

صاروخ البتَّار.. إطلالةُ مجدٍ وافتخار


صاروخ البتار

اغتنم القائدان الرِّعاية الرَّبَّانيَّة في تسجيل سلسلة النَّجاحات الميدانيَّة، وما أن أبصر قادة كتائب الشهيد عز الدين القسَّام ميدان المواجهة حتَّى انطلقوا ملبِّين احتياجاتِه العسكريَّة، فقد تمكَّنت عقول مهندسي كتائب القسَّام وعلى رأسهم الشهيد عدنان الغول وبمشاركة القائدين أبو خليل وأبو أيمن في منتصف عام 2002م، من تطوير قذيفةٍ جديدةٍ مضادَّةٍ للدُّروع، أطلق عليها الشَّيخ القائد صلاح شحادة اسم صاروخ (البتَّار)، والذي بدوره يمكّن المجاهدين العمل من خلاله عبر مسافة آمنة نسبيّاً بعيداً عن نظر العدو، عدا عن كونه ينطلق على هيئة صواريخ (أرض - أرض) بارتفاعٍ يوازي الآليَّات والقوافل العسكريَّة الصُّهيونيَّة.

قاذف الياسين.. فتحٌ مبين

عكف قادة كتائب الشهيد عز الدين القسَّام على التَّفكير في طريقة إنتاج قاذفٍ صاروخيٍّ يُمكِّن المجاهدين من المناورة الميدانية، فقد أمعنوا فكرهم وأطلقوا عنان عقولهم يتناولون قاذف البتَّار أرضيَّ الإطلاق، حتَّى جعلوا منه قاذفاً يُحمَل على الكتف؛ لخِفَّة وزنه وأمانه النِّسبي، بما يُحقِّق مناورةً قتاليَّةً عالية، وقد تزامن وضع لمسات إنتاجه الأخيرة مع حدث ارتقاء الشَّيخ أحمد ياسين -مؤسِّس حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس- شهيداً، فأعلن عنه خلال عرضٍ عسكريٍّ لكتائب القسَّام


القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

عقب استشهاد الشَّيخ المؤسس، ووُشِّح القاذف باسم (قاذف الياسين)، حاملاً اسم الشَّيخ تيمناً به.

وفي إطار التقييم الميداني للمشروع، أُطلقت أولى تجارب هذه القذائف، حيث شهدت منطقة (ذو النُّورين) بمدينة رفح ميدان التَّجريب بواسطة عددٍ من المجاهدين القساميين، كان منهم القائد أبو خليل أبو شمَّالة، حيث وُجّه القاذف الصَّاروخي نحو الدَّبَّابات الصُّهيونيَّة، ليُصيبها في مقتلةٍ أعلن العدوُّ خلالها عن مصرع اثنين وإصابة ثلاثةٍ من جنوده، وبعد خضوعه لعمليَّات التَّعديل والتَّطوير، أستخدم في ميدان مدينتْي رفح وخان يونس أوَّلاً، ومن ثَمَّ عمُمُ بعد ذلك على مناطق القطاع كافّة.

لمْ يبرحْ القائدان مواطن الإعداد والتَّجهيز ألبتة، غير آبِهَيْن بضريبة المقاومة والجهاد، ليجتمعا بصاحب الصَّاروخ الأوَّل وصانعه نضال فرحات[1] والمهندس تيتو مسعود[2]، يشاركونهما خبرة السِّنين، التي كان شأنُها تتويج صاروخ القسَّام ببصمات أبو شمَّالة ولمسات العطَّار.

---

(1) **نضال فتحي فرحات (2003-1971م)**: وُلد بتاريخ 8/4/1971م في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، وسط عائلةٍ مجاهدةٍ مضحِّية، التزم في مسجد الإصلاح منذ صغره، حصل على شهادة الثانوية العامة ثم انخرط في تجارة القماش بكلِّ أمانةٍ وإتقان، تزوج ليُرزق بولدٍ و4 بنات، اعتقلته قوات الاحتلال 3 مرات ومثلها على أيدي أجهزة السلطة الفلسطينية، وانخرط في صفوف كتائب القسام عام 1993م، وقد لازم القائد عماد عقل خلال إيوائه في بيت عائلته، كان له الفضل في تصنيع أول صاروخ قسام، ونقل مخططاته إلى مجاهدي القسام في الضفة، ثم عمل بعد ذلك على مشروع الطائرات الشراعية، وقد ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 16/2/2002م في عملية أمنية معقدة نفَّذتها قوات الاحتلال بمشاركة عملائه برفقة ثُلَّة من مجاهدي كتائب القسام.

(2) **تيتو محمد مسعود (2003-1967م)**: يُكنَىَّ (أبو عبيدة)، ولد بتاريخ 8/4/1967م في مخيم جباليا شمال قطاع غزة، نشأ في أكناف أسرةٍ ملتزمة مجاهدة، تعود أصولها لبلدة دير سنيد المحتلة، شارك في أحداث الانتفاضة منذ بداياتها، وخاصة في جهاز الأحداث "الجماهيري" -أحد الأجهزة العاملة في حركة حماس-، ثم كان انضمامه لمجموعات الردع عام 1990م، اعتقلته قوات الاحتلال ثلاث مرات، وأجهزة السلطة مرة واحدة، ملتحقاً بعدها بكتائب القسام، وفي عام 1987م نفّذ عملية بطولية برفقة عددٍ من المجاهدين عبر شنِّه هجوماً على قوات دورية راجلة على الخط الشرقي، موقعاً فيهم قتيلين وإصابة آخرين، كما وكان أحد مهندسي القنابل والعبوات وصواريخ القسام الأولى، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 11/6/2003م برفقة القائد المجاهد سهيل أبو نحل، إثر استهداف طائرات الاحتلال سيارةً كانا يستقلانها قريباً من مدخل حي الشجاعية.

دور القائدين في إثراء الميدان

أبدع القائدان في بناء جسور العلاقات وكسب ثقة المجاهدين خارج قطاع غزَّة، حتَّى باتا حلقة الوصل وخطَّ الإمداد بين داخل القطاع وخارجه، وذلك من خلال القائد الشهيد محمود المبحوح[1]، الذي كان بدوره يعقد صفقات السِّلاح والعتاد في العديد من دول العالم، ويوصلها لأبي خليل، الذي استطاع إدخالها إلى داخل قطاع غزَّة.



القائد الشهيد / محمود المبحوح

كما لم يقف دوره على إدخال صفقات السِّلاح فحسب، فقد استطاع أيضاً إدخال أعدادٍ كبيرةٍ من الموادِّ المُستخدمة في الصِّناعات القسَّاميَّة، وإدخال بعض الآلات المخصَّصة للصِّناعات ذاتِها، وبذلك بدأ التَّصنيع العسكريُّ يدخل مراحله المتقدِّمة.

وعبر خطوط الإمداد حقَّق القائدان طموحاً كبيراً على مستوى تطوير العتاد العسكري، فقد أصبح بحوزة المجاهدين سلاح الـ RBG، وعبواتٌ، وصواريخ، ومضادَّات للأفراد والدروع، في وقتٍ سادته نُدْرة الإمكانات وشُحُّ الأدوات.

ومن خلال مهمَّة الإمداد وإرداف ساحة قطاع غزَّة بالسِّلاح، حقق القائدان التَّكافل الوطنيَّ بأجلِّ صورة، حيث مدّا عدداً كبيراً من فصائل المقاومة الفلسطينيَّة

(1) محمود عبد الرؤوف المبحوح (1960–2010م): يُكنَىَ (أبو العبد)، ولد في 14 فبراير 1960م في مخيم جباليا، نشأ في بيئة ملتزمة، عشق الرياضة وارتاد نادي خدمات جباليا، وحاز على المرتبة الأولى في كمال الأجسام على مستوى قطاع غزَّة، تزوج عام 1983م وله أربعة أبناء، حاصل على دبلوم الميكانيكا وتفوق في مجاله. التزم في جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل عدة مرات في سجون الصهاينة والسجون المصرية، بتهمة حيازة السلاح ومقاومة الاحتلال. عمل في المجموعة العسكرية 101 التي أسسها القائد محمد الشراتحة، وكان المبحوح المسؤول عن أسر الجنديين الصهيونيين (إيلان سعدون وآفي ساسبورتس) وقتلهما، وبعد انكشاف المجموعة نهاية عام 1989م، غادر قطاع غزَّة إلى مصر ثم ليبيا، ثم استقر في سوريا، واستمر بالعمل العسكري ضمن القسّام هناك. في ليلة 19 يناير 2010م، نفّذ الموساد عملية اغتيال له في أحد فنادق دبي بالإمارات أدت لارتقائه.

في قطاع غزَّة بالعتاد العسكريِّ على اختلاف أنواعه وأشكاله، وقد كان من أسمى مرامي أهدافهما الوصول إلى تجييش جميع رجال الشَّعب الفلسطيني وكذلك تسليحهم.

مهْد الأنفاق وجولاتُ النِّزال

يقول القائد أبو خليل، متحدِّثاً عن ملامح بداية مشروع الأنفاق - الذي واكب اندلاع شرارة انتفاضة الأقصى-: بدأت فكرة العمل من خلال الأنفاق حينما أخذ الأعداء يُطوِّرون من تحصيناتهم، حتَّى باتت منيعةً يَصعب اختراق مواقعهم وآليَّاتهم، وفي الوقت ذاته تعسَّر على المجاهدين في كثيرٍ من الأحيان الوصولُ إليهم، ما دعا قادة كتائب القسَّام إلى تشكيل وحدة مكافحة الإرهاب القسّاميّة[1].



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

كما وقد زادت الحاجة للعمل من خلال الأنفاق مع استمرار تحليق طائرات جيش الاحتلال الصُّهيوني في أجواء قطاع غزَّة بحثاً عن المجاهدين، وقد تعدَّدت أغراض استخدام تلك الأنفاق، لتُصبح معابر وممرَّات للإمداد العسكريِّ من الخارج، بعد أن شهدت هذه المرحلة اشتداد حلقات حصار المقاومة الفلسطينيَّة، ومن ثَمَّ أصبحت كتائب القسَّام بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى الإمداد العسكري؛ بسبب افتقارها لعددٍ من المواد الضَّروريَّة لاستمرار عمليَّة التَّصنيع وإنتاج الصِّناعات العسكريَّة اللازمة لمواجهة الاحتلال الصُّهيوني، والرَّدِّ على جرائمه المتزايدة.

(1) **وحدة مكافحة الإرهاب القسامية:** وحدة مكافحة الإرهاب القسامية: تأسست في منطقة الجنوب على غرار تأسيس جيش الاحتلال "وحدة الإرهاب"، وقد برز دور هذه الوحدة في حفر الأنفاق وتنفيذ عمليّاتٍ، وقد صاغ أوّل بيانٍ للوحدة الشهيد القائد عائد البشّيتي عقب تنفيذ عمليَّة ترميد العسكريَّة في منطقة رفح عام 2002م، وقد نفّذت هذه الوحدة العديد من العمليّات العسكريَّة، منها: ترميد، وحردون، ومحفوظة".

في ذلك الوقت تواصل قادة العمل العسكري بأيقونة الإمداد أبو خليل وأبو أيمن؛ لإعلامهما بالأمر، فما كان منهما إلّا وأعلنا حالة الاستنفار، حتّى توصّلا إلى طرقٍ ووسائل، استطاعا من خلالها إدخال متطلّبات عمليّات التّصنيع العسكريّ إلى قطاع غزّة، إلى جانب إدخال العديد من الأسلحة العسكريّة المتنوّعة.

العمليّات العسكريّة التي أشرف عليها القائدان أبو شمّالة والعطّار:

أولاً: عمليّة بوّابة صلاح الدّين "موقع ترميد العسكري[1]" (محور فيلادلفيا) (26 سبتمبر 2001م):



موقع ترميد العسكري

في 26 سبتمبر 2001م، سُمع دويّ انفجارٍ ضخمٍ أسفل موقع ترميد العسكري، هزّ قِلاع العدوّ الصّهيونيّ، وكأنّه زلزالٌ ضرب المنطقة، ليتبيّن فيما بعد أنّ تلك الضّربة نمطٌ جديدٌ وأسلوبٌ فريدٌ تستخدمه كتائب القسّام في إطار صِراع الأدمغة الذي تخوضه مع الاحتلال الصّهيوني، حيث اخترقت جدار هذا الموقع الذي ظنّ ضُبّاطه وجنوده أنّهم مانعتهم حصونهم من المجاهدين.

لقد وفّق الله المجاهدين وهداهم إلى سلاح الأنفاق النّوعي، الذي مكّنهم من تنفيذ عمليّاتٍ عسكريّةٍ عديدة، كانت باكورتها عمليّة بوّابة صلاح الدّين المسمّى موقع ترميد العسكري.

(1) موقع وبرج ترميد العسكري: يقع في بوابة صلاح الدين على الشريط الحدودي الفاصل بين قطاع غزّة وجمهورية مصر العربية، ويعدُّ برج موقع ترميد من أخطر الأبراج العسكريّة، يحمل أعلى مواصفات التكنولوجيا في العالم، وأفاد التلفزيون الصهيوني، أن البرج متحرك يعمل أفقياً وعمودياً على عجلات وزنبركات مطاطية، وتقدر مساحته ب30 متراً مربعاً، وهو مصنوع من الحديد الفولاذ، ويزيد ارتفاعه على 14 متراً، وقد نصب أمامه حاجز حماية عبارة عن شبكات تمتص القذائف، مزود بأجهزة حاسوب وكاميرات مراقبة وتحسينات ذات مستوى عالٍ، ومقسم إلى عنابر يوجد بها مبيت للجنود الصهاينة وذخيرة ومراقبة على طول الشريط الحدودي للمنازل، ومواقع إطلاق النار ونقط الاحتكاك، ومرتبط بأجهزة لاسلكية عالية المستوى بالدشم العسكريّة على طول الحدود.

وحول تفاصيل العمليَّة وهدفها يتحدث القائد محمَّد أبو شمَّالة قائلاً: جاءت فكرة العمل بهذه الطَّريقة حينما أصبح الأعداء في أوْجِ مناعة مواقعهم، وبات الوصول إليهم مهمَّةً شاقَّة، غير أنَّ وحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة تمكَّنت بفضل الله ثمَّ بعزيمة أبنائها المخلصين المقتنعين بعدالة قضيَّتهم من زلزلة حصون الأعداء، معتمدين في ذلك على إيمانهم بالله عزَّ وجل، والاقتداء برسوله ﷺ، ثمَّ باتِّباع أساليب العمل من رصدٍ للأهداف المُتاحة واختيار الأماكن المناسبة، وانتقاء الإخوة أصحاب السِّرِّيَّة التَّامَّة والعزيمة الفولاذيَّة، واختراع أساليب جديدةٍ ومُعدِّاتٍ قويَّةٍ نوظّفها في العمل، في سبيل إلحاق الهزيمة بالأعداء بعد الوصول إليهم ومباغتتهم في مواقعهم المحصَّنة.

برعت السَّواعد القسَّاميَّة في ابتكار وسيلة الوصول إلى أسفل الموقع، عبر حفر نفقٍ يُوصل إلى مكان تجمُّعهم وزرْعِه بالمتفجِّرات، ثمَّ تدميره على مَنْ كان بداخله من جنود الاحتلال الصُّهيونيِّ وضُبَّاطه.

مثَّلت عمليَّة ترميد سابقةً في تاريخ الصِّراع مع الاحتلال الصهيوني؛ فقد كَشفت سوأتُه، وأظهرتْ عجْز جيشه وزِيْفِ مقولته التي يُطلقها على نفسه بأنَّه الجيش الذي لا يُقهر، حيث تفانى القائدان أبو خليل وأبو أيمن في العمل؛ لإنجاح هذه العمليَّة العسكريَّة البطوليَّة إلى جانب وحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة، التي كان من أبرز مجاهديها الشَّهيد القائد القسَّامي عائد البشِّيتي[1]"، الذي سطَّر بصماته المضيئة الواضحة ونقش اسمه في الذَّاكرة الفلسطينيَّة، حيث أشرف على العمليَّة وحفْر نفقِها وزرْع العبوَّات النَّاسفة أسفل الموقع العسكري الصهيوني برفقة ثلة من المجاهدين الأبطال، الذين واصلوا الليل بالنهار لإنجاز هذه المهمَّة العظيمة.

(1) عائد عبد القادر البشيتي (1973–2006م): من مدينة رفح، شارك بالتخطيط والتنفيذ لعملية تدمير موقع ترميد العسكري على بوابة صلاح الدين فكان له فضل السبق في عمليات حرب الأنفاق وتشكيل الوحدة المختارة (وحدة مكافحة الارهاب) التابعة لكتائب القسام، استشهد برفقة الشهيد علي عيسى النشار بعد استهداف سيارتهما بصاروخين من طائرات الاستطلاع بحي الجنينة، بتاريخ 5 سبتمبر 2006.

ضم نفق البطولة والفداء في جنباته أبطال القسام الصناديد الذين لم يكشف الستار عن أسمائهم، حيث لايزالون في ميادين العزة ضاغطين على الزناد، مجهولي الهوية لدى الاحتلال الصهيوني، ومع استمرار جولات المواجهة مع الاحتلال كان ارتقاء الشهيد القسامي المجاهد أشرف المعشر في 18 أكتوبر 2006م أثناء تصدِّيه لتوغُّلٍ صهيونيٍّ شرق مدينة رفح، لتعلن كتائب القسام بعد استشهاده أنه أحد أفراد الطاقم المشارك في تفاصيل هذه العملية.



الشهيد / عائد البشيتي

لم يغفل القائدان أبو شمَّالة والعطَّار في معركتهم مع العدوِّ الصُّهيوني عن استخدام (سلاح الإعلام)؛ لإثبات خسائره، بعد اتباعه سياسة التكتم حفاظاً على الروح المعنوية لجبهته الداخلية، وقد بدأت كاميرات فرسان الإعلام العسكري لكتائب القسام عملها منذ اللحظات الأولى لمعاول المجاهدين وحتَّى النِّهاية، وكانت هذه أوَّل عمليَّة تُبثُّ فيها مشاهد مصوَّرة لسلاح الأنفاق النَّوعي، حيث أظهر الفيديو المجاهدين وهم يزحفون داخل النَّفق ويزرعون العبوَّات النَّاسفة الكبيرة أسفل موقع ترميد العسكري، بإصرارٍ وتجاهلٍ للإرهاق والتَّعب، كما أظهرت المشاهد تفجير الموقع والدَّمار الذي لحق به، وقد لاقت المَشاهد صدىً كبيراً في الشَّارع الفلسطينيِّ والعربي، موحيةً أنَّ المقاومة لا تزال بخير، ولديها القدرة على تطوير إمكاناتها والوصول للعدوِّ رغم



الشهيدين / عائد البشيتي وأشرف المعشر

التحصينات، وقذفت الرُّعب في صفوف جنود العدوّ الصُّهيوني وقياداته أمام ما رآه من مشاهد بطوليَّةٍ وإنجازٍ قسّاميٍّ يحكي براعة العقليَّة وقوَّة الإرادة و التَّصميم في إحراز النَّصر.



القائد أيمن العطار مع الشهيد عائد البشيتي

بعد أنْ تمكَّن مجاهدو وحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة من حفر نفقٍ يصل طوله إلى ما يقرب من مائتي مترٍ تُجاه موقع ترميد العسكري، المُكوَّن من ثلاثة طوابق، والذي أنشأه جيش الاحتلال الصُّهيوني عام 1967م على الحدود الفلسطينيَّة المصرية المُتاخمة لمدينة رفح، استأجرت الوحدة بيتاً قريباً من المنطقة الحدوديَّة، وحفرت نفقاً من ذلك البيت، يمتدُّ حتَّى أسفل الموقع العسكري، بإشرافٍ هندسيٍّ لأحد المتخصِّصين في مجال التُّربة؛ لمنع الانهيارات داخل النَّفق، وقد اعتُمدت في الحفر المعدَّات البدائيَّة، التي استنزفت جهود المجاهدين القائمين على هذه العمليَّة وطاقاتهم.

ونظراً للظُّروف الأمنيَّة الصَّعبة جدًّا في ذلك الوقت، اضطرَّت الوحدة للمبيت في مكان حفر النَّفق دون العودة إلى منازلهم، ومواصلة العمل ليلاً ونهاراً حتَّى تمَّ إنجاز النَّفق، والبَدْءِ بالتَّجهيز لهذه العمليَّة البطوليَّة.

وبينما كان مجاهدو الوحدة القسامية يبذلون طاقاتهم في حفر النَّفق، كان مجاهدون آخرون يُمعنون تفكيرهم وطاقاتهم في تجهيز العبوَّات التي تحمل مادة TNT، ذات التَّأثير الانفجاريّ القوي، حتَّى صدرت الأوامر ببدء زراعة هذه العبوَّات تحت قواعد المبنى في موقع ترميد الصُّهيوني، حيث استخدمت كميَّةٌ كبيرةٌ من المواد المتفجِّرة فيها.

ومع صيحات مؤذِّن الفجر بالتَّكبير والتَّهليل في صبيحة الأربعاء التَّاسع من رجب عام 1422هـ، الموافق السَّادس والعشرين من سبتمبر عام 2001م، كانت لحظة التَّفجير بعد أن ضغطت أصابع رجال كتائب الشهيد عز الدين القسَّام على زرِّ التَّفجير، لتتطاير أجزاء المبنى في أرجاء الموقع وخارجه، غير أن العدو كعادته تكتم على خسائره.

على إثر ذلك، قام العدوُّ الصُّهيوني بسلسلةٍ من عمليَّات الاعتداء والانتقام الجبانة ضدَّ أهل مدينة رفح، حيث كانت الدَّبَّابات فوْر الانفجار تقصف عشوائيّاً، وقد استمرَّ القصف حتَّى منتصف النَّهار، ودارت اشتباكاتٌ عنيفةٌ بعد الانفجار استمرَّت حتَّى الليل، راح ضحيَّتها أربعةُ شهداء، في حين أُصيب جنديَّان صهيونيَّان؛ جرَّاء عياراتٍ ناريَّةٍ في المواجهات المسلَّحة، ودخل المواطنون الفلسطينيّون بعد الانفجار الموقع المدمَّر، وأخذوا ما تبقَّى فيه من رصاصٍ ومعدَّاتٍ، يقول أحد شهود العيان: "إنَّ بعض مَنْ وصل إلى الموقع مبكِّراً استطاع أخْذ قطعتَيْ سلاحٍ من عيار 800 ملم، وأشرطة رصاص"، وقد استمرَّت المواجهات المسلَّحة التي شاركت فيها قوَّاتٌ من المقاومة الشَّعبيَّة إلى جانب عناصر من كتائب القسَّام حتَّى اليوم التَّالي، واستمرَّ القصف الصُّهيوني الغاشم طيلة الليل.

ويذكر القائد أبو إبراهيم أنَّ هذه العمليَّة كانت بتخطيطٍ من الشَّيخ صلاح شحادة مع القائد المجاهد عائد البشِّيتي -رحمهما الله-، وكان القائدان محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار على اطِّلاعٍ دائمٍ على ماهيَّة العمليَّة. أمَّا المجاهد أشرف المعشَّر، ومجاهدٌ آخر من كتائب القسَّام، فقد اشتركا مباشرةً في تنفيذ العمليَّة.

العدوُّ يتحدَّث عن هزيمته

جاء في أحد التَّقارير الصُّهيونيَّة حول العمليَّة أنه لم يلاحظ أيٌّ من الجنود عمليَّات الحفر التي كانت تتم، وكيف حافظ المسلَّحون الفلسطينيُّون على الهدوء، وتمكَّنوا من الوصول إلى أسفل الموقع العسكريِّ المُستهدف، وحسب المعلومات المتوفِّرة لدى الجيش الصُّهيوني فإنَّ عمليَّة الحفر تُجاه الموقع العسكري بدأت قبل

موعد الانفجار بأسابيع، والمسافة التي حُفرت للوصول إلى الموقع تقرب من مائةٍ وخمسين متراً، ولم يشعر جنديٌّ بما يدور تحته.

ويعترف التَّقرير ذاته أنَّ الجيش الصُّهيوني لا يملك حلّاً سحريًّا لمنع حفر الأنفاق، ولا يملك وسائل تكنولوجيَّةٍ قادرةٍ على رصْد ما الذي يجري تحت الأرض، ومَنْ زار المعسكر المستهدف وشاهد حجم الخراب الكبير والدَّمار الواسع والحفرة العميقة في الموقع جرَّاء عمليَّة التَّفجير، يُدرك أنَّ الثَّمن في المرَّة القادمة سيكون مرتفعاً أكثر.

وأفادت صحيفة يديعوت أحرونوت أنَّ الجيش الصُّهيوني أقدم ولأوَّل مرَّة على استئجار خدمات شركةٍ أمريكيَّةٍ خاصَّة؛ للتَّفتيش عن أنفاقٍ مفخَّخةٍ في قطاع غزَّة، وقد بدأ طاقم الشَّركة الأمريكيَّة العمل في منطقة معبر رفح، بعد وصول تحذيرٍ إلى الجيش الصُّهيوني بشأن حفر الفلسطينيِّين نفقاً لتفخيخه تحت المعبر الحدودي، وقالت الصَّحيفة: "إنَّ الأنفاق المفخَّخة تُعدّ أكبر خطرٍ يُهدِّد المواقع العسكريَّة في قطاع غزَّة".

وبعد الكشف عن جزءٍ بسيطٍ من تفاصيل هذه العمليَّة التي تمَّت بجهود مجاهدي كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، الذين قضى جزء منهم نحْبَه كالقائدين المجاهدين: عائد البشِّيتي وأشرف المعشَّر، ومنهم من ينتظر، يتبيَّن أنَّ خيارات المقاومة وأساليبها متنوعة بما يتناسب مع الاحتياجات الميدانية.

ثانياً: عمليَّة موقع كرم أبو سالم (9 يناير 2002م):

مع مطلع عام 2002م، أعدَّ القادة (ياسر رزق ومحمد أبو شمَّالة ورائد العطَّار) خطَّةً محكمة؛ لتنفيذ عمليَّةٍ فدائيَّةٍ نوعيَّةٍ في موقع كرم أبو سالم الصُّهيوني جنوب القطاع، حيث قامت مجموعةٌ قسَّاميَّةٌ مكوَّنةٌ من تسع مجاهدين صباح يوم الأربعاء 9 يناير 2002م بعمليَّة تضليلٍ ذكيَّة، إذ بدأ المجاهدون خطتهم بهزِّ السِّياج الإلكتروني، وافتعال إنذارٍ وهميٍّ أربك جنود الاحتلال الصهيوني.

ومكّن المجاهدَيْن محمّد عبد الغني أبو جاموس[1]، وعماد اعطيوي أبو رزق "[2]، اللذين تنكّرا بزيّ جيش الاحتلال الصُّهيوني من الدُّخول إلى الجانب المحتل من الجهة الجنوبيَّة الشَّرقيَّة لمدينة رفح، والوصول إلى موقع كرم أبو سالم قرب حدود أراضينا الفلسطينيَّة المحتلَّة عام 1948م.


الشهيدان / محمد أبو جاموس وعماد أبو رزق

هاجم المجاهدان الموقع العسكريّ الصُّهيوني بالأسلحة الرَّشّاشة، والقنابل اليدويَّة؛ ما أدَّى إلى مقتل أربعة جنودٍ صهاينة وإصابة أربعةٍ آخرين، وعند عودتهما اصطدما مع قوَّةٍ عسكريَّة صهيونيَّة، وتوَّجا هذه العمليَّة بخوض غمار اشتباكٍ مسلَّحٍ معها، أسفر عن إصابة ثلاثة جنودٍ صهاينةٍ بجراحٍ، نُقلوا على إثرها إلى مستشفى سوروكا في بئر السَّبع؛ وهناك مات أحدهم متأثِّراً بجراحه، في حين وُصفت جراح الثّاني بأنَّها بالغة، وأمّا الثّالث فقد كانت إصابته طفيفة، كما أسفر الاشتباك عن استشهاد المجاهدَيْن، و**أعلنت إذاعة العدوِّ أنَّ القتلى الأربعة هم:**

- الميْجر: أشرف هواش 28 عاماً من الزرازير.
- المساعد: حنَّا أبو غنَّام من مدينة حيفا.
- الرَّقيب أوَّل: مفيد سواعد 25 عاماً من أبو سنان.
- إبراهيم حميد 23 عاماً من الرَّيحانيَّة.

وجميعهم ينتمون إلى وحدة الاستطلاع البدويَّة في جيش الاحتلال الصُّهيوني.

---

(1) **محمَّد عبد الغني أبو جاموس:** ولد في مخيم الشابورة بمدينة رفح، بتاريخ 31 يناير 1981م، تعود أصول أسرته لبلدة بئر السبع ،نشأ نشأة إيمانية طيبة، وفاز ببطولة القطاع في الجري، ومثّل فلسطين في عدة محافل دولية.

(2) **عماد اعطيوي أبو رزق:** يُكنى بأبو المجد ولد في مخيم الشابورة بمدينة رفح، بتاريخ 7 أغسطس 1975م، لأسرة لاجئة مهّجرة من مدينة بئر السبع، التحق بصفوف حركة المقاومة الإسلامية حماس مع اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987م.

أثر العمليَّة في صفوف العدو:

أشارت إذاعة العدوِّ الصُّهيوني أنَّ مُسلَّحيْن فلسطينيَّين تمكَّنا من الوصول إلى موقع كرم أبو سالم على مقربةٍ من الحدود المصريَّة الفلسطينيَّة بالقرب من قرية الدِّهنيَّة[1]، وأنَّ اشتباكاً مسلَّحاً وقع بينهما وقوَّات الجيش لحظة الاقتحام، وقد استخدم المسلَّحان الأسلحة الرَّشاشة والقنابل اليدويَّة في الاشتباك.

كما قالت الإذاعة الصُّهيونيَّة إنَّ حالة التَّأهُّب القصوى قد أُعلنت في العديد من "المستوطنات" السَّكنيَّة في جنوب قطاع غزَّة، كما فُرِضت رقابةٌ عسكريَّةٌ مشدَّدةٌ على نشر أيِّ أخبارٍ تتعلَّق بالحادث، وخاصَّةً مقتل الجنود الخمسة[2]، كما أعلن جيش الاحتلال أنَّ قطاع غزَّة منطقةٌ عسكريَّةٌ مغلقة، يُمنع الدُّخول إليها، أو الخروج منها.

نتائج التَّحقيقات الصُّهيونيَّة حول العمليَّة: (التي نشرها العدو)

- نفَّذ مجاهدان قسَّاميَّان عمليَّةً جريئةً بعد إعدادٍ وتمويهٍ ذكي، تغلَّب على الأنظمة الأمنيَّة الصُّهيونيَّة كافَّة.
- نجاح العمليَّة وفاعليَّتها يدلُّ على إمكانيَّة التَّحرُّك في جميع الظُّروف، وفي كلِّ الأحوال، وأنَّ هذه العمليَّة قد جاءت بعد قرار كتائب القسَّام بتعليق العمليَّات؛ لتصحيح المسار.
- التَّخطيط المميَّز، والإعداد الكبير، والرَّصد المُسبق، وتحديد نقاط الضَّعف في النِّظام الأمني للموقع العسكري من أبرز أسباب نجاح العمليَّة، وكذلك استغلال عنصر المفاجأة الذي أربك جنود جيش الاحتلال الصهيوني، وجعلهم يسقطون برصاص المهاجمَيْن في معركةٍ أثبت فيها رجال كتائب الشهيد عز الدين القسَّام أنَّ لديهم قدراتٍ عسكريَّةً تفُوق وحدةً كاملةً مجهزة من جنود جيش الاحتلال.

---

(1) قرية الدِّهنيَّة: منطقة حدودية شرق مدينة رفح استغلها الاحتلال في توطين عدد كبير من العملاء الفارين من المقاومة.

(2) هم الأربعة الذين سبق ذكرهم، والخامس الذي مات في مستشفى سوروكا متأثراً بجراحه.

- أشار التَّحقيق الذي قام به قائد المنطقة الجنوبيَّة الجنرال دورون ألموغ إلى أنَّ دبَّابة المراقبة التي كانت قرب الموقع العسكريَّ الصُّهيوني، وكانت مزوَّدةً بالمعدَّات الضَّروريَّة، لم تستطع كشف عمليَّة قصِّ السِّياج ودخول الفلسطينيَّيْن إلى الموقع العسكري.
- لقد سلك القسَّاميُّون طريقاً غير ظاهرٍ للعيان، سبق أن جرّبه عناصر القسَّام، وعرفوا أنَّ قوَّات الاحتلال لا تستطيع كشف تحرُّكاتهم عبره.
- جنودُ الجيش داخل الموقع لم ينشروا حراسةً خارجه؛ لذلك لم ينتبهوا لاقتراب المهاجمَيْن من الموقع العسكري.

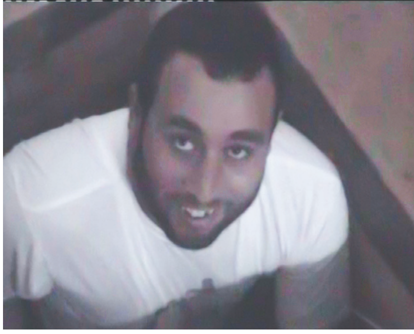
ثالثاً: عمليَّة بُرْج حردون (17 ديسمبر 2003م):



عملية برج حردون

حردون اسمٌ لبرج مراقبةٍ عسكريٍّ صهيوني، يختصُّ بمراقبة أمن الشَّريط الحدودي مع مصر، ويقع على الخطِّ الفاصل بين الحدود المصريَّة الفلسطينيَّة على أطراف مخيَّم يِبْنَا برفح، ومثّل هذا البرج العسكري المتطوِّر تكنولوجيًّا تكنةً عسكريَّةً مُصغَّرة، وقد كان ارتفاع البرج يوازي بناية مكونةً من أربعة طوابق، ذا حجم مهول، مُزوَّداً بأدقِّ آليَّات التَّصوير والرَّشَّاشات الثَّقيلة، وقد وُجد من أجل مراقبة الحدود مع الفلسطينيِّين، ولوضع حدٍّ لظاهرة الأنفاق التي تهرّب الأسلحة من خلالها، ثم تباع للمقاومين الفلسطينيِّين.

لذلك قرَّرت قيادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام في جنوب قطاع غزَّة أن تُنفِّذ عمليَّةً نوعيَّةً تستهدف ذلك الموقع، وقد أشرف على تلك العمليَّة القادة محمَّد أبو شمَّالة ورائد العطَّار وأبو إبراهيم، وفي تمام السَّاعة الثَّامنة وخمسٍ وأربعين دقيقةٍ من صباح يوم الأربعاء بتاريخ 17 ديسمبر 2003م، فجرت وحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة عبوَّةً ضخمةً أسفل موقع حردون.

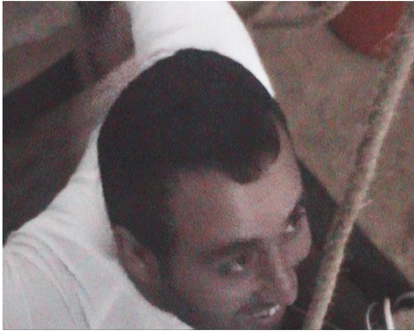


القائد الشهيد / رائد العطار داخل النفق

يتحدَّث القائد أبو إبراهيم عن ليلة الاستعداد للتَّفجير قائلاً: أتيتُ لبيتٍ يُتاخم مكان العمليَّة، بحضرة المجاهدين، وكانت الكاميرات جاهزةً لتصوير العمليَّة، وحينما حانت ساعةُ الصِّفر حاول المجاهدون تفجير العبوَّات، ولكنَّها لم تنفجر؛ وذلك لعدم وجود جهدٍ كهربائيٍّ كافٍ لتفجير العبوَّات، فطلب المجاهدون بطاريَّةً ثانيةً وأرادوا التَّفجير ولكنَّها لم تنجح أيضاً، فطلبوا عدَّة بطَّاريَّاتٍ أخرى، وحاولنا تجهيز بطاريَّةٍ جديدةٍ لهم، ولكنَّ جميع المحاولات كانت بائسة، وبدأ النَّاس في حارة البراهمة بالهروب، فسألتُ المجاهدين: هل يمكن لي الذَّهاب لمكان التَّفجير؟، فسمحوا لي، إلَّا أنَّ أبا خليل عارض ذلك، خوفاً عليَّ؛ لأنَّ المكان قريبٌ جدّاً من الحدود، ومع ذلك ذهبتُ للمكان، وحاولنا استخدام بطَّاريَّتَيْن معاً، ورغم ذلك لم تُفلحا في تفجير العبوَّات أيضاً، وفي الوقت الذي فشِلت فيه كلُّ محاولات التَّفجير عبر البطاريَّات أُوصلت الكهرباء للمنطقة فجأة وهذا من تدابير القدر الخيِّرة، فأخذنا نبحث عن سلكٍ من الأسلاك، فوجدنا سلك تلفون قديم، كان ممدوداً لأحد البيوت فقطعناه، وأطلناه باستخدام أسلاكٍ كانت لدينا، وأخذنا بعدها نبحث عن مصدر كهرباء، فوجدنا إبريزاً في أحد أعمدة الكهرباء الموجودة في الشَّارع القريب من البيت الذي كُنَّا بداخله، فأمسكتُ بالسِّلك وتوجَّهتُ به لذاك العمود الذي به الإبريز، وأدخلت السِّلك في الإبريز، لتنشأ دارةٌ كهربائيَّة قويَّة، وبذلك تمكَّن المجاهدون من التفجير.

في البداية حاول العدوُّ الصُّهيوني التَّكتُّم على نتائج العمليَّة، فقال: "إنَّ العمليَّة لم تُحدِث سوى أضرارٍ فادحةٍ في البرج"، غير أنَّه مع مرور زمنٍ يسير أعلنت إذاعته الصُّهيونيَّة مقتل جنديَّين صهيونيَّين، وإصابة جنود آخرين، ولقد جرَّف جيش الاحتلال التُّربة حول البرج العسكري، في محاولةٍ منه للعثور على النَّفق الذي نُفذّت العمليَّة من خلاله، ولكن دون جدوى.

وبينما كانت جرّافات الاحتلال ودبّاباته تُمشّط في المكان إذ بمجاهدي القسّام يفجرون عبوّةً ناسفةً أخرى ذات حجمٍ انفجاريٍّ كبير، في رتل الدّبّابات والجرّافات التي في المكان، حيث كان المجاهدون قد وضعوا هذه العبوّة في عينٍ أخرى من النّفق المذكور تقع في وسط ممرّ الآليّات الخاص بجيش الاحتلال، وبذلك يكون العدوُّ الصُّهيوني قد تكبّد خسائر فادحةً جدّاً بتوجيه ضربةٍ أخرى له في المكان نفسه.



القائد الشهيد / رائد العطار داخل النفق

وبعد أسبوعٍ من العمليّة الأولى فكّر مجاهدو وحدة مكافحة الإرهاب القسّاميّة في اقتحام برج حردون من جديد، ولكن هذه المرّة من الجهة الخلفيّة للبُرْج، فدخل المجاهدون من عين نفقٍ مجهّزةٍ مسبقاً، وصوّروا البرج من الخلف، ثمّ كان القرار بأن يقتحم مجاهدان اثنان البرج، ولكن كان جيش الاحتلال الصُّهيوني اكتشف الأمر قبل البدء بالتّنفيذ، فكان قرار قيادة العمليّة تفجير عين النّفق، وفعلاً وُضع برميل متفجّرات عند عين النّفق، وعندما اجتمع أفراد وحدة الهندسة التّابعة لجيش الاحتلال الصُّهيوني قرب عين النّفق، فجرّ المجاهدون العين؛ الأمر الذي أدّى إلى مقتل أحد أفراد وحدة الهندسة الصُّهيونيّة.

أصبح برج حردون يُشكّل هاجس رعبٍ لأفراد جيش الاحتلال، حيث حدث انهيارٌ في خطّ النّفق المؤدّي إلى البرج نتيجة الأمطار، فلاحظ جيش الاحتلال ذلك، فأرسل وحدة الهندسة التّابعة له لمعاينة المكان، وأثناء وجودهم في المكان هبطت الأرض بأحدهم، ما أدّى إلى مصرعه على الفوْر.

وفي إحدى المرّات ادّعى جنود جيش الاحتلال أنّهم يسمعون أصواتاً تخرج من برج حردون في ساعات الليل؛ الأمر الذي خلق حالةً من الرُّعب الشّديد لديهم حول

إمكانيَّـة تفجـير المقاومـة الفلسـطينيَّة للـبرج في أيِّ لحظـة؛ مـا دفـع بعـض الجنـود لحرق الـبرج بأيديهـم، مُدَّعين أنَّ تماسـاً كهربائيّاً حـدث في المكان أدَّى لاشـتعال النِّيران فيه، إلَّا أنَّ التَّحقيقـات أثبتـت أنَّ الـبرج اشـتعل بفعـل فاعل.

رابعاً: عمليَّة تدمير موقع محفوظة العسكري أورحان (يونيو 2004 م):

فجـرت وحـدة مكافحـة الإرهـاب القسَّـاميَّة موقـع أورحـان المعـروف بموقـع "محفوظـة"، وهـو موقـعٌ عسـكريٌّ صهيـونيٌّ إسـتراتيجي، يقـع علـى مفـترق المطاحـن حاجـز أبـو هـولي شـمال منطقـة القـرارة بخان يونـس، وكان يُعـدُّ ثكنـةً عسـكريَّةً حصينـة، تُشـرف علـى حمايـة مـرور المغتصبـين والدَّوريَّـات العسـكريَّة الصُّهيونيَّـة في المنطقـة، وتُسـتخدم مهجعـاً يبيـت فيـه الجنـود الصَّهاينـة، وكانـت المعلومـات الـواردة تشـير إلى أنَّـه يوجـد داخـل الموقـع مـا يقـرب مـن 40-60 جنديّـاً صهيونيّـاً.



عملية نفق محفوظة

نُفِّـذت العمليَّـة يـوم الأحـد 9 جمـادى الأولى 1425هـ، بتاريـخ 27 يونيـو 2004م السَّـاعة 9:43 مسـاءً، حيـث حفـرت الوحـدة نفقـاً يبلـغ طولـه 495 مـتراً مـن منطقـةٍ آمنـة إلى أن تـمَّ الوصـول إلى نقطـةٍ تقـع أسـفل الموقـع تمامـاً، وقـد فرّعـت الوحـدة النَّفق إلى ثلاثـة أفـرع شـرقاً، ووسـطاً، وغربـاً، زُرع علـى امتـداد هـذه الأفـرع واحـدٌ وعشـرون برميـلاً متفجِّـراً.

وحينمـا حانـت سـاعة الصِّفـر فجـرّت البراميـل علـى مرحلتـين، ففـي المرحلة الأولى فجـرّت براميـل الفرْعـيْن الشَّـرقي والغـربي معـاً، ثـمَّ في المرحلـة الثّانيـة فجـرّت براميـل الفـرع الثّالـث بعـد خمـس عشـرة ثانيـةً مـن التَّفجـير الأوَّل.



القائد / محمد أبو شمالة داخل نفق محفوظة

وحول تلك العمليَّة النَّوعيَّة يقول القائد أبو إبراهيم: اخترنا المكان، واستشرنا كلِّ مَنْ له خبرةٌ بهذا الشَّأن، ثمَّ بدأنا بتشكيل طاقمٍ مشتركٍ من مجاهدي مدينتي خان يونس ورفح؛ للعمل في حفر النَّفق، حيث عاشوا ظروف عملٍ صعبةً جدًّا، وبعد إتمام مهمَّة الحفر وتجهيز عبوَّات التَّفجير البراميل وزعها المجاهدون على التَّفريعات الثَّلاث، للنَّفق، استعداداً للحظة التَّنفيذ.

وحينما حانت لحظة التَّفجير انقطع التَّيَّار الكهربائيُّ عن مكان التَّفجير فجأةً، فحاول المجاهدون الاستعانة بمعدَّاتٍ أخرى تُولِّد جُهداً كهربائيّاً عالياً، يستطيعون من خلاله إيصال الشُّحنة الكهربائيَّة اللازمة لحدوث الانفجار الكامل، وبينما هم ينتظرون إخوانَهم المجاهدين الذين سيُحضرون هذه المعدَّات، عاد التَّيَّار الكهربائيُّ للمكان، فسارعوا في تنفيذ عمليَّتي التَّفجير.

وبينما كان القادة الثَّلاثة أبو خليل وأبو أيمن وأبو إبراهيم يقفون على حاجز الأمن الوطنيِّ الذي يبعُد مسافةً كبيرةً عن مكان الانفجار، ينتظرون لحظة التَّفجير، حدث الانفجار حتَّى تساقطت في محيطهم أجزاءٌ كبيرةٌ من الحجارة، ما لم يسنح ببقائهم في المكان فغادروا بسرعة.



القائد / رائد العطار داخل نفق محفوظة

ولقد نُقل عن أحد أفراد طواقم الإسعاف الصُّهيونيَّة قوله: عند وصول التَّعزيزات العسكريَّة الصُّهيونيَّة وطواقم الإسعاف إلى معسكر جيش الاحتلال؛ أُطلقت نيران غزيرةٌ وعددٌ من صواريخ

القسَّام وقذائف الهاون نحونا، فتلقَّينا أوامر واضحة بمغادرة المكان والتَّراجع فوراً؛ خشية أنْ نُصاب بأذى.

وقد كانت هذه العمليَّة أحد ردود كتائب القسَّام على جريمتي اغتيال الشَّيخ المؤسِّس أحمد ياسين، والقائد الدُّكتور عبد العزيز الرَّنتيسي، وعلى مجازر العدوِّ الصُّهيونيِّ المتواصلة بحق المواطنين العُزل التي ارتكبها وقتها في رفح ونابلس وباقي المدن والمخيَّمات الفلسطينيَّة، وأسفرت العمليَّة عن مقتل جندي صهيوني وإصابة جنود آخرين.

بالنَّظر إلى تفاصيل العمليَّة ونتائجها نستنتج ما يلي:

- سجَّلت كتائب القسَّام بهذه العمليَّة النَّوعيَّة نصراً عسكريًّا وميدانيًّا على العدوِّ الصُّهيوني، ليس فقط باستهداف الموقع، بل بقدرتها على الوصول إلى عُمْق هذا الموقع وتفجيره.
- أثبتت العمليَّة البطوليَّة سقوط نظريَّة الجدار الفاصل، وأنَّ هذا الجدار مهما نزل في الأرض، أو ارتفع في السَّماء فلن يكون حائلاً أمام ضربات المقاومة من أسفله عبر الأنفاق، ومن فوقه عبر الصَّواريخ القسَّاميَّة.
- أكَّدت العمليَّة منذ ذلك الوقت، أنَّ الانسحاب الصُّهيوني من قطاع غزَّة سيكون قريباً تحت ضربات المقاومة الفلسطينيَّة الباسلة.
- جاءت العمليَّة بعد يومٍ واحدٍ من استهداف قادة المقاومة في نابلس[1]، فأثلجت الصُّدور، ولم تكتمل فرحة العدوِّ بما توهَّم أنَّه حقَّقه من إنجاز.
- كانت معية الله حاضرة لرجال المقاومة من خلال الحفر في المكان المناسب،

---

(1) **جريمة نابلس:** ارتكبت قوَّات جيش الاحتلال الصُّهيوني مساء السَّبت بتاريخ 26 يونيو 2004م، جريمةً بشعةً بحقِّ ستَّة مواطنين فلسطينيِّين في مدينة نابلس، حيث اغتيل الشُّهداء السِّتَّة داخل نفقٍ في البلدة القديمة من المدينة وهم من كتائب شهداء الأقصى، وكتائب الشهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وسرايا القدس، والشُّهداء هم: نايف فتحي أبو شرخ من مخيم بلاطة، سامر طارق عكوبة من نابلس، جعفر محمَّد المصري من نابلس، فادي بسام الشَّيخ إبراهيم من طولكرم، عمر مسمار من نابلس، وجدي القدُّومي من نابلس.

فقد رفُعت ذات ليلة علامة من تحت سطح الأرض فتبيَّن أنَّهم قريبون جدّاً من الموقع، وبدأت رائحة السُّولار المنبعث من مولِّد الكهرباء في الموقع تصل إلى أنوفهم، فعرفوا أنَّهم أسفل الموقع مباشرة، عندئذٍ طُلب منهم أنْ يرتفعوا شيئاً فشيئاً إلى سطح الأرض، بحيث يكونون قريبين جدًّا من ملامسة أرضيَّة الموقع العسكري.

وبالفعل بدأ الحفر يأخذ منحىً أعلى فأعلى، حتَّى سمعوا أصوات جنود الاحتلال وهم يُكلِّمون بعضهم بعضاً، كما وقد سمعوا صنابير المياه وهي تُفتَح، وسمعوا ضحكات الجنود الصَّهاينة وغناءهم، فعرفوا حينها أنَّهم قد وصلوا إلى هدفهم بدقَّة، ولم يعد أمامهم سوى ضغطة الزِّر.

أبرز ما جاء في أقوال قادة العدوِّ وتعليقاتهم حول العمليَّة:

- منذ أمس وبعد تفجير موقع أورحان ودفعه إلى الانهيار، يمكن الحديث عن اصطلاحٍ جديدٍ في السَّاحة الفلسطينيَّة "إرهابٌ غزِّيٌّ".
- الإرهاب العراقي يَجبي كمِّيَّاتٍ هائلةٍ من الضَّحايا، ولكن من حيث مستوى التَّخطيط والتَّنفيذ فإنَّ الإرهاب الغزِّيَّ هو الأكثر تطوُّراً في العالم.
- كنَّا نتوقَّع هجوماً (فلسطينيّاً)، لكن ليس بهذه الضَّخامة، إنَّ الحديث عن نفقٍ حُفر تحت الموقع العسكري بعمق 15 متراً، ويبدو أنَّ عمليَّة الحفر استمرَّت عدَّة أيَّام، ومن ثَمَّ وُضعت عبوَّةٌ ناسفةٌ ضخمةٌ تمَّ تفجيرها بالموقع العسكري عن بُعْد، أيْ عن طريق جهازٍ تبيَّن أنَّه جهاز هاتفٍ خلويٍّ مُحسَّن[1].
- يجب أنْ تنطلقوا في العمل من نقطة الاعتبار بأنَّهم يجمعون المعلومات الاستخباريَّة عنَّا دائماً، إنَّهم ينتظرون فقط الفُرصة المناسبة وحدوث ثغرة؛ كي يُوجِّهوا ضربتهم. إنَّهم يُسجِّلون كلَّ قافلةٍ تمرُّ على الطَّريق، يعرفون كلَّ تحرُّكٍ في الموقع العسكري.

(1) آلية التفجير: تمَّ تفجير العبوات أسفل الموقع بواسطة سلكٍ كهربائيٍّ وليس كما يدَّعي جيش الاحتلال أنَّه فُجِّر بواسطة جهازٍ خلوي (ففي السَّاعة التَّاسعة إلَّا رُبْعاً كان الجميع واقفين عند فوَّهة البئر الذي طُمر تماماً، وبرزت منه فقط الأسلاك الكهربائيَّة، فقد كانت هناك حاجة إلى قوة كهربائية كبيرة تصل إلى 220 أمبير، إذ إن الاعتماد على البطاريات الصغيرة سيجعل الانفجار ضعيفاً).

خامساً: عمليَّة براكين الغضب (تدمير موقع J.V.T) ديسمبر 2004م:



عملية براكين الغضب

تُعدُّ عمليَّة تفجير موقع J.V.T العسكري الصهيوني المجاور لمعبر رفح عمليَّةً أمنيّةً بالدرجة الأولى، حيث دارت أحداثها في محيطٍ أمنيٍّ معقَّدٍ جدّاً، وقد كان لدى مجاهدي كتائب القسَّام جميع الإمكانات اللازمة لتنفيذ العمليَّة من حفرٍ للنَّفق، والمكان المستهدف، ومواد التَّفجير، غير أنَّ السَّيطرة الأمنيَّة كانت المهمَّة الأصعب على الطاقم المشرف على تنفيذ العملية، إذ لابد من توفير غطاءٍ أمنيٍّ للقائمين على العمليَّة؛ الأمر الذي أدّى إلى استغراق مدة أطول في التَّخطيط.

اغتنم القائدان أبو خليل، وأبو أيمن علاقاتهما الوطيدة مع فصائل العمل المقاوم كافَّة؛ لتوفير الغطاء الأمنيِّ اللازم لتنفيذ العمليَّة، وشكلا طاقماً خاصاً للعمل، حتَّى تمكَّنت وحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة، وبالتَّعاون مع صقور فتح -أحد الأجنحة العسكريَّة لحركة فتح- من نسْف موقع J.V.T العسكري الصُّهيونيِّ وتدميره جنوب قطاع غزَّة، بمحاذاة الحدود المصريَّة.

فقد تمكَّن أبطال كتائب الشهيد عز الدين القسَّام وصقور فتح من حفر نفقٍ طويل من أحد البيوت في مدينة رفح، وصولاً إلى أسفل الموقع العسكري، وقد واصلوا الليل بالنَّهار حتَّى استطاعوا تجهيزه في المدة الزَّمنيَّة التي حدَّدتها قيادة كتائب القسَّام، وقد تمَّ التَّفجير على مرحلتين: الأولى السَّاعة الخامسة وسبع دقائق من مساء الأحد الأوَّل من ذي القعدة 1425هـ، بتاريخ 12 ديسمبر 2004م، وقد أسفر التَّفجير الأوَّل عن مقتل ثلاثة جنودٍ صهاينة، أحدهم دُفن تحت الأنقاض.

وبعد رؤية الانفجار الضَّخم يَهزُّ الموقع، أُعطِي الأمر لمجاهديْن اثنين -كان القائد محمَّد أبو شمَّالة قد أشرف على تدريبهما؛ أحدُهما من كتائب القسَّام، والآخر من صقور فتح- باقتحام الموقع، حيث فاجآ الجنود الصَّهاينة بعد خروجهما من نفقٍ آخر أُعدَّ لهذه الغاية، وبدآ بالاشتباك معهم، أثناء محاولتهم الهروب من المكان.



الشهيد / المؤيد بحكم الله الأغا

وبعد مضيٍّ ساعةٍ من الاشتباك المتواصل، استُشهد المجاهد المؤيِّد بحكم الله الأغا -عشرون عاماً- ابن صقور فتح، وهو من سُكَّان مدينة خان يونس، في حين انسحب مجاهد كتائب القسَّام بسلام بعد تنفيذ مهمَّته بنجاح، حيث تمكَّن من اغتنام سلاحٍ من العيار الثَّقيل من فوق أحد الأبراج العسكرية في الموقع العسكري المستهدف، وهو رشاش من طراز (mag)، وأكَّد المجاهد القسَّامي مقتل سبعة جنودٍ صهاينة؛ أربعةٌ منهم على يديه، وحاول أسْر أحد الجنود من الموقع، إلا أن الجندي الصهيوني أبدى مقاومة ما اضطر المجاهد إلى إطلاق النار عليه فأرداه قتيلاً؛ خشية وصول تعزيزات عسكرية صهيونية لمسرح العملية.

وبعد مرور ساعةٍ على تنفيذ العمليَّة تمَّ تفجير العبوَّة الأخرى؛ لاستهداف التَّعزيزات الصُّهيونيَّة القادمة وكذلك مَنْ تبقَّى من جنود الاحتلال في محيط الموقع، حيث يُذكر أنَّ قوَّات النَّجدة والإنقاذ من جنود الاحتلال لم تصل إلى الموقع إلَّا بعد أربعين دقيقةٍ من بدء تنفيذ العمليَّة، وذلك كما جاء في خطاب أبي عبيدة -النَّاطق الإعلامي لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام-، في حين ظهر القائد أبو خليل أبو شمَّالة عبر وسائل الإعلام وهو يقرأ بيان العمليَّة حاملاً سلاح (Mag)، الذي غنمه المجاهد القسَّامي بعد اقتحامه لموقع العمليَّة وانسحابه بسلام.

من جانبٍ آخر اعترف العدوُّ الصُّهيوني بأنَّه خلال تنفيذ العملية أُطلقت قذائف هاونٍ وقذائف مضادةٍ للدَّبَّابات على كيبوتسٍ عسكريٍّ صهيونيٍّ خارج الجدار؛ للتَّغطية على العمليَّة وتضليل العدوِّ وانسحاب المقتحم.



سلاح الماغ المغتنم من العملية

وقد اعترف الاحتلال الصهيوني بمقتل خمسةٍ جنود من وحدة الدَّوريَّات الصَّحراويَّة، وإصابة ستةٍ آخرين، كانت حالة أربعةٍ منهم خطيرة، لإصابتهم بجروحٍ بليغة، في حين أكَّد المجاهد القسَّامي الذي انسحب بسلام مقتل سبعة جنودٍ صهاينة، وتشير بعض المصادر إلى أنَّ الإصابات بلغت ثلاثة عشر، كما اعترف العدو بوجود جنودٍ آخرين تحت الأنقاض.

وقد أدَّت العمليَّة إلى تدمير الموقع تماماً وفق اعتراف العدو، كما وأدَّى الانفجار إلى إصابة نقطة العبور التي تبعد نحو 300 مترٍ عن الموقع العسكريِّ الصُّهيوني.



القائد الشهيد / رائد العطار

وقد وصف قائد المنطقة الجنوبيَّة في الجيش الصُّهيوني اللواء دان هرئيل ما حدث، بقوله: "في البداية وقع انفجار في مكانين مختلفين في الموقع العسكري، ثمَّ دخل منفِّذا العمليَّة إلى الموقع العسكري، وأطلقا النَّار تُجاه الجنود، فردَّ الجنود بإطلاق النَّار، وتمكَّنوا من قتل أحدهما، في حين لاذ الآخر -على ما يبدو- بالفرار، وعندما وصلت قوَّات الإنقاذ وقع انفجارٌ ثانٍ في منطقةٍ أخرى من الموقع".


القائد الشهيد / رائد العطار

وقد علق الإعلام الصهيوني على العملية مطولاً؛ حيث أخذت حيزاً واسعاً من الأستوديوهات التحليلية الصهيونية التي حاورت العديد من المختصين والصحفيين لتفسير ما حدث، وكان أبرزها ما جاء في حديث الصَّحفي عاموس هرئيل قائلاً: "وقعت العمليَّة في ذروة احتفالٍ في قيادة المنطقة الجنوبيَّة، مُنح فيه النَّقيب الصهيوني أفيف حكاني القائد الأوَّل لفريق الأنفاق وسامَ بطولةٍ، والذي قُتل في انفجار المجنزرة في محور فيلادلفيا في مايو - أيَّار، ويُضيف قائلاً: "نجاح حماس ليس صدفة، فالعمليَّة أمس هي نتيجةٌ لإعدادٍ دقيقٍ وطويل، وهي هجومٌ متعدِّد المراحل، وبالتَّأكيد عمل عليه عشرات النُّشطاء".

وقد جاءت هذه العمليَّة ضمن سلسلةِ عمليَّات حرب الأنفاق التَّابعة لوحدة مكافحة الإرهاب القسَّاميَّة، التي بدأت بعمليَّة ترميد العسكريَّة ولم تنتهِ بعمليَّة براكين الغضب البطوليَّة.


القائد / رائد العطار

استطاعت كتائب الشهيد عز الدين القسام عبر إدخال سلاح الأنفاق إلى المواجهة مع الاحتلال الصهيوني، تغيير قواعد الاشتباك، وإحداث توازنٍ في الرعب، والتغلب على الترسانة العسكرية في مواجهة المواقع المنتشرة على حدود قطاع غزَّة، ما دعا قيادة الجيش الصهيوني إلى دق ناقوس الخطر، وتغيير سياساته الأمنية

في التعامل مع قطاع غزَّة، فلم يعد قطاع غزَّة كسابق عهده مجرداً من الإمكانات العسكرية، ولقد كان للقائدين أبو شمالة والعطار السبق الأول في وضع لبنات سلاح الأنفاق وإرساء قواعد هذا الإنجاز الإستراتيجي لكتائب القسام، والذي ظهرت ثمراته عبر المسيرة الجهادية للكتائب، والتي كان من أبرزها تنفيذ عملية الوهم المتبدد.

لقد لعبت جميع تلك العمليَّات دوراً عظيماً في قرار حكومة الاحتلال الصُّهيوني بالفرار من قطاع غزَّة في سبتمبر 2005م.

المبحث الثاني

وهمٌ يتبدد، وتربصٌ يتجدد

عمليَّة الوهم المتبدِّد:

شغلت قضيَّة الأسرى فكر قيادة كتائب القسَّام، حتَّى احتلَّت عقولهم، وسكنت وجدانهم، فما انكفأت عن حياكة ما يبدِّد ليلهم السَّجي، وقيدهم الوثيق، فطافت الحدود، ورصدت الأهداف، وفقهت واقع الميدان، حتَّى تقرَّر تحديد ساحة النِّزال ومسرح العمليَّات.

وعلى تُخوم مدينة رفح كانت وُجهة كتائب القسَّام، حيث نقطة الانطلاق إلى الهدف المنشود، في الخامس والعشرين من يونيو عام 2005م، بدأت وحدة العمل الخاص رجال الأنفاق باختراق الأرض وشقِّها تجاه موقع التَّنفيذ، بإشرافٍ مباشرٍ من قادة القسام، ومتابعةٍ آنيَّةٍ من القائد العام.

تفانى شباب الإعداد والتجهيز في مهمَّة الحفر، فكانوا يُباشرون عملهم قبل شروق الشَّمس ويغادرون بعد غروبها، بأدواتٍ بدائيَّةٍ ومعاول تقليديَّة يقطعون الأرض وينحتون في تربتها الصَّخريَّة، ثلاثة أشهر مضت على عمليَّة الإعداد وحفر النَّفق، خاض خلالها القائدان القساميان أبو أيمن العطار وأبو خليل أبو شمالة معركة التَّحدِّيات والإنجاز، حتَّى تمكّنا والقيادة المتابعة من تمام إنجاز حفر النَّفق بطول بلغ 550 متراً، حيث كانت المسافة من عين النَّفق إلى الدَّاخل المحتل تُقدَّر بـ 250 متراً، وكانت أبعاد مقطعه 50سم * 70سم.

توازت مع جولات الحفر والإعداد مراحل التَّرشيح والاختيار لكوكبة الاستشهاديين، الذين سيرسمون ملامح المرحلة القادمة، فكان نصيب كلِّ لواءٍ استشهاديٌّ واحد، إضافةً إلى اثنين من الفصائل الأخرى، ليصبح عدد الاستشهاديين المشاركين 7 مجاهدين، وتكفَّل قائدانا بتأمين جميع العتاد المُقرَّر لتنفيذ العمليَّة، كما وشملت مراحل التَّخطيط إعداد وتجهيز (وحدة الظِّل)، التي تعنى بتأمين كلِّ ما سيستحوذ عليه المجاهدون من مغانم، بذلك تكاملت خطَّة كتائب القسَّام، وأصبحت على أجندة التَّنفيذ.

دَوّتْ صرخات الطِّفلة هدى غالية[1]، ثمَّ تلتها سلسلةٌ من الجرائم الصُّهيونيَّة المُروِّعة، المتمثِّلة بالاغتيال والاعتقال وغيرذلك من الاعتداءات ضدَّ أبناء الشَّعب الفلسطينيِّ من الأطفال والنِّساء والمدنيِّين، الأمر الذي حتَّم على أهل قطاع غزَّة الانفراد بجبهة المواجهة وحدهم، لتتشابك سواعد المقاومة الغزِّيَّة؛ مشعلةً لظى نيرانها، تبطش بهاتك العرض وسالب الأرض وسافك الدِّماء، فقد بادرت قيادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام بإشراك بعض الفصائل المقاومة على السَّاحة الفلسطينيَّة، فكان منها ألوية النَّاصر صلاح الدِّين -الجناح العسكري للجان المقاومة الشَّعبيَّة-، وجيش الإسلام؛ لتنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّةٍ استهدفت مواقع الإسناد والحماية التَّابعة لجيش الاحتلال الصُّهيوني على الحدود الشَّرقيَّة لمدينة رفح قرب معبركرم أبو سالم جنوب قطاع غزَّة، وذلك صباح الأحد 29 جمادى الأولى 1427هـ، 25 يونيو 2006م.

إعلان النَّفير... وشارة الانطلاق

تداعت قيادة كتائب الشهيد عز الدين القسام للاجتماع، الذي تقرَّرخلاله تنفيذ عمليَّة (الوهم المُتبدِّد)، وبالتَّالي الخوض في أدقِّ تفاصيل عمليَّة التَّنفيذ، فكان الهدف عبارة عن غارةٍ في عمق العدوِّ الصُّهيوني، عبر مقتربٍ وصوليٍّ "نفق" إلى نقطة الهدف خلف خطوط العدو، حيث يتكوَّن من برج مراقبة، بجانبه آليَّةٌ مُصفَّحة، ودبابة ميركافاه من نوع باز 3 ونقطة ارتكاز،



القائد الشهيد / رائد العطار

(1) هدى غالية: ألقت المدفعية الصُّهيونيَّة، وسلاح البحرية الصهيوني عصر الجمعة الموافق 9 يونيو 2006م، وتحديداً من الساعة 4:31-4:50 ثماني قذائف على شاطئ بحر بيت لاهيا؛ ما أدّى لاستشهاد والد هدى وخمسةٍ من أشقائها، وقد ظهرت هدى ابنة 12 عاماً على القنوات الفضائية وهي تبكي بالقرب من جثامين أفراد عائلتها، وعرفت هذه الجريمة (بمجزرة شاطئ غزَّة).

يتم إنزال سبعة استشهاديين خلف خطوط العدو؛ لتنفيذ عمليَّة مباغتةٍ واقتحامٍ للموقع ،توزَّعت المهام على المجاهدين: اثنان لتفجير الآليَّة، وآخران لتفجير المُدرَّعة، ومثلهما لمهاجمة البرج الأحمر، والسابع يغطي على الإخوة الاستشهاديِّين (الظهير).

انطلق المجاهدون في تمام السَّاعة الخامسة وخمسٍ وعشرين دقيقة صباحاً؛ لتنفيذ العمليَّة الجهاديَّة، وبدأت العملية بقصفٍ تمهيدي، وإشغالٍ لحامية معبرَيْ صوفا وكرم أبو سالم الصُّهيونيَّين بمدفعيَّة الهاون، والرَّشَّاشات المتوسطة ثمَّ بدأ التَّنفيذ الفعلي الذي قامت به "وحدة الإنزال خلف الخطوط"، وذلك من خلال نفقٍ يمتدُّ من داخل قطاع غزَّة حتَّى عُمقِ أراضينا المحتلَّة عام 1948م.

حيث تمكَّنت وحدة الإنزال المشتركة من مباغتة طاقم الجنود -داخل الموقع-، وأوْقَعَتْهُم مُجَنْدَلَيْن بين جريحٍ وقتيل وأسير، كما هاجمت دبَّابةٍ من طراز ميركافا (3)، وتدمير ناقلة جندٍ مصفَّحةً، كما دمّرت الموقع العسكري الاستخباري جزئياً.

لم يستطع العدوُّ إخفاء فداحة فشله، وبادر بالاعتراف أنَّ العمليَّة العسكريَّة كانت نوعيَّة، نفَّذها مُسلَّحون فلسطينيُّون كما لو أنَّهم جنودٌ في جيشٍ منظَّمٍ ومدرَّبٍ على أعلى المستويات.

وفي الإطار ذاته يتحدَّث العميد أفيف كوخافي - قائد فرقة غزة - آنذاك -، في المؤتمر الصَّحفي الذي عقده عقب عمليَّة أسر الجندي الصُّهيوني ظُهر الأحد (6/25)، أنَّ سبعةً أو ثمانية مُسلَّحين فلسطينيِّين نفَّذوا الهجوم معاً، ووصف طريقة عملهم بقوله: "إنَّهم دخلوا عبر نفقٍ طويلٍ جدًّا، وعندما خرجوا من النَّفق توزَّعوا إلى ثلاث فرق: القوَّة الأولى هاجمت برج المراقبة واشتبكت مع الجنود الموجودين في المكان، وجرَّاء الاشتباك (قُتل) اثنان من المسلَّحين الفلسطينيين وجُرح ثلاثةُ جنودٍ من الجيش، وُصفت إصاباتهم بالبليغة، أما القوَّة الثَّانية هاجمت مُدرَّعةً وهميَّةً -لا تحوي جنوداً- وُضعت في المكان؛ بهدف التَّضليل.

أمَّا القـوَّة الثَّالـثة فقـد هاجمـت دبَّابـةً للجيـش بالصَّواريـخ، وألقـت عـدَّة قنابـل داخلها، فقُتل قائـد الدَّبَّابة، وهـو ضابطٌ برتبـة مـلازم أوَّل، وجنـديٌّ آخـر، كما وأصيب جنـديٌّ ثالـث، في حين أُسـر الجنـديُّ الرَّابع.



الجندي الأسير/ جلعاد شاليط

وعاد المجاهـدون إلى قطاع غـزَّة سـيراً على الأقـدام فـوق سـطح الأرض، وليس عـبر النَّفـق، وأثنـاء انسـحابهم فجّـروا عبـوّةً في السِّـياج الأمـني، وبذلـك فتحـوا فيـه فتحـةً كبـيرةً أتاحـت لهـم العبـور بسـرعة، ثـمَّ اختفـت آثارهـم وتـواروا عـن الأنظـار، ولـم يتمكّـن العـدو مـن التَّعـرُّف علـى مسـارهم حـتَّى الطَّائـرات المروحيَّـة الـتي جابـت الأجـواء فـوراً؛ بحثـاً عنهـم.

وعندمـا نـزل جنـود سـلاح الهندسـة الصُّهيـوني إلى النَّفـق؛ ليفحصـوا وضعـه ويعرفـوا مـتى حَفـر وإلى أيـن يصـل، وجـدوا أنَّ المسـلَّحين الفلسـطينيِّين قـد زرعـوا فيـه الألغـام؛ مـا أعـاق حركتهـم وشـوَّش خُططهـم العسـكريَّة لتتبُّعِهـم.

ويـروي أحـد الجرحى الصَّهاينـة مـن سـريره في مستشـفى بـئر السَّـبع قائـلاً: "إنَّ الاشـتباك المُسـلَّح بـين القـوَّة المُهاجمـة ونحـن الجنـود دام مدَّةً طويلـة، وكان اشـتباكاً مُسـلَّحاً كمـا لـو كانـت حربـاً بـين جيشـين نظاميَّـين، فقـد أظهـر الفلسـطينيُّون خـبرةً مُفاجئـةً لنـا ولرفـاقي في القتـال".

وكان حصـاد هـذه العمليَّـة، مصـرع اثنـين مـن جنـود الاحتـلال الصُّهيـوني، وهمـا مـلازم أوَّل حنـان بـراك 20 عامـاً مـن سـكَّان عـراد، والعريـف فابـل سلوتسـكر 20 عامـاً مـن سـكَّان ديمونـا، وجـرح سـتَّةٍ آخريـن، وأسْـر عريـف أوَّل جلعـاد شـاليط.

كما وارتقى في هذه العمليَّة اثنان من المُقتحمِين، هما الاستشهادي: محمَّد عزمي فروانة[1] من جيش الإسلام، والاستشهادي: حامد الرَّنتيسي[2] من لجان المقاومة الشَّعبيَّة، وعاد خمسةُ آخرون إلى قواعدهم بسلام. واستخدمت المقاومة الفلسطينيَّة في هذه العمليَّة قذائف الهاون، وسلاح الياسين، وأسلحةً رشَّاشة، وعبوَّاتٍ ناسفة.

عقب الوهم المُتبدِّد .. تخبُّط مُتجدِّد (معركة وفاء الأحرار)

شَكَّلَ أسر الجندي جلعاد شاليط ضربةً أمنيَّةً عسكريَّةً لقوات الاحتلالِ، على أعقابها أعلن عن اجتياحٍ كاملٍ لقطاع غزَّة، وفي حالةٍ من التَّخبُّط بدأت قوَّات الاحتلال باستهداف بعض المنازل بطيران الـ (F16)، ملوِّحةً بنيَّتها القيام بعددٍ من التَّوغُّلات والحملات العسكريَّة، حيثُ شنّت في 26 يونيو 2006م، توغُّلاتها وحملاتها على قطاع غزَّة، والتي أسمتها (أمطار الصَّيف)، فصدَّت كتائبُ القسَّام هذه التَّوغُّلات، وأعلنت بدء معركةٍ عسكريَّةٍ عقبتْ عمليَّة أسر الجنديِّ الصُّهيوني جلعاد شاليط، والتي أطلقت عليها (معركة وفاء الأحرار)، شهدت أرجاء قطاع غزَّة أيَّاماً عصيبة إبان هذه العمليَّة كانت هي الأشد وطأةً على تُخوم مدينة رفح، حيث تقدَّمت قوَّات العدو وآليَّاته المسعورة تقصف وتهدم وتُهجِّر وتجرف، فسارع القائد أبو أيمن إلى إعلان أعلى درجات الاستنفار في جميع مناطق مدينة رفح؛ صدًّا لهذا العدوان، فاستبسل المجاهدون في صدِّهم ومنعهم من اختراق الأحياء، حيث قدَّم خلالها القسَّام عدداً من الشُّهداء، تزامنت هذه السِّجالات مع ضربةٍ جديدةٍ يتلقَّاها جيش الكيان من الجبهة الشَّماليَّة، وأسر حزب الله جنوداً صهاينة.

(1) **محمَّد عزمي محمَّد فروانة (1985-2006م):** ولد بمدينة خان يونس، بتاريخ 20 يناير 1985م، التحق بجامعة الأقصى، كلية التربية. كان يتسم بالهدوء والسرية والكتمان، فلم يكن يطلع أحداً على دوره في المقاومة، استشهد بتاريخ 25 يونيو 2006م، أثناء مشاركته في تنفيذ عمليَّة الوهم المتبدد، التي نفذتها كتائب القسَّام وألوية الناصر صلاح الدين، وجيش الإسلام الذي كان الشهيد أحد أعضائه.

(2) **حامد الرنتيسي:** ولد بحي البرازيل بمدينة رفح، لأسرة لاجئة من قرية يبنا، كان أحد رواد مسجد أبو بكر الصديق بحي البرازيل، انضم إلى ألوية الناصر صلاح الدين الجناح العسكري للجان المقاومة الشعبية، استشهد، بتاريخ 25 يونيو 2006م أثناء مشاركته في تنفيذ عمليَّة الوهم المتبدد.

وأطلق على عمليته (الوعد الصَّادق)، وعلى غرارها كانت شرارة معركة تمُّوز عام 2006م، على الجبهة اللبنانيَّة مع قوَّات الاحتلال الصُّهيوني، الأمر الذي أدَّى إلى حرف مسار قوَّات الاحتلال الصُّهيوني تُجاه الجبهة الشَّماليَّة، وبالتَّالي التَّقليل من حدَّة الهجمة العسكريَّة على القطاع، وتركيز قوَّاتها في المواجهة مع حزب الله.

دلالات العمليَّة:

كان لهذه العمليَّة النَّوعيَّة دلالاتٌ، **من أهمِّها:**

- حقَّقت نتائج مذهلةٍ على الصَّعيد الأمنيِّ والعسكري، مؤكِّدةً أنَّها فاجأت العدو، وفاقت كلَّ توقُّعاته، وأفشلت احتياطاته الأمنيَّة الكبيرة.
- محافظة المجاهدين في فصائل المقاومة الفلسطينيَّة على المُشاركِة في النَّمط الهجومي، واعتماد عنصر المبادرات الجهاديَّة، ومفاجأة العدوِّ الصُّهيوني.
- الاستعداديَّة الدَّائمة لدى مجاهدي كتائب القسَّام بالتَّخطيط والتَّنفيذ لعمليَّاتٍ فدائيَّةٍ تُربك وتُؤذي المؤسَّسة العسكريَّة الصُّهيونيَّة.
- كوْن العمليَّة مشتركة، فهذا يدلُّ على وحدة الدَّم والمصير الفلسطيني، وتوافق فصائل المقاومة الفلسطينيَّة على اعتماد المقاومة بجميع أشكالها نهجاً ثابتاً في إزالة الاحتلال الصُّهيوني.
- أطلقت الفصائل العسكريَّة الثَّلاثة على العمليَّة اسم الوهم المُتبدِّد، مُشدِّدةً على أنَّها تأتي ردًّا على التَّصعيد الصُّهيوني، وعمليَّات الاغتيال المُتواصلة.
- يُعدُّ هذا الهجوم هو الأقوى الذي نفَّذته المقاومة الفلسطينية منذ الانسحاب الصُّهيوني من قطاع غزَّة في سبتمبر 2005م.

تسلسُل أحداث أسر الجنديِّ الصُّهيوني جلعاد شاليط:

- أعلن الجيش الصُّهيوني عن أسر جنديٍّ يُدعى جلعاد شاليط (19 عاماً)، وهو الرامي داخل الدَّبَّابة التي هاجمها المجاهدون.
- فصائل المقاومة التي نفَّذت هذه العمليَّة، أعلنت أنَّها لن تُقدِّم معلوماتٍ

مجّانيّـةً لقـوّات جيـش الاحتـلال حـول أسـر الجنـدي.

- صرّحـت وزيـرة الخارجيّـة الصُّهيونيّـة تسـيفي ليفـني لمصـادر صحفيّـة عبريّـة، أنّ دولـة الكيـان تحـذر محمـود عبّـاس -رئيـس السُّـلطة الفلسـطينيّة- مـن مغـادرة قطـاع غـزّة قبـل إعـادة الجنـدي الأسـير في عمليّـة الوهـم المتبـدِّد.
- أفـادت مصـادر صحفيّـة أنّ الحكومـة الصُّهيونيّـة وضعـت مصـر والأردن وأمريـكا وأوروبـا وسـطاء؛ للإفـراج عـن الجنـديّ الأسـير، الـذي أصبـح القضيّـة الأولى في الكيـان الصُّهيـوني.
- أفـادت التّقاريـر الإعلاميّـة العبريّـة أنّ الجيـش وجهـاز الأمـن العـام (الشّـاباك) فعّلـوا عـدّة وسـائل علـى المسـتوى الاسـتخباري؛ مـن أجـل معرفـة مـكان الجنـديّ الأسـير، كمـا وقـد جـرى وضـع عـدّة وحـداتٍ خاصّـةٍ في حالـة تأهُّـب.
- قائـد أركان الجيـش الصُّهيـوني دان حالوتـس يذكـر في مؤتمـرٍ صحفـيٍّ عَقَـدَه عقـب العمليّـة: "حسـب المعلومـات الـتي وصلـت الجيـش، فـإنّ الجنـديَّ الأسـير لا يـزال حيـاً.
- أعلـن دان حالوتـس إغـلاق الحـدود مـع مصـر؛ حـتّى لا يتـم تهريـب الجنـدي عـبر الحـدود، مهـدِّداً باسـتهداف الحكومـة الفلسـطينيّة، وأنّـه لا يوجـد فيهـا أيُّ شـخصٍ غـير مسـتهدف.
- العـدوُّ الصُّهيـوني يُمهـل فصائـل المقاومـة والرِّئاسـة والحكومـة الفلسـطينيّة يومـين؛ لإطـلاق سـراح الجنـديِّ الصُّهيـوني.
- أصـدرت فصائـل المقاومـة الفلسـطينيّة الثّلاثـة، الـتي نفّـذت العمليّـة بيانـاً مشـتركاً، قالـت فيـه: إنّ الاحتـلال لـن يحصـل علـى أيِّ معلومـاتٍ حـول مصـير جنديِّـه المفقـود إلّا **بعـد أن يلـتزم بالتّـالي:**

أوّلاً: الإفراج الفوري عن الأسيرات كافّة في السُّجون الصُّهيونيّة.

ثانيـاً: الإفـراج الفـوري عـن الأطفـال كافّـةً في السُّـجون الصهيونيـة، دون سـنِّ الثّامنـة عشـرة، حيـث يتنـافى هـذا الاعتقـال مـع كلِّ القِيَـم الإنسـانيّة والأعـراف الدَّوْليّة، لكـن الحكومـة الصُّهيونيّـة برئاسـة أولمـرت رفضـت هـذا العـرض.

وطالبت بالإفراج عن الجنديِّ الأسير، وكان من التداعيات:

1. حشد جيش الاحتلال قوَّاته على الحدود الجنوبيَّة من قطاع غزَّة، وجعل جيشه على أهبَّة الاستعداد لأيِّ هجومٍ مُحتملٍ على القطاع بعد انتهاء المُهلة في اليوم التَّالي.
2. نظَّمت عائلات الأسرى الفلسطينيِّين في سجون الاحتلال الصُّهيوني مسيراتٍ في الضِّفَّة الغربيَّة، وبالتَّحديد في مدينة رام الله، طالبت فيها فصائل المقاومة الفلسطينيَّة **بعدَّة أمور، منها:**
   - التَّمسُّك بالجنديِّ الصُّهيونيِّ الأسير، وعدم الإفراج عنه.
   - الحفاظ على حياة الجندي، الأمر الذي قد يمنع العدوَّ الصُّهيوني من أيِّ اعتداءٍ على الفلسطينيِّين.
   - العمل على الإفراج عن الأسرى الفلسطينيِّين في سجون الاحتلال مقابل الجنديِّ الأسير.
3. دعت كتائب شهداء الأقصى فصائل المقاومة التي أسرت الجنديَّ الصُّهيوني إلى الحفاظ على حياة الجندي، وعدم الإفراج عنه.
4. صدور بيانٍ مُشتركٍ من الفصائل التي أسرت الجنديَّ الصُّهيوني، رفعت فيه سقف المطالب مقابل الإفراج عن الجنديِّ الأسير، وتضمَّن البيان المطالب التَّالية:
   - الإفراج عن جميع الأسيرات، والأطفال دون سن الـ 18، كبادرة إثباتٍ جدِّيَّة، وحُسْن نوايا مقابل معلوماتٍ عن الجنديِّ المفقود.
   - الإفراج عن ألفٍ من الأسرى الفلسطينيِّين والعرب والمسلمين من أيِّ جنسيَّةٍ كانوا، شاملاً ذلك بالدَّرجة الأولى جميع قادة الفصائل الفلسطينيَّة، وجميع ذوي الأحكام العالية، وجميع المرضى ذوي الحالات الطِّبِّيَّة الصَّعبة والإنسانيَّة داخل السجون.
   - وقْف كلِّ أشكال العدوان والحصار على الشَّعب الفلسطيني.

وكان أبرز ما نشرته صحف العدوّ الصُّهيونيّ:

- الجوانب السِّياسيَّة المُعقَّدة لا يمكنها أنْ تُغطِّي الإخفاق الميدانيَّ الذي وقع فيه الجيش الصُّهيوني، وينبغي الاعتراف بأنَّ المهاجِمين الذين أظهروا الجسارة نجحوا في مهمَّتهم.
- صواريخ القسَّام، والهجوم على الموقع العسكري، واختطاف الجندي جلعاد شاليط، نجحت في إسقاط الانسحاب أحادي الجانب الذي خطَّط له أولمرت في الضِّفَّة الغربيَّة.
- يجب على حكومة (إسرائيل) أنْ تُعيد إلى نفسها قيمتين ثمينتيْن كانتا قد سُحبتا من يديها: الجندي الأسير جلعاد شاليط، وقوَّة الرَّدع.
- إنَّ أسْر الجنديَّ شاليط، وقتْل اثنين من رفاقه المقاتلين لا يمكن اعتبارها مجرَّد عمليَّةٍ جانبيَّةٍ ولمرَّةٍ واحدة، بل هي عبارةٌ عن نتيجةٍ لمسيرةٍ متواصلة، فقدت (إسرائيل) خلالها قوَّة ردعها مقابل (العدوِّ الفلسطيني).
- إذا لم يُعَد الجنديُّ الأسير بسلام، فإنَّ (إسرائيل) ستعمل بقوَّةٍ ضدَّ الذين تنظر إليهم على أنَّهم المسؤولون عن كلِّ ما يحدث في قطاع غزَّة، بما في ذلك رئيس الوزراء إسماعيل هنيَّة.
- انحصرت المهمَّة في غزو ثمانية أشخاصٍ مسلَّحين موقعاً للجيش (الإسرائيلي) في الخطِّ الحدودي، ثمانية مهاجمين -لا وحدة ولا سريَّة عسكريَّة-، لم ينقضُّوا على جماعةٍ عاجزةٍ من المواطنين، ولم يهاجموا روضة أطفالٍ فجأةً في كيبوتس أو دار مسنِّين في مدينة تطوير، ولا مكتب ضابط المدينة في قلب تل أبيب.
- ثمانية مهاجمين خرجوا من نفقٍ غير معروفٍ حقّاً، لكنَّهم في المُحصِّلة ظهروا وراء موقعٍ عسكريٍّ مكشوف، ثمانية مهاجمين كان يُفترض أنْ يواجههم جنودٌ صهاينةٌ مؤهَّلونٌ ومدرَّبون ويقظون؛ لحقيقة أنَّهم موجودون على خطِّ النَّار لا في مخيَّمٍ صيفيٍّ لحركة شُبَّان، وأنَّه توجد إنذاراتٌ بالهجوم كان يُفترض أنْ يُوجَدوا، ولم يُوجَدوا لسببٍ ما، ومن المؤكَّد أنَّهم لم يُوجَدوا بنسبةٍ كافيةٍ وباستعدادٍ مناسب.

إنَّ براعة التَّخطيط وروعة الإنجاز التي صاغتها عقول وسواعد القائدين: محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، مهندسي هذه العمليَّة، ومن خلفهم المجاهدون المشاركون في العمليَّة، ثمَّ ما تلاها من مراحل معركة التَّضليل والإخفاء للجنديِّ الصُّهيونيِّ الأسير شاليط، التي تُوِجت بصفقة تبادلٍ مشرِفةٍ، هي الأروع في تاريخ الصِّراع مع دولة الكيان الصُّهيونيِّ البغيض حتَّى اللحظة لهي مدرسةٌ عسكريَّةٌ متكاملة وجب الالتحاق بها وتعلُّم علومها.

مدينة القائدين، وأحداث عام 2007م (الحسم العسكري)

حظِيت مدينة رفح بوحدة الصَّفِّ الفصائلي وقوَّة العلاقة التَّنظيميَّة، كان ذلك بفضل قائديها العسكريِّين أبو أيمن وأبو خليل، اللذين عمدا الى توطيدها عقوداً من الزَّمن، فعندما هامت الأجهزة الأمنيَّة وتجرأت على دماء الآمنين من أبناء شعبها، وتوالت أحداثها المؤسفة، اضطرَّتْ حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس بتاريخ 14 يونيو 2007م إلى إنهاء مسلسل هذه المهاترات عسكريًّا، بعد فشل المحاولات السِّلميَّة في ذلك، ورغم حالة التَّوتُّر التي سادت قطاع غزَّة في ذلك الوقت إلَّا أنَّ مدينة رفح شهدت نوعاً من الهدوء النِّسبي.

لقد بُنِيَ أساس التَّعامل معهم على التَّسامح رغم الأعمال المشينة التي قاموا بها، حيث طُلب منهم تسليم سلاحهم مقابل العفو عنهم، والفضل في ذلك يرجع للقائدين رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة.

فقد شكَّلا -العطَّار وأبو شمَّالة- صمَّام الأمان لمدينة رفح أوَّلاً، ثمَّ لمدن القطاع ثانياً، حتَّى امتدَّ داخل التَّنظيم ذاته، من خلال حقنهما للدِّماء، ووقوفهما إلى جانب المظلوم حتَّى يستردَّ مظلَمته، وبذلك كانت مدينة رفح المنطقة الأولى التي لم تُرق فيها دماءٌ من كلا الطَّرفين؛ فقد تكفَّلا بإنهاء جميع مشكلات أبناء فتح في مدينة رفح، حتَّى شهدت كلُّ بقاع المدينة لهما بالخير والصَّلاح.

علاقة القائدين رائد العطَّار ومحمَّد أبو شمَّالة بالفصائل الفلسطينيَّة المقاومة (2000-2008م)

تميَّز كلا القائدان بصفاتٍ شخصيَّةٍ أسهمت في تكامل أدوارهما؛ فلقد تميَّز القائد محمَّد أبو شمَّالة بشخصيَّته المرِحة والجذَّابة، في حين تميَّز القائد رائد العطَّار بشخصيَّته الهادئة، والحازمة.

وكانا يريان أنَّ أبناء الفصائل الفلسطينيَّة المقاومة الأخرى هم شبابٌ مقاومون، يعملون لأجل الوطن مع اختلاف الأفكار والوسائل المستخدمة لتحقيق تلك الأهداف؛ الأمر الذي أسهم في تحقيق التَّعاون المشترك بينهم.

ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينيَّة الثَّانية -انتفاضة الأقصى- عام 2000م، خرج معظم قادة حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس من سجون السُّلطة، ولم يكن لدى أبناء كتائب القسَّام في تلك المدة المأوى والسِّلاح اللازم للبدء باستئناف العمل العسكري الجهادي في سبيل الله.

مع هذه البداية وعلى صعيد مدينة رفح، تعاون القائدان رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة مع القائد أبو عطايا أبو سمهدانة الذي وفَّر لهما عدداً من قطع السِّلاح.

لقد سمحا لجميع الفصائل باتِّخاذ مراكز تدريبٍ عسكريَّة، وعملا على تبادل الخبرات؛ الأمر الذي أدَّى إلى تشكيل غرفةِ عمليَّاتٍ مشتركةٍ بين جميع الفصائل، خاصَّةً أثناء العدوان على قطاع غزَّة، وأصبح القائدان -أبو شمَّالة والعطَّار- ينظمان الحالة الجهادية التوافقية بين الفصائل، الأمر الذي أسهم في حلِّ الكثير من المشكلات، التي كانت تطرأ على السَّاحة أثناء العمل.

لقد كان القائدان -أبو شمَّالة والعطَّار- حريصَيْن أشدَّ الحرص على جميع أبناء الفصائل الفلسطينيَّة المقاومة، ومن الأدلَّة ما يرويه القائدان أبو مصعب، وأبو أسامة قائلَيْن: خلال معركة العصف المأكول عام 2014م، كان هناك هدفٌ واضحٌ يسعى أبو أيمن للحصول عليه، كاملاً لا جزئياً، وبعد إجراء التَّرتيبات اللازمة كافَّة.

وفي آخر لحظةٍ من العمل، أرسل أبو أيمن إلى المجاهدين قائلاً: كيف الأمور عندكم؟، فأجابوا قائلين: كلُّ الأمور تمام عدا مشكلة الطَّيران، إنْ تحرَّكنا فسيكشفنا، فردَّ عليهم قائلاً: اتركوا الهدف تماماً، فأنا معنيٌّ بكم جميعاً، ولا أريد أنْ يُصاب فردٌ واحدٌ منكم بأيِّ أذى"، وفعلاً تمَّ ترْك الهدف رغم أهمِّيَّته وكِبَر حجمه وحاجتهم الماسَّة له.

محاولات الاغتيال

تعرَّض القائدان العطَّار و أبو شمَّالة لعدة محاولات اغتيالٍ من جيش الاحتلال الصُّهيوني، وأخرى من عناصر الأجهزة الأمنيَّة التَّابعة للسُّلطة الفلسطينيَّة.

محاولات جيش الاحتلال الصُّهيوني اغتيالهما: (2000-2008 م)

المحاولة الأولى عام 2002م



القائد الشهيد / محمد أبو شمالة

في إطار حرص القائدين على نسج علاقةٍ قويَّةٍ مع جميع أجهزة العمل العسكريِّ المقاوم للاحتلال الصُّهيوني، وأثناء مغادرتهما اجتماعاً عُقد مع كتائب الشَّهيد أحمد أبو الرِّيش[1]، تعرَّضا لمحاولة اغتيالٍ من طائرات الاستطلاع الصهيونية في مخيَّم بشِّيت بمدينة رفح، ولأنَّ أبناء قطاع غزَّة كانوا حديثي عهدٍ بهذه الطَّائرات؛ فقد اعتقد الجميع أنَّ هناك انفجاراً ناتجاً عن محاولة توغُّلٍ لإحدى الدَّبَّابات الصُّهيونيَّة في المخيَّم، إلَّا أنَّ جيش الاحتلال

(1) أحمد أبو الريش (1967-1993م): ولد بتاريخ 6 يوليو 1967م، إبان حرب حزيران، لأسرة فلسطينيَّة هُجّرت من قرية عبدس، اعتقله جيش الاحتلال الإسرائيلي عام 1991م، سنة ونصفاً على خلفية انتمائه للقيادة الوطنية الموحدة. ولقد مرت مرحلة المطاردة على فترتين، الأولى كانت نتيجة النشاط الشعبي وبدأت عام 1988م، إلى يوم اعتقاله. وبعد الإفراج عنه التحق بصقور فتح المسلحة، وقد كشف أمره عام 1993م نتيجة اعتقال أحد زملائه، ثم أصبح بعدها مطارداً حتَّى يوم استشهاده، بتاريخ 28 نوفمبر 1993م.

الصُّهيوني أعلن في اليوم التَّالي للحادثة عن نجاة القائدَيْن رائد العطَّار ومحمَّد أبو شمَّالة من محاولة الاغتيال التي دُبِّرتْ لهما.

المحاولة الثّانية 12 يناير 2002م

ردّاً على نجاح أبناء كتائب الشهيد عز الدين القسَّام في عمليَّة تفجير موقع كرم أبو سالم العسكري الصُّهيوني بتاريخ 9 يناير 2002م، والتي أدَّت إلى مقتل خمسة جنودٍ صهاينة، وإصابة أربعةٍ آخرين، حاول جيش الاحتلال اغتيال القائدين العطَّار، وأبو شمَّالة، أثناء عودتهما من عملٍ لهما بمدينة خان يونس، وكان يُرافقهما القائد المجاهد أبو أنس.

ويروي القائد أبو أنس تفاصيل الحادثة قائلاً: كانت السَّاعة الرَّابعة وأربعين دقيقةً، كنَّا عائدين من مدينة خان يونس، ونسير بالقرب من منطقة أبو حدايد، ما قبل مستشفى الأوروبِّي، فتلقَّى أبو خليل اتِّصالاً على جوَّاله من رقمٍ مجهول لامرأة، قالت إنَّها من مدينة الخليل، وعلى الفور أنهى أبو خليل الاتِّصال معها؛ لأنَّ شكّاً راوده من الاتصال، وبالفعل كان ما توقَّعناه، ففور إنهائه للمكالمة تلقَّينا اتِّصالاً آخر من أحد الإخوة يسكن في منطقة بني سهيلا شرق مدينة خان يونس اعتاد أهلُه على الاتِّصال به وإبلاغه بالطَّيران المروحيِّ الصُّهيونيِّ فوْر شعورهم به، إذ إنَّ الطَّيران في ذلك الوقت كان لا يُحلِّق إلَّا لأمرٍ مهمٍّ جدًّا، فانتبهنا للطَّيران وكان بالقرب من مستشفى الأوروبي، لكنَّه لم يكن قد أخذ وضعيَّةً تسمح له بتحديد الهدف، فنزلنا من السَّيَّارة بسرعة، وتركناها بالقرب من مفترق الأوروبِّي، وكانت المنطقة خاليةً لا يوجد بها سكَّان، فاتَّجهنا بسرعةٍ لأقرب بيت، وكان تُجاه الغرب، لكنَّ الطَّريق المؤدِّي للبيت كانت أرضاً بُوراً، وكان من الصَّعب الرَّكض فيها.

وفي تلك الأثناء كان الطَّيران المروحيِّ الصُّهيونيِّ ما يزال يحلق في الأجواء ويأخذ وضعيَّته للقصف، فتمكنا من الوصول خلف البيت وكان هناك الكثير من أشجار الزيتون، فأسرع القائدان رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة بإغلاق جوَّالاتهما (الميرس)، ودفنهما في التُّراب، وطلبا منِّي أنْ أُغلق جوَّالي الخاص الذي كان ما يزال بيدي.

كان هناك مزارعون في المكان، فاقتربوا منَّا، وسألونا ما الأمر؟، فأخبرناهم أنَّ الطَّيران يُلاحقنا، وفي ذلك الوقت بدأ الطَّيران بمحاصرتنا من الجنوب والشَّمال، وبدأ يلتفُّ حولنا، فأخذنا نتنقَّل بين الأشجار.

كنت ومعي اثنان من المزارعين بين الأشجار، وبدأ الطَّيران الصهيوني يُطلق الصَّواريخ تُجاهنا، وكان لحظتها طفلٌ من آل النَّجَّار يستقلُّ درَّاجةً هوائيَّةً قادماً للمكان، فأصيب بالصَّاروخ واستُشهد على الفوْر، فواصلتُ الجري أنا والشَّابَّان تُجاه غرفةٍ كانت خلف البيت، إلَّا أنَّ الطَّائرة استهدفتنا بصاروخين؛ ما أدَّى لاستشهاد أحد الشَّابَّيْن وهو من آل كوارع، وأصيب الآخر وهو من آل شبير، أمَّا أنا فألقيتُ نفسي على الأرض وبدأت بالزَّحف تُجاه الغرفة، وبحمد الله تمكَّنتُ من الوصول لها، لكنَّ الطَّيران كان متمركزاً فوقها ليستهدفها، فأخذتُ أردِّد الشَّهادة؛ مُوقِناً أنَّهم سيقصفونني داخل الغُرْفة.

في ذلك الوقت كان يوجد في البيت نساءٌ وأطفال، فاستدركتُ الموقف بسرعةٍ وطلبتُ منهم الخروج؛ كي يشاهدهم العدوُّ من خلال طائراته، ويعلم بأنَّ في المكان نساءً وأطفالاً، وفعلاً أسرعت النِّساء بالخروج؛ للاطمئنان على أخيهن الشَّاب المصاب -من عائلة شبير- وبحمد الله شاهدهم العدوُّ بطائراته، وبدأ بالانسحاب مغادراً المكان.

في تلك الأثناء كان القائدان رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة مختفين تحت إحدى أشجار الزَّيتون، وقد أمسكا بحفنةٍ من التُّراب وعفراها في الهواء قائلين: "شاهت الوجوه، وعَميت الأبصار".

ويُكمل القائد أبو أنس قائلاً: عندما غادرت الطَّائرة المكان بدأ النَّاس بالتَّجمُّع، فخرجتُ مسرعاً والتقيتُ بالقائدين، وحاولنا مغادرة المكان بسرعةٍ من بين المزارع،

والتقينا بالأخ الشَّهيد محمد برهوم[1]، وطلبنا منه أن يُحضر أجهزة الميرس التي دفنّاها، انسحبنا من المنطقة.



القائد الشهيد / محمد برهوم

ومن المواقف المؤثِّرة التي حدثت أثناء محاولة جيش الاحتلال اغتيال القائدين بين أشجار الزَّيتون، قال القائد رائد لرفيق دربه القائد محمَّد: "سأختفي تحت شجرة، وأنت اختفِ تحت شجرةٍ أخرى، فإنْ استُشهد أحدُنا بقي الآخر ليُكمل الطَّريق"، إلَّا أنَّ القائد محمَّد أبو شمَّالة أسرع والتصق بأبي أيمن واختبأ معه تحت الشَّجرة ذاتها، فقال له أبو أيمن: "ماذا تفعل؟!!" فأجابه أبو خليل قائلاً: "إمَّا أنْ نعيش معاً، أو نلقى الله شهيديْن معاً".

يُحسب للأبطال الثَّلاثة حرصهم على النَّجاة، والحفاظ على أرواحهم، فالشَّهادة في سبيل الله وإن كانت أسمى أمانيهم إلَّا أنَّ الحياة في سبيل الله هي الأخرى أسمى أمانيهم؛ لخدمة دينهم ووطنهم وقضيَّتهم العادلة، وإنَّ الحياة في سبيل الله أشدُّ صعوبةً من الموت في سبيل الله.

---

(1) **محمد حمدان برهوم (1969-2014م)**: يُكنَّ (أبو أسامة)، وُلد بتاريخ 11 يناير 1969م في مدينة رفح، نشأ في أسرةٍ ملتزمةٍ مجاهدة، تعود أصولها لمدينة بئر السَّبع المحتلَّة، أُطلق عليه لقب "الشَّايب" لرجاحة عقله ورقيِّ سلوكه منذ صغره، تعلَّق قلبه بمسجد النور الذي التزم بحلق الذِّكر فيه، منتقلاً بعدها للالتزام في مسجد علي بن أبي طالب، الذي انضمَّ فيه لصفوف حركة حماس عام 1988م، تدرَّج في مراحل الدراسة حتى اجتاز المرحلة الإعدادية التي انطلق بعدها للعمل مزارعاً مع أبيه، شارك في أحداث الانتفاضة عام 1987م عبر توزيع البيانات الحركية والكتابة على الجدران ومواجهة قوات الاحتلال التي اعتقلته عام 1989م وحكمت عليه بالسجن مدة 70 يوماً في سجن أنصار (2)، ومرةً أخرى في ليلة زواجه عام 1990م، ليمضي سنةً كاملة، وهناك انخرط في صفوف كتائب القسام وقاد بعد خروجه إحدى المجموعات العسكرية، تلقَّى عام 1992م طعنةً في ظهره من أحد عناصر حركة فتح عانى منها حتى استشهاده، ونتيجةً لمطاردته سافر إلى خارج القطاع، عائداً بعد 11 عاماً، لينضم مجدداً لصفوف القسام حيث الإمداد العسكري برفقة القائد محمد أبو شمالة، ارتقى إلى الله شهيداً خلال معركة العصف المأكول برفقة القائدين "محمد أبو شمالة، ورائد العطار" وعددٍ من المواطنين، إثر قصف طائرات الاحتلال للمنزل الذي كان يأويهم بمنطقة تل السلطان.

المحاولة الثّالثة: "محاولة اغتيال القائد رائد العطّار يوم تسليم العميل (أحمد)"


الشهيد / ياسر رزق

أقدم جيش الاحتلال الصّهيوني على اغتيال القائد ياسر رزق[1] بتاريخ 24 يونيو 2002م، مستغلّاً روتين حركته اليوميّة، حيث كان يذهب يوميّاً إلى المستشفى بعد رفضه المبيت بها؛ للغيار على جرحه الذي أصيب به إثر عمله في التّصنيع العسكري، فرصدوه في الطّريق، واغتالوه في شارع المضخّة.

أدّت عمليَّة اغتيال القائد ياسر رزق إلى استشهاده واستشهاد اثنين من إخوانه، هما: بسّام، ويوسف رزق، بالإضافة إلى استشهاد أميرقفّة، واثنين من المواطنين كانا في مكان القصف؛ الأمر الذي أثار اهتمام القائدين رائد العطّار، ومحمَّد أبو شمَّالة، ودفعهما للبحث عن العميل الذي كان السّبب في حادثة الاغتيال هذه.

بدأ القائدان بجمع الخيوط والمعلومات حول الحادثة، بدءاً من معرفة الأماكن التي كان يتردّد عليها القائد ياسر رزق، وحصر أسماء الشّخصيّات التي كانت تزوره في بيته، والشّخصيّات التي كانت تتردّد عليه في مكان عمله في السّوق؛ الأمر الذي أوصلهما إلى معلوماتٍ حول شخصٍ يدعى "أحمد"، وبعد ربط المعلومات ببعضها، تبيّن أنّ الأخير هو مَنْ راقب القائد ياسر رزق يوم اغتياله، ولحظة خروجه من منزله وتوجّهه للشّارع العام، فقد شهد على ذلك جماعةٌ من النّاس ممّن شاهدوه يوم

(1) ياسر سعيد محمد رزق (1973-2002م): من مخيم الشابورة بمدينة رفح، التحق بالقسام عام 1992م، وخطط للعديد من العمليات العسكرية، أبرزها عملية اقتحام موقع كرم أبو سالم عام 2002م، ويعدّ أحد قادة القسام في مدينة رفح، استشهد بتاريخ 24 يونيو 2002م، بعد استهداف سيارته برفقة أخويه بسام ويوسف، ومرافقه أميرقفة، بالقرب من مستشفى أبو يوسف النجار.

الحادثـة ولحظـة الاغتيـال؛ ممّـا أدّى إلى قـرار الإخـوة، بـأن يُسـتدعى للتّحقيـق معـه.

وبالفعـل اسـتدعوه، وحققـوا معـه، وسـجلوا فيديـو باعترافاتـه، ثم أرسـلوه لحركة فتـح الـتي كان ينتسـب إليهـا، ويُعـدّ مـن أبنائهـا، وتـمّ التّوافـق داخـل حركـة المقاومـة الإسـلاميّة حمـاس أن يسـلّم للسّـلطة، إلّا أنّ طائـرات جيـش الاحتـلال لـم تغادر سـماء المنطقـة في ذلـك اليـوم، وكلّمـا حـاول القائـد رائـد الخـروج مـن رفـح؛ للانتقـال إلى مدينـة خـان يونـس؛ لتسـليم العميـل، كان تحليـق الطّـيران يـزداد، الأمـر الـذي أكّـد للجميـع أنّ هنـاك محاولـةً لاغتيـال القائـد رائـد.

كان التّوافـق بـين كتائـب القسّـام وكتائـب أبـو الرّيـش سـيما المجاهـد عمـرو أبوسـتّة[1] -رحمـه اللـه-، علـى إعـدام العميـل أثنـاء محاكمتـه.

ومـا أن حانـت لحظـة محاكمتـه، الاثنين الموافـق 15 يوليو 2002م حـتى دخل أحد مجاهـدي كتائـب الشّـهيد أحمـد أبو الرّيش إلى مـكان وجوده أثناء الاسـتراحة بعد انتهاء الجلسـة، فبـادر بسـؤاله: "هـل أنـت فـلان؟"، فأجابـه: نعـم، فأطلـق المجاهـد خمـس رصاصـاتٍ أصابتـه في رأسـه وأردتـه قتيلاً.

تزامـن اليـوم ذاتـه، الـذي تمّـت فيـه عمليَّـة تصفيـة العميـل داخـل قاعـة محكمـة أمـن الدّولـة محاولـةٌ جديـدةٌ لاغتيـال القائديـن رائـد العطّـار، وأبـو إبراهيـم.

المحاولة الرابعة:

في 15 يوليـو 2002م، اتّفـق القـادة أبـو إبراهيـم، ورائـد العطّـار علـى زيـارة متابعـة لبعـض أعمـال التصنيـع العسـكري في خانيونـس؛ والتّأكـد من سـيره وفق ما هو مطلوب.

(1) **عمـرو أبـو سـتة:** ولـد في مخيـم خـان يونـس عـام 1972م، أحـد القـادة العسـكريين لحركـة فتـح، والـذي كان قـد وافـق علـى مبـادرة لإنهـاء مطـاردة عناصر فتح وتسـليم أسـلحتهم بعـد توقيع اتفاقية أوسـلو في أيلـول (سـبتمبر) 1993م، مقابل تأمـين الحمايـة لهـم وعـدم تعـرض قـوّات الاحتلال لهـم. لكن قـوّات الاحتلال داهمـت منزل أبـو الريش وقتلتـه. وأعتقلت أجهـزة السُّـلطة عمـرو عـام 1991م، فاقتحـم عـدد مـن زملائـه السـجن الـذي كان فيـه وأفرجـوا عنـه، ليصبـح مطـارداً لـدى السُّـلطة، قـرر الثـأر لرفيقـه بتأسـيس كتائـب تحمـل اسـمه (كتائـب الشـهيد أحمـد أبـو الريـش) تضـم في عضويتهـا كل من اقتنـع بـأن اتفـاق أوسـلو لـن يحقق الأمن والأمـان لهـم، وأن عليهم مواصلـة عملياتهم ضد قـوَّات الاحتلال حتَّى لـو كان ذلك يتعـارض مـع منهـج حركـة فتـح.

يصف القائد أبو إبراهيم ذلك اليوم قائلاً: كنّا ستّة أشخاص، دؤوبين في العمل مع تركيز كامل في تفاصيله، ومع اشتداد ارتفاع صوت الغاز المنبعث من مكان العمل ذاته، الذي حجب أسماعنا عن كل شيء، فلم نصغِ لصوت أذان، كما لم نسمع صوت طائرات استطلاع، أو طائرات F16، في هذه الأثناء نزل أبو أيمن للطّابق الثّاني؛ ليتوضأ، بينما كان أحد الشّباب يجلس على الدّرج يريد أن يُجهّز نفسه للوضوء، أما باقي المجاهدين فلا يزالون بجواري حيث مكان العمل، فجأةً ضجت أسماعنا بوقع غارةٍ من طائرةٍ حربيّةٍ صهيونيّة أدّت لانفجارٍ عنيفٍ جدّاً، لدرجة أن الذي كان بجواري أُحدّثه، في ثوانٍ معدودة وجدته بعيداً عنّي قرابة ستة أمتار، وأما الشّابّان الأخران شعرت أنّ أحدهما مع قوّة الانفجار سيطير في الهواء فأمسكته بقوّة، وبسرعةٍ كبيرة طلبتُ من الجميع النّزول إلى الملجأ.

فكان الانفجار عبارة عن صّاروخ سقط فارتطم بالسّور الخارجيّ للمنزل، وحطّم الواجهة الشّمالية والغربيّة له، وأحدث حفرةً كبيرةً قرب درج المنزل المؤدّي للملجأ، وما هي إلّا لحظات حتَّى كانت الغارة الثّانية، والتي استهدفت المنزل مباشرةً، في هذه الأثناء كان جميعنا خارج المنزل، باستثناء أبي أيمن، فما كان منّا الى أن ردّدنا الشّهادة جماعياً "نشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمَّدا رسول الله"، ولم نعد نرى شيئاً من حولنا لشدّة الغبار، وبدأ الشباب يحاولون الخروج من المكان كلٌّ بطريقته.

مع قوّة الغارة الأولى أُغلق باب الشّقّة على أبي أيمن، ولم يتمكّن من فتحه، فحاول الخروج من شبّاكٍ صغير، إلّا أنّه لم يستطع، وجُرحت يده؛ ما أدّى لقطبها بست غرزٍ بعد نجاته، وبسبب قوّة الضّربة الثّانية دُمّر هذا الباب وكذلك الشّبّاك، فخرج أبو أيمن سالماً، ولم يصبه أذى، سوى الجرح الذي بيده، ونجا جميع المجاهدين بفضل الله ورعايته.

المحاولة الخامسة:

كانت آليّات جيش الاحتلال الصّهيوني تقوم بأعمالٍ استطلاعيّةٍ في المنطقة الحدوديّة لمخيّم يبنا، وتقيس أحياناً مساحات الأراضي، ما جعل القائد محمَّد أبو

شـمَّالة يشـعر بالخطـر الـذي دفعـه لـدوام الحـذر، واعتقـد جيـش الاحتـلال الصّهيـوني مسـاء السّـبت الموافـق 19 أبريـل 2003م أنّ الجميـع منشـغلٌ بمتابعـة مبـاراةٍ بـين فريقـي الأهلـي والزّمالـك المصريّـين، وظـنّ أنّ القائـد محمَّد أبو شـمَّالة في بيتـه القريـب مـن الشّـريط الحـدودي مـع الأراضي المصريّـة وبرفقتـه القائـد رائـد العطّـار، فالفرصـة سـانحةٌ للانقضـاض عليهمـا بأقـلّ الخسـائر، فقـرّروا اجتيـاح المخيّـم؛ لاعتقـال القائديـن أو قتلهمـا.

تقدّمـت آليّـات جيـش الاحتـلال الصّهيـوني إلى مخيّـم يبنـا، تُدمّـر كلّ شيءٍ في طريقهـا؛ لتصـل إلى هدفهـا بأقصـى سـرعة، حيث حاصـرت المنطقة المسـتهدفة، وبدأت مكبّرات الصّـوت تنـادي على القائـد محمَّد أبو شـمَّالة ليخرج مسـتسـلماً، مسـلّماً نفسـه إليهـم، فخرجـت والدتـه بكلّ قـوّةٍ وشـموخ؛ لتخبرهم أنّ ابنهـا غير موجـود في المنزل، ومن شـدّة غيظهـم فتشـوا المـنزل؛ الأمـر الـذي أتـاح الفرصـة للمجاهـد محمَّـد عبـد الوهّـاب -استشـهد عـام 2003م- ليقنـص جنديّـين، وألقـى مجاهدو القسَّـام القنابـل المتفجّرة عليهـم؛ مـا أدّى لتفجـير المنزل.

في تلـك الأثنـاء، كان القائـدان أبـو أيمـن، وأبـو خليـل ومجموعـةٌ مـن المجاهديـن ينتظـرون انسـحاب الآليّـات؛ ليشـتبكوا معهـا، وقـد أطلـق القائـد أبـو خليـل قذيفـة آر بي جي علـى الدّبّابـة المتمركـزة بالقـرب مـن بيـت عائلـة عـوض الله في شـارع آل الغنّـام، في حـين وجّـه القائـد رائـد العطّـار المجموعـات مـن خـلال جهـاز لا سـلكي المخشـير-الّـذي كان حديـث الاسـتعمال بـين شـباب المقاومـة-، ففجـروا الدّبّابـات بالعبـوّات الجانبيـة، وبقذائـف RPG؛ الأمـر الـذي أدّى إلى انسـحاب دبّابـات جيـش الاحتـلال مـن المـكان، وبذلـك نجـا القائـدان العطّـار، و أبـو شـمَّالة مـن محاولـة الاعتقـال أو الاغتيـال تلـك.

المحاولة السادسة: (اختطاف أو اغتيال)

حاولـت قـوّات الاحتـلال الصهيـوني خطـف القائـد العطَّـار أحـد العقـول المدبّـرة لعمليّـة أسـر شـاليط-، مـن خلال خطـوة تهـدف لتبديد نجاح إبرام صفقة التبـادل التي أرغـم العـدو صاغـراً علـى قبـول شـروط المقاومـة فيهـا.

فكانت أوّل محاولة خطف في تشرين الثاني (نوفمبر) 2008م، أي ما قبل العدوان بشهر واحد، وذلك أثناء تفقّده لإحدى دورات الاستشهاديين، حيث حلّق الطّيران المروحي بكثافةٍ فوق موقع التّدريب، فاتّصل القائد أبو أنس بالقائد أبي أيمن وطلب منه أخذ الحيطة والحذر، وقد كان معروفاً عن أبي أيمن حرصه وحذره، وأطلق عليه الاحتلال لقب (ثعلب حماس).

خرج القائد أبو أيمن مع مجموعةٍ من المجاهدين من الموقع، وطلب منهم أن يكونوا خلفه في الجيب؛ بعد ريبة تسللت لداخله، فانطلق المجاهدون إلى أن وصلوا لمكانٍ معروفٍ بالثّلاجة بالقرب من مدخل الحشّاشين -حيث يقيم آل الحشّاش-، وإذ بسيّارة من نوع سوبارو تقف على قارعة الطريق وكأن عطباً أصابها ويحاول مستقلوها صيانتها، وعلى مقربة من السيارة يقف باصٌ له بابان، فما كان منه الا أنه زاد سرعة سيارته، موعزاً للمجاهدين بإشارةً الحذر وترك المكان على وجه السرعة، لكنّهم رفضوا ورافقوه المسير حتَّى وصل إلى مفترق زعرب، ثمّ عادوا أدراجهم، بحثاً عن السيارة والباص غير أنهم كانوا قد غادروا وفقدوا آثارهم، ليعلن الاحتلال معترفاً بمحاولته اختطاف أبي أيمن.

كما كشف القناة العبريّة الثّانية أنّ الجيش الصّهيوني حاول أربع مرّات اغتيال العطّار خلال العدوان على القطاع عام 2008م، وأشارت القناة إلى أنّ العطّار البالغ من العمر خمسة وأربعين عاماً فيما وصفته "قمّة قيادة الإرهاب" أبرز المطلوبين للكيان، مضيفةً إلى أنّه مطلوبٌ للاغتيال منذ عشرين عاماً؛ بسبب ضلوعه في هجماتٍ أودت بحياة جنودٍ صهاينة، خلال الانتفاضة الأولى. وقالت القناة: في عدّة مرّات أطلقت طائرات استطلاعٍ بدون طيّار صواريخ صوب أماكن كان يوجد العطّار فيها، لكنّه لم يُصَب بأذى.

وقال ضابطٌ في القيادة الجنوبيّة في الجيش الصّهيوني للقناة: إنّ العطّار شخصٌ في غاية المكر، ليس من السّهل تتبّعه، وهو شخصٌ سرّيٌّ جدًّا، وقائدٌ (إرهابي) خطير، ولا يُشارك أحداً في خططه، والقلّة فقط من جنوده يحظون برؤيته شخصيّاً، ويغيّر

دائماً أماكن وجوده، ويقيم تحت الأرض، وهو يُدرك أنّنا نتحيّن الفرص لاقتناصه (حسب زعم هذا الضابط). ونسبت القناة -استناداً إلى شهاداتٍ من كبار ضبّاط الجيش الصّهيوني وجهاز المخابرات- للعطّار المسؤوليّة عن العشرات من الهجمات التي استهدفت (الكيان)، خاصّةً الهجمات التي استهدفت المواقع العسكريَّة الصُّهيونيَّة بمحاذاة قطاع غزَّة، والمستوطنات داخل القطاع قبل إخلائها، وإطلاق صواريخ غراد صوب عسقلان وبئر السّبع وايلات.

ووصف ضابطٌ كبيرٌ في جهاز الاستخبارات العسكريَّة بالجيش الصّهيوني للقناة الثّانية العطّار بالقول: إنّه المسؤول عن عمليّات التّهريب من مصر، وإنّه تمكّن من الحصول على سلاحٍ متطوّرٍ من مصر، وما من مصيبةٍ في قطاع غزَّة إلّا وله يدٌ فيها، وقال ضابطٌ آخر في الجيش: "العطّار كان من الأشخاص القلائل في قيادة جهاز حماس العسكري، الّذين علموا بمكان شاليط خلال مدّة أسره".

وقالت القناة: إنّ السّبب الرّئيس الذي يجعل العطّار الهدف رقم واحد للجيش (الإسرائيلي) وسائر الأجهزة الاستخباريّة الصُّهيونيَّة، هو أنّه جعل هدف حياته ومشروعه الشّخصي في الحياة خطف الجنود الصّهاينة؛ من أجل تحرير الأسرى الفلسطينيّين، لا سيّما القدامى منهم، الّذين شاركوه في تنفيذ العمليّات المسلّحة الأولى خلال الانتفاضة الأولى.

وقالت صحيفة معاريف الصُّهيونيَّة: "كان للعطّار تسعة أرواح!"، وكان ينام دائماً في أماكن محصّنةٍ داخل الأنفاق وأماكن أخرى؛ لعلمه جيّداً أنّه هدفٌ للاغتيال، فمنذ عام 2006م، والشّاباك كان يسعى لوضعه تحت عينه ويُتابعه دائماً، وينتظر اغتياله، وأشارت إلى أنّ وحدة الهاكرز في الشّاباك وضبّاط تشغيل العملاء كانوا يعملون ليل نهار؛ لمتابعته وجمع معلوماتٍ عنه؛ وحسب الصّحيفة فإنّ طائرات الاستطلاع نفّذت جولاتٍ غير محدودة؛ للحصول على معلوماتٍ عنه في رفح وجباليا، لكنّها كانت تعود بخيبة الأمل في كلّ مرّة، وقصفت بيته عام 2012م خلال الحرب، وكان دائماً ينجو من الموت.

وحاولت وحدة المستعربين -وفق الصّحيفة- اختطافه عدّة مرّات، قبل الإفراج عن الجندي جلعاد شاليط، أثناء دخولها قطاع غزَّة، إلّا أنّها فشلت؛ لأنّه كان يُغيّر طرق تنقّله دائماً. وشدّدت الصّحيفة العبريّة على أنّ العطّار كان حذراً جدًّا، ولا يتحرّك إلّا بعد أخذ الحيطة والحذر، وذلك خوفاً من تسليم العملاء معلوماتٍ تدلّ على مكان وجوده.

وردّ الله الصّهاينة الغاصبين مدحورين، يجرّون أذيال الخزي والخيبة والخسارة.

الفصل الرَّابع

الخاتمة الجهادية

جهادٌ يسمو وأرواحٌ تعلو

(2014-2008)

المبحث الأول

مراكمة القوة وتألق القادة

(2008-2012)

تمهيد

مع مطلع عام 2008م، كان الحصار الصُّهيوني المفروض على قطاع غزَّة على أشُدِّه، وتزداد حلقاته يوماً بعد يوم، وأهل قطاع غزَّة المحاصرين يُكابدون مرارة العيش وضَنكِ الحياة، ولذَّة التَّحدِّي؛ فشعبٌ أعزل تتكالب عليه قوى الظُّلم قاطبة؛ تحاول ثنيه عن دربه وكسر إرادته، ومع هذا كلِّه كانت روح التَّفاؤل والطُّموح المأمول يسود فضاءه الرَّحب، يُعانقون الشَّمس في كبد السَّماء شموخاً واعتزازاً بثبات المجاهد ونشوة المنتصر، عاشوا حياة السُّؤدد في كنف الجهاد، الذي بدَّد وَهْمَ العدوِّ الصُّهيوني، وكبَّد أجهزته الأمنيَّة الفشل يعقبه الفشل، بعد بذلها جهدها المُضْني في الحصول على أيِّ معلومةٍ تُفيد في الوصول إلى مكان الجنديِّ الصُّهيوني "جلعاد شاليط"، الذي جمَّدت كتائب القسَّام رقمه العسكري من سجلَّات الجيش الصُّهيونيِّ سنواتٍ عديدة.

في العام ذاته، وأمام ازدياد المعاناة الغزِّيَّة، ارتفعت وتيرة المواجهة القسَّاميَّة مع العدوِّ الصُّهيوني، فكانت عمليَّة نذير الانفجار.

عمليَّة نذير الانفجار:

جاءت عمليَّة نذير الانفجار نتيجة الخناق الشديد الذي فرضه الاحتلال الصهيوني، والذي طال جميع مناحي الحياة في قطاع غزَّة الإنسانية والاقتصادية، وأمام هذا المشهد المؤلم لم يكن لكتائب القسام أن تقف مكتوفة الأيدي، فصدرت التعليمات من القيادة العسكرية بالتحرك ميدانياً في مواجهة الممارسات الصهيونية، ومن هنا كانت عملية نذير الانفجار، وقد استوحى القائد أبو أيمن اسماً للعمليَّة يُعبِّر عن تلك الظُّروف التي سادت القطاع، والتي كانت تُنْذِر بانفجارٍ قادم.



عملية نذير الانفجار

انتهى قادة القسَّام ومهندسو العمليَّة من جولات التَّخطيط ورسْم الأهداف، التي كان منها محاولة أسر جنودٍ صهاينة؛ والإثخان قتلاً في آخرين.

حانت ساعة التَّنفيذ، وبدأت فصول العملية، حيث انطلق مجاهدو كتائب القسَّام نحو موقع كرم أبو سالم العسكريِّ الصُّهيوني؛ بهدف اقتحامه، والذي يُعدُّ من أكثر المواقع تحصيناً، وقد تحرَّك المجاهدون بعددٍ من المركبات المفخَّخة، وهي عبارة عن دبَّابةٍ من نوع برادوم وجيب اقتحامٍ وسيَّارتين عسكريَّتين، يقودها عددٌ من استشهاديِّي كتائب القسَّام، وفي تمام السَّاعة التَّاسعة والنِّصف من صباح يوم 19 إبريل 2008م، تقدَّمت العربات المفخَّخة تُجاه الموقع، كلٌّ حسب الخطَّة المُتَّبعة، حيث كانت محمَّلةً بأطنانٍ من المتفجِّرات، غير أنَّ شدَّة الضَّباب الكثيف حال دون رؤية الطَّريق، ما نتج عنه عدم إبصار الأهداف، فاستمرَّت العربات بالتَّقدُّم وكلَّما تحرَّكوا زاد الضَّباب.

وأمام إصرار المجاهدين على تحقيق هدف العملية، اقتحمت السَّيَّارات المفخَّخة الموقع تحت غطاءٍ كثيفٍ من عشرات قذائف الهاون من عيار (120) ملم، كما تمَّ إشغال حاميات الموقع العسكري بغطاءٍ ناريٍّ كثيفٍ من الرَّشَّاشات الثَّقيلة، أطلقتها وحدة الإسناد القسَّاميَّة المشاركة في عمليَّة التَّنفيذ، ومع وصول السَّيَّارات إلى الموقع العسكري فجرّ المجاهدون سيَّارتين مفخَّختيْن داخل الموقع، وتَرْكوا الدَّبَّابة بجوار بوَّابة الموقع، فما أنْ أبصرت قوَّات الاحتلال الصُّهيونيِّ الدَّبَّابة حتَّى بادرت بإخلاء الموقع تمهيداً لقصفها، وبعد توجيه عدَّة صواريخ من طائراتها المروحيَّة الصُّهيونيَّة تُجاهها حدث انفجارٌ ضخمٌ داخل الموقع، حيث كانت تحمل 3 أطنانٍ من متفجِّرات T.N.T.

وعقب انتهاء العمليَّة أعلن العدوُّ الصُّهيوني عن وقوع (13) إصابةٍ في صفوف جنوده، أحدهم في حالةٍ حرجة، في حين ارتقى ثلاثةٌ من مجاهدي كتائب القسَّام، وهم: الاستشهاديون: غسَّان مدحت ارحيم، وأحمد محمَّد أبو سليمان، ومحمود أحمد أبو سمرة.

هذا وقد وصفت مصادر عسكريَّةٍ صهيونيَّةٍ العمليَّة بأنَّها الأخطر منذ الانسحاب من قطاع غزَّة عام 2005م، وحمَّل (ايهود باراك) -وزير الحرب الصُّهيوني في ذلك الوقت-، حركة حماس المسؤوليَّة عن العمليَّة، وقال: "إنَّ حماس ستواجه عواقب ذلك في الوقت المناسب"، وقد تجوَّل في منطقة المعبر برفقة رئيس الأركان (جابي أشكنازي)، حيث استمعا لتقارير عمليَّة الاقتحام.

وقال الميْجر جنرال (يوآف غالانت) -قائد المنطقة الجنوبيَّة في الجيش الصُّهيوني في حينه- في تصريحاتٍ نقلتها الإذاعة الصُّهيونيَّة: "إنَّ قوَّات الجيش الصُّهيوني أحبطت هجوماً (تخريبيًّا) إستراتيجيًّا لم يسبق له مثيلٌ منذ تنفيذ خطَّة الانفصال عام 2005م".

وتحدَّثت مصادر صهيونيَّةٍ عن ثلاث مركباتٍ مفخَّخةٍ أدخلت إلى المعبر، حيث انفجرت الأولى بالقرب من السِّياج الحدودي؛ ما أدَّى إلى فتْح ثغرة، وتمكَّنت المركبات الأخرى بعد ذلك من العبور، وكانت إحدى المركبات عبارةً عن مدرَّعة، تتبع لأجهزة الأمن الفلسطينيَّة سابقاً، خرج منها مقاتلون فلسطينيُّون، وبدأوا بإطلاق النِّيران.

وذكر الاحتلال الصُّهيوني أنَّ العمليَّة تطلَّبت أشهراً من التَّخطيط، وشارك فيها العشرات من العناصر، الذين وزعوا المهمَّات فيما بينهم، بما في ذلك إعداد المركبة المفخَّخة، وجمع المعلومات الاستخباريَّة، وإطلاق قذائف الهاون؛ للفت أنظار الجنود الصَّهاينة عن العمليَّة المركزيَّة، ونُقل عن مصادر عسكريَّة صهيونيَّة أيضاً قولها: "إنَّ هدف العمليَّة في معبر كرم أبو سالم هو تنفيذ عمليَّات قتل، وأسر جنودٍ (إسرائيليِّين)".

وأكَّد أبو عبيدة -النَّاطق باسم كتائب القسَّام- في تصريح صحفي مساء السبت- يوم التنفيذ- 19 إبريل 2008م أنَّ هذه العمليَّة هي نذير بدء كتائب القسَّام بسلسلةٍ من العمليَّات؛ لفكِّ الحصار عن قطاع غزَّة بطريقتها الخاصَّة، وحذَّر من أنَّ القادم سيكون أشد، وأشار إلى أنَّ العمل الذي تقوم به كتائب القسَّام هو ردٌّ طبيعيٌّ على الاعتداءات الصُّهيونيَّة.

وأكد أنَّ كتائب القسَّام لا تستهدف المعابر التي تأتي بالمعونات إلى قطاع غزَّة على حدِّ زعْم العدو، فمعبر كرم أبو سالم يُستخدم لابتزاز الشَّعب الفلسطينيِّ المحاصر في قطاع غزَّة، فلا يدخل منه سوى الدَّبَّابات والمُعدَّات العسكريَّة الصُّهيونيَّة.

جدير بالذكر أنه برز دور القائد "أبو هاني نافذ منصور[1] في تنفيذ العمليَّة، بعد أن سجَّل نجاحاتٍ متعاقبةً في تنفيذ مهمَّات التَّجهيز والإعداد حتَّى سطع نجمُه، ليحوز شرف التَّجهيز للعمليَّة كونه قائد جهاز التَّجهيز والإمداد، وقد اغتيل بعد العمليَّة بأحد عشر يوماً في 1 مايو 2008م.



القائدان / أبو شمالة والعطار مع القائد نافذ منصور

تعقيب العطَّار على نذير الانفجار:

تحدث القائد أبو أيمن في شهادته عن عملية نذير الانفجار: إنها إحدى العمليَّات النَّوعيَّة، وتعدّ سابقةً في تاريخ العمليَّات الجهاديَّة، حيث تمَّ فيها الهجوم على مواقع العدوِّ بسيَّاراتٍ مفخَّخةٍ وآليَّةٍ مدرَّعة، وكان من نتائج تلك العمليَّة إيقاف جيش الاحتلال الصهيوني لعمليَّات التَّوغُّل اليوميَّة في المناطق المحاذية للحدود، وبالتَّالي إشغاله في تحصين مواقعه على بُعْد كيلو ونصف من السِّلك الزَّائل؛ أي تحوُّل العدوِّ إلى حالة دفاع، بدلاً من الهجوم.

وذكر العطَّار أيضاً أنَّ العمل الجهادي انتقل نقلةً نوعيَّةً في قطاع غزَّة، من خلال أخْذ زمام مبادرة الهجوم على المواقع العسكريَّة، ومن صور نجاح هذه العمليَّة استخدام ناقلة جند، وعدَّة سيَّاراتٍ مفخَّخة، وجيب شبيهٍ بالجيبّات التي يستخدمها جيش العدو، وقد تمكَّنت من الوصول إلى المواقع العسكريَّة للعدو، التي تبعد بضعة كيلو متراتٍ عن الأماكن السَّكنيَّة، وإنَّ الشَّهيد القسَّاميَّ المجاهد خالد

(1) **أبو هاني نافذ منصور**، ولد في مخيم الشابورة في مدينة رفح، أحد مؤسسي جمعية الصلاح في رفح عام 1993م، ومسؤول التسليح في لواء رفح، واستشهد، بتاريخ 1/5/2008م.

محمَّد أبو عسكر كان الاستشهاديّ الرَّابع في العمليَّة، وقد ارتقى شهيداً خلال معركة الفرقان، وكان قد دخل إلى الموقع العسكري بجيب مفخَّخ، إلَّا أنَّه ولخللٍ فنّيٍّ انسحب وفقاً لأوامر القيادة، وعاد إلى القواعد بسلام، دون أن يكتشف العدو مكان انطلاق السَّيَّارات المفخَّخة، أو إلى أيِّ مكانٍ عادت، وهذا يُدلِّل على نجاحٍ أمنيٍّ واستخباريٍّ لكتائب القسَّام، كما يُبرهن فشلَ جيش الاحتلال الصُّهيوني.

بالعقليَّة الفذَّة والتَّخطيط الإستراتيجي الذي يحتلُّ عقول الثلاثيِّ قادة الجنوب (محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار، وأبو إبراهيم -مهندسي العمليَّة-)، تمكَّنت كتائب القسَّام من فرض معادلاتٍ جديدةٍ في جولات الصِّراع المتعاقبة، شأنُها إحباط مخطَّطات العدوِّ الصُّهيونيِّ وثنْيُه عن أهدافه وصدُّه عن بلوغها.

العدوان الصُّهيوني على قطاع غزَّة (معركة الفرقان) 2008-2009م:

مع مطلع عام 2008م، حقَّقت كتائب القسَّام تقدماً في الردع، حيث زادت المقاومة الفلسطينيَّة من قدراتها العسكريَّة، وخاصَّةً الصَّاروخيَّة منها، فقد شهد مطلع العام ذاته إطلاق كتائب القسَّام قُرابة ثلاثمائة وثلاثة وسبعين صاروخاً، وذلك حتَّى نيسان (إبريل) 2008م، وأطلقت خلالها صواريخ ذات مدى أطول وصل إلى مدينة عسقلان؛ الأمر الذي دفع حكومة الاحتلال الصُّهيونيَّة بقيادة (إيهود أولمرت) إلى إيجاد قناة اتِّصالٍ مع حركة حماس؛ لتكون دولة مصر راعيةَ المفاوضات غير المباشرة بين حركة حماس والكيان الصُّهيونيِّ الغاصب، والتي تمخضَّ عنها التَّوصُّل إلى تهدئةٍ استمرَّت لعدَّة أشهر.

فما أنْ مضت بضعة أشهرٍ على التَّهدئة، حتَّى بدأ الكيان الصُّهيوني يتلكَّأ في تحقيق بنود التَّهدئة، ثمَّ واصل اعتداءاته على أهالي قطاع غزَّة، والتي أدت إلى ارتقاء عددٍ من الشُّهداء، فبادرت فصائل المقاومة بإرسال رسائل عبر الوسيط وإعلامه بتفاصيل اختراق الكيان الصُّهيونيِّ للتَّهدئة، لكنَّ حكومة (أولمرت) لم تعبأ بهذه الرَّسائل ولم تَصْغِ لأيِّ وسيط، الأمر الذي دفع كتائب القسَّام للرَّدِّ على جرائمه، فأخذت تُطلق الصَّواريخ -محلِّيَّة الصُّنع- على المغتصبات الصُّهيونيَّة المحيطة بالقطاع.

واستمراراً من قبل العدو في خرق التَّهدئة، بدأ يتربَّص بقيادة كتائب القسَّام، حيث نشر عملاءه يتعقَّبون القائد العطَّار، وأثناء اجتماعه مع بعض قادة العمل إذ بصواريخ الحقد الصُّهيوني تنهال على المنزل الذي يعقد فيه الاجتماع، ومن بين أعمدة اللهب المتصاعد خرج المجاهدون بأمنٍ وسلام، يتوارون عن الأنظار، متَّجهين إلى مكانٍ أكثر أمناً، وقد كان هذا الاجتماع يسبق اندلاع الحرب بثلاثة أيَّام.

أعلنت فصائل المقاومة الفلسطينيَّة عن انتهاء التَّهدئة بتاريخ 19 كانون الأوَّل (ديسمبر) 2008م، التي رعتها جمهورية مصر العربية بين فصائل المقاومة من جهة، والعدوِّ الصُّهيونيِّ من جهةٍ أخرى، والتي كان من المقرَّر أن تستمر ستَّة أشهرٍ منذ 20 حزيران (يونيو) 2008م وفق الاتِّفاق، ولكنَّ المقاومة أعلنت عن انتهائها؛ نتيجةً لتنكُّر العدوِّ الصُّهيونيِّ لشروطها واستحقاقاتها الأساسيَّة، والمتمثِّلة في وقف العدوان، ورفع الحصار، وفتح المعابر، ونقل التَّهدئة إلى الضِّفَّة الغربيَّة.

وردًّا على جرائم الاحتلال الصُّهيونيِّ المتواصلة، التي كان آخرها استهداف مجموعةٍ من المواطنين شمال قطاع غزَّة أدَّى إلى استشهاد المجاهد علي حجازي وإصابة آخرين بتاريخ 20 كانون الأوَّل (ديسمبر) 2008م، قصفت كتائب القسَّام موقع الاستخبارات الصُّهيونيَّة شرق مدينة رفح بثلاث قذائف هاون؛ وإسناد صوفا بثلاث قذائف هاون كذلك.

وأعلنت كتائب القسَّام عن حملة "بقعة الزَّيت اللاهب"، وإدخال آلافٍ جديدةٍ من الصَّهاينة في دائرة النَّار، في إطار التَّصدِّي للعدوان الصُّهيوني على قطاع غزَّة بتاريخ 24 كانون الأوَّل (ديسمبر) 2008م، حيث قصفت "وحدة المدفعيَّة" في كتائب القسَّام منذ فجر ذلك اليوم بكثافة عشرات القذائف والصَّواريخ على مواقع وثكنات ومغتصبات العدوِّ الصُّهيوني المحيطة بقطاع غزَّة، والتي بلغت (واحداً وثلاثين) صاروخاً من طراز قسَّام، وصاروخي غراد وأربعاً وخمسين قذيفة هاون، إضافةً إلى قنص جنديٍّ صهيونيٍّ شرق خزاعة، وجرَّاء القصف اعترفت مصادر العدو بنقل (خمسةٍ وسبعين) مغتصِباً صهيونيًّا إلى المستشفيات؛ لتلقِّي العلاج، ووقوع

أضرارٍ ماديَّةٍ في العديد من المنشآت والمنازل الصُّهيونيَّة، واشتعال النِّيران في موقع ناحل عوز شرق مدينة غزَّة، كما أسفر القصف عن إصابة مصنعٍ في مغتصبة نيرعوز، ومبنى جماهيري في مغتصبة سيديروت، ومبنى البلديَّة في المغتصبة ذاتها، ورفع الاحتلال الصُّهيوني حالة الطَّوارئ للدَّرجة القصوى، ودعا المغتصبين للنُّزول إلى الملاجئ.

في خضم التصعيد الميداني المتلاحق تواصل القائد أبو أيمن مع المجاهدين عبر جهاز (اللاسلكي)؛ ليرفع من معنويَّاتهم، كما وتواصل مع رجال سلاح المدفعيَّة؛ للرَّدِّ على الاحتلال بالصَّواريخ، واستنفر جميع المقاتلين، وقد ركَّز أبو أيمن على الاستشهاديِّين، وكانوا مجهَّزين قبل الحرب بشهر، ونشر جزءاً من القوَّات القسَّاميَّة في المناطق الشَّرقيَّة؛ لتأمينها من اجتياحٍ برِّي، وقد صرَّح باحتماليَّة حدوث حربٍ برِّيَّة.

ومع حلول صباح ال 27 كانون الأول (ديسمبر) لعام 2008م، وأثناء سير الحياة الغزِّيَّة الاعتياديَّة شنَّ الجيش الصُّهيوني أشدَّ سلسلة غاراته الجوِّيَّة التي لم يسبق أن شهدها قطاع غزَّة، في عدوان عسكري أطلق عليه الكيان الصُّهيوني اسم الرَّصاص المصبوب؛ حربٌ أشعل فتيلها الكيان الصُّهيونيُّ ساعياً إلى تغيير الوضع القائم في قطاع غزَّة، وكان هدفها القضاء على حكومة حماس، واستئصال شأفة المقاومة وخاصَّةً كتائب القسَّام، ومعرفة مكان الجنديِّ الصُّهيوني الأسير لدى كتائب القسَّام جلعاد شاليط، ومنع إطلاق الصَّواريخ الفلسطينيَّة على المغتصبات الصُّهيونيَّة، وقد بدأ العدوان الصُّهيوني الشَّامل على قطاع غزَّة بسلسلة ضرباتٍ جوِّيَّةٍ عنيفة، شملت أرجاء القطاع في وقتٍ واحد، أدرت إلى ارتقاء مئات الشُّهداء من رجال الشُّرطة، وأبناء كتائب القسَّام، والمواطنين.

استمرَّ العدوان الجوِّي أسبوعاً كاملاً، ثمَّ بدأ الجيش الصُّهيوني في عدوانه البَرِّي في 3 يناير 2009م، بدخول دبَّاباته قطاع غزَّة عبر أربعة محاور، هي: معبر المنطار، وبيت حانون، وبيت لاهيا، ومطار رفح.

واستطاعت المقاومة الفلسطينيَّة الصُّمود والثَّبات، حيث صدَّت ومنعت الجيش الصُّهيوني من تحقيق أهدافه من هذا العدوان.

وأعلن أبو عبيدة -النَّاطق باسم كتائب القسَّام- في التَّاسع عشر من يناير عام 2009م، عن تمكُّن كتائب القسَّام من إطلاق تسعمائة وخمسةٍ وسبعين صاروخاً وقذيفةً من قطاع غزَّة، وكانت على النَّحو التَّالي: ثلاثمائة وأربعين صاروخ قسَّام، ومائتان وثلاثة عشر صاروخاً من طراز غراد، وأربعمائة واثنتين وعشرين قذيفة هاون.

اعترف الكيان الصُّهيوني أنَّ العدوان على قطاع غزَّة أدَّى إلى مقتل ثلاثة عشر صهيونيّاً فقط، منهم عشرة جنود، إضافةً إلى إصابة ثلاثمائةٍ وسبعةٍ وستِّين آخرين بجراح. في حين أكَّدت كتائب القسَّام قتل تسعةٍ وأربعين جنديّاً صهيونيًّا مباشرةً، وجرح المئات.

صولات "أبو شمَّالة والعطَّار" في معركة الفرقان:

تصدَّر القائدان الإشراف الميداني على العمليَّات الجهاديَّة جنوب قطاع غزَّة التي تصدَّت لقوَّات الاحتلال الصُّهيونيِّ خلال معركة الفرقان وما سبقها من مواجهات وارهاصات وكان أبرزها:

حصاد المهمّات الجهادية			
	المهمة	السلاح المستخدم	تاريخ المهمة
1	تفجير آليَّتين عسكريَّتين من نوع D9، أثناء توغُّلهما في محيط صوفا شرق رفح.	قذيفتا مضاد للدُّروع من نوع RPG.	28 مايو 2008م
2	قصف موقع إسناد صوفا، وبوابة المطبِّق شرق رفح.	2 صاروخ قسَّام.	18 نوفمبر 2008م

3	قصف موقع كرم أبو سالم، وموقع الإرسال العسكري، وكبيوتس بئيري.	16 قذيفة هاون، و2 صاروخ قسَّام.	24 نوفمبر 2008م
4	قصف الآليَّات الصُّهيونيَّة المتوغِّلة جنوب بوَّابة المطبِّق، وكذلك موقع إسناد صوفا، وكيبوتس حوليت الصُّهيونيِّين.	13 قذيفة هاون عيار (80) و13 قذائف هاون من عيار (120)	2 ديسمبر 2008م
5	قصف موقع إسناد صوفا، وكيبوتس يشع، ومغتصبات: نيرإسحاق، وحوليت، وديجيل شرق رفح، وعزّاتا، وتلمي يوسف، ويفول.	17 صاروخ قسَّام، و2 صاروخ غراد.	27 ديسمبر 2008م
6	قصف مغتصبة حوليت.	2 صاروخ قسَّام.	28 ديسمبر 2008م
7	قصف موقع كرم أبو سالم.	صاروخ قسَّام.	29 ديسمبر 2008م
8	قصف مغتصبة العين الثَّالثة.	ثلاث قذائف هاون	30 ديسمبر 2008م
9	قصف كيبوتس بئيري، ومغتصبة نتيفوت، وتجمع أشكول، ونير إسحاق، والعين الثَّالثة، ونيريم.	13 صاروخ قسَّام.	31 ديسمبر 2008م
10	قصف مغتصبة العين الثَّالثة.	2 صاروخ قسَّام.	1 يناير 2009م

11	قصف مغتصبة نيرإسحاق.	صاروخ قسَّام.	2 يناير 2009م
12	قصف مغتصبة مفتاحيم	2 صاروخ قسَّام	3 يناير 2009م
13	قصف مغتصبة حوليت في تجمُّع أشكول، وموقع كرم أبو سالم.	3 صواريخ قسَّام وصاروخ غراد	4 يناير 2009م
14	إسقاط طائرة استطلاع صهيونيَّة واغتنامها.	-	5 يناير 2009م
15	قصف مغتصبة مفتاحيم	4 صواريخ قسَّام	6 يناير 2009م
16	قصف موقع إسناد صوفا	2 صاروخ قسَّام	8 يناير 2009م
17	قصف موقع كرم أبو سالم	قذيفتا هاون من عيار 120 ملم	9 يناير 2009م
18	قصف موقع إسناد صوفا	صاروخ قسَّام	11 يناير 2009م
19	قصف تجمُّع أشكول	2 صاروخ قسَّام	12 يناير 2009م
20	قصف مغتصبة نيرإسحاق، وموقع إسناد صوفا ،وتجمُّع أشكول	5 صواريخ قسَّام	13 يناير 2009م
21	قصف موقع إسناد صوفا، وقوَّات صهيونيَّة متوغِّلة في حيِّ النَّصر شرق رفح، وتجمُّعاً للآليَّات في منطقة العمور	2 صاروخ قسَّام، وثلاث قذائف هاون عيار 120 ملم	15 يناير 2009م

22	قصف نيرإسحاق ومفتاحيم	4 صواريخ قسَّام	16 يناير 2009م
23	تفجيرآليَّة صهيونيَّة في منطقة صوفا؛ ووقوع خمس إصابات	عبوَّة أرضيَّة ناسفة	17 يناير 2009م
24	قصف كيبوتس بئيري	صاروخ قسَّام	17 يناير 2009م
25	قصف مغتصبة العين الثَّالثة	3 قذائف هاون	18 يناير 2009م

لقد عمد القائدان للإثخان في صفوف الجنود قتلاً ردًّا على جرائمه المتواصلة، وخرقه السَّافر للتَّهدئة، التي تمثَّلت في استهداف مجموعةٍ من المواطنين شرق رفح، واستشهاد اثنين منهم، وإصابة آخرين بجراح.

بقيَ القائدان على تواصلٍ مستمر مع قادة العمل العسكري، في متابعة مستمرة لتفاصيل مُجرَيات المعركة في حدود مناطقهم، وتبادل الاستخلاصات الميدانية الآنيَّة، وبالتوازي مع الاتصالات الميدانية كان التواصل مع القيادة السِّياسيَّة واستقبال تعليماتهم لحظةً بلحظة، وبالتَّوافق مع جميع أجهزة الحركة، حيث نجحت الحركة في خوضها معركة الصَّواريخ خلال معركة الفرقان؛ فقد استبسل رجال كتائب القسَّام، وواصلوا إطلاق صواريخهم بكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ على مغتصبات جيش الاحتلال الصُّهيونيِّ وتجمعاته حتَّى إعلان الكيان الصُّهيوني عن وقف اطلاق النار، من طرفٍ واحد.

وما أن وضعت الحرب أوزارها حتَّى بادر القائدان إلى عقد اللقاءات والاجتماعات اللوائية لأخذ العبر والاستخلاصات، ورفع رصيد الخبرة والمعرفة الميدانية من خلال إلتماس المآخذ ومعرفة الثَّغرات، وبالتَّالي فهم أساليب العدوِّ في خوض المعارك،

ومن ثَمَّ العمل بمقتضاها خطوة احتراسٍ في حال بادر العدو إلى ارتكاب أيِّ حماقةٍ قادمة، فقد أمّنا الخطَّ الدِّفاعيَّ للمناطق الغربية والجنوبية والشَّرقيَّة، وتوجَّها لحفر الأنفاق وإنجاز العيون والكمائن في مناطق التَّماس مع العدو، حيث تحمّل القائدان العبأ الذي ترتَّب على تحقيق ذلك الإنجاز.

وعلى صعيد إمداد القطاع بالعتاد والسِّلاح الذي أخذ القائد أبو خليل على عاتقه حمل عبء أمانته، فقد كانت كتائب القسَّام بحاجةٍ لسلاحٍ نوعيٍّ يُطوِّر أداءها الجهادي؛ في مواجهة ترسانة الاحتلال العسكرية، بالإضافة إلى الحاجة الماسَّة لبعض المواد المستخدمة في صناعة الصَّواريخ، فما لبث القائد أبو خليل قليلاً حتَّى تمكَّن من توفير مستلزمات العمل الجهادي، عبر العديد من الطُّرق المتاحة والمبتكرة.

كلمات خالدة

وفي أول لقاء إعلامي للقائد رائد العطَّار -عقب معركة الفرقان- تحدَّث عن انتصار المقاومة الفلسطينيَّة على العدوِّ الصُّهيوني في المعركة من خلال عدَّة تجلِّيات، **كان منها:**


القائد / رائد العطار

- أنهى العدوُّ حربه على قطاع غزَّة دون أن يُحقِّق أهدافه التي أعلنها قبل الحرب، التي كان على رأسها إسقاط حكومة حماس في القطاع، والقضاء على القوَّة الصَّاروخيَّة للمقاومة، وإضعاف القوَّة العسكريَّة لكتائب القسَّام عموماً.
- شنَّ العدوّ الصُّهيوني (بغتةً) في اليوم الأوَّل من أيَّام العدوان غاراتٍ موسَّعة، استهدفت المقرَّات والمواقع العسكريَّة، التي لو قيست بمدى مساحة قطاع غزَّة لكانت كفيلةً بإسقاطه فوراً في موازين دولٍ أخرى، لكنَّ المقاومة صمدت اثنين وعشرين يوماً.

- لم يكن أيُّ تكافؤ يُذكر بين العتاد العسكري للعدوِّ الصُّهيوني، وما يمتلكه المجاهدون من وسائل قتاليَّة، ورغم حالة اللا مقارنة ثبت المجاهدون في الميدان على مدار أيَّام معركة الفرقان، وشنّوا عمليَّاتٍ عسكريَّة، أوقعت قتلى وجرحى في صفوف العدو الصُّهيوني، وتلك من الأدلَّة الواضحة على نصر المقاومة في قطاع غزَّة.
- حدوث تخبُّط داخل الكيان الصُّهيوني، ومطالباتٍ داخليَّةٍ بالتَّحقيق في العدوان على قطاع غزَّة، لا سيَّما بعد سماع شهادات الجنود الصَّهاينة، الذين شاركوا في العدوان على القطاع، واكتشاف الخسائر الحقيقيَّة للعدو الصُّهيوني، إبَّان عدوانه الفاشل.
- إنَّ من أبرز دلالات النَّصر؛ صمود الشَّعب الفلسطيني الأعزل في وجه الضَّربات الجوِّيَّة للطَّيران الحربيِّ الصُّهيوني، والقصف المدفعيِّ المتواصل، واستخدام أسلحةٍ عسكريَّةٍ محرَّمةٍ دَوْليّاً، والالتفاف الكبير من سكَّان القطاع حول المقاومة، ورفضهم للاستسلام ورفع الرَّاية البيضاء.
- كان العدوان على غزَّة بمنزلة إحياءٍ للقضيَّة الفلسطينيَّة في نفوس الملايين من العرب والمسلمين والشُّعوب الأخرى، وعودة القضيَّة الفلسطينيَّة إلى جذورها الإسلاميَّة.

فكلُّ هذه الإنجازات تُعدُّ من أهمِّ ما يُدلِّل على نصر المقاومة الفلسطينيَّة في معركة الفرقان على العدوِّ الصُّهيوني.

ويُضيف القائد العطَّار أنَّ المعركة على مدينة رفح عامةً كانت جوِّيَّة، استهدفت الأنفاق، ولم يكن سوى توغُّلٍ برِّيٍّ محدودٍ في منطقة صوفا، التي تبعد عن الشَّريط الحدودي ما يقارب كيلو متراً ونصفاً، وهي مناطق في معظمها زراعيَّة، خالية من السُّكَّان، ورغم هذه الظُّروف المحيطة بالمنطقة، إلَّا أنَّ المجاهدين تمكَّنوا من تدمير جرَّافتين وناقلة جند، وقد اعترف العدوُّ الصُّهيوني بإصابة خمسة جنود جرَّاء ذلك الاستهداف.

وقد كانت الخطَّة الدِّفاعيَّة عبارة عن تشكيلاتٍ قتاليَّة، يتوزَّع فيها المجاهدون حسب المهام والتخصصات العسكرية والتي كان من أهمها في تلك المعركة: المدفعيَّة، ومضادات الدُّروع، والقنص، والعديد من التَّخصُّصات، ورغم أنَّ الخطَّة الدِّفاعيَّة لم تنتهِ بشكلها الكامل قبل العدوان، إلَّا أنَّ المجاهدين أبلوا بلاءً حسناً في خوض هذه المعركة.

وتحدَّث العطَّار عن الالتفاف الشَّعبيِّ الكبير حول المقاومة، رغم كثرة الشُّهداء والجرحى، واستهداف البيوت والمؤسَّسات، وتمثَّل ذلك في: مساعدة المجاهدين، وفتح البيوت لهم، ومتابعة الجماهير لأخبار ضرب الصَّواريخ والقذائف على المغتصبات الصُّهيونيَّة، وظهور علامات الفرح والسُّرور على وجوه الجماهير عند سماع أخبار مقتل أو إصابات الجنود الصَّهاينة.

كما تحدَّث عن مكر الدُّوَل، خاصَّةً الولايات المتَّحدة، والدُّول الأوروبِّيَّة تُجاه حماس، فقال: لا أجد ردّاً عليهم أفضل من قوله تعالى "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال:30)، ولو استطاعوا طوال المدة السَّابقة منع السِّلاح لمنعوه، ولكنَّ إرادة الله أن تبقى هذه المنطقة أرض رباطٍ وجهاد، وعليه فلن يتمكَّنوا بإذن الله من منع وصول السِّلاح للمجاهدين.

وحول المواجهة الإعلاميَّة بين كتائب القسَّام والآلة الإعلاميَّة للصَّهاينة، ذكر العطَّار أنَّ الإعلام القسَّامي على درجةٍ عاليةٍ من الجودة والقوَّة، حيث كانت تظهر إنجازات المجاهدين في الميدان، وتمَّ إيصال رسائل إنذارٍ ورعبٍ للشَّارع الصُّهيوني، وللجنود الصَّهاينة المشاركين في العدوان على غزَّة، أنَّه لن يكون دخول القطاع بالأمر السَّهل، فالإعلام القسَّامي لعب دوراً مهمًّا في إدارة حربٍ نفسيَّةٍ كان شأنها زعزعة العدو وإرباك صفِّه وذكر العطَّار أنَّه: ليس من الممكن بعد هذه التَّضحيات التي قدَّمها شعبنا، وقدَّمتها الحركة أن نقبل بإنزال سقف صفقة التَّبادل، ويبدو أنَّ العدو لا يكفيه أسر جنديٍّ صهيوني؛ للإفراج عن أسرانا والقبول بهذه الصَّفقة، فإن كان هذا الجنديُّ الصُّهيونيِّ -شاليط- لا يكفي، فستكون لنا جولات؛ لاختطاف

وأسر جنودٍ آخرين؛ لمبادلتهم بأسرانا الذين ضحُّوا بحرِّيَّتهم؛ من أجل خدمة دينهم وقضيَّتهم، كما أنَّه لن يهنأ لنا بال إلَّا بإنهاء معاناة جميع الأسرى، وإعادتهم إلى ذويهم سالمين بإذن الله، وهنا نُذكِّر العدو أنَّه عندما انسحب من قطاع غزَّة أعلنَّا أنَّه لن يهدأ لنا بال إلَّا بالإفراج عن أسرانا،وأخذت كتائب القسَّام ذلك عهداً على نفسها أمام شعبها، فجاءت عمليَّة الوهم المتبدِّد؛ وفاءً للوعد الذي قطعناه، وسنعمل كلَّ ما بوسعنا للإفراج عن الأسرى، ونحن اليوم نُجدِّد الوعد لهم، وليفهم العدو ذلك جيِّداً.

وتحدَّث العطَّار عن جاهزيَّة كتائب القسَّام العالية، خاصَّةً أنَّها منذ عام 1992م كانت هي طليعة الأذرع العسكريَّة التي تُواجه الاحتلال الصُّهيونيَّ، وتهديداته التي ليست بجديدة، فهي لا تُخيف أحداً من شعبنا، فماذا سيفعلون أكثر ممَّا فعلوا؟، كما أنَّ القسَّام يعمل للوصول داخليّاً للأفضل، من حيث العمل الإداري، والعمل التَّخصُّصي، وبفضل الله كلَّ يومٍ يمر تزداد كتائب القسَّام فيه قوَّةً ومتانةً ونظاماً.

وعندما سُئل العطَّار أنَّه كيف لم يَر أهله قبل الحرب بعدَّة أيَّام، وطوال مدة الحرب، وأنَّه لم يَرهم إلَّا بعد الحرب بـ(12) يوماً، أجاب قائلاً: "إنَّني معتادٌ على الابتعاد عن بيتي لأوقات طويلة، وذلك يهون في سبيل الله، والدِّفاع عن وطننا وشعبنا".

كما تحدَّث عن شعوره عند قصف بيته بأنَّه أمرٌ متوقَّع؛ لأنَّ طائرات الاحتلال الصُّهيونيِّ كانت تقصف بيوت المواطنين الذين لا علاقة لهم بقيادة المقاومة، فكيف ببيوتنا؟!، فهو أمرٌ متوقَّعٌ جدًّا، ونحن نحتسب هذا في سبيل الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ويُضيف قائلاً: "لكنَّ أكثر ما أحزنني في الحرب، استشهاد الأطفال والنِّساء، وفراق الأحبَّة من الشُّهداء.

ومن الأخبار التي كانت تُدخل السَّعادة علينا سقوط الصَّواريخ في مدى لم يعهده العدوُّ من قبل، والعمليَّات التي أوقعت قتلى وجرحى في صفوف جنوده".

ووجّه العطّار في ذلك اللقاء عدّة رسائل؛ رسالةٌ للشّعب الفلسطيني، أوصى فيها بالصّبر والثّبات واليقين بأنّ نصر الله قادم، وأنّ بعد العُسْر يُسراً إن شاء الله، وأمّا رسالته إلى المجاهدين: إنّكم غدوتم طليعة هذه الأمّة، وتقلّدتم رأس الحربة والجهاد في الدِّفاع عن حياضها، فعليكم بالمزيد من الثّبات والصّمود والتّوكُّل على الله؛ فبجهادكم وصمودكم تُحيون فريضة الجهاد في نفوس المسلمين.

كما أوصى المجاهدين بالعمل على ألّا يكون الهدف من جهادهم الاستشهاد وحسب، بل أن يجعلوا غايتهم تكبيد العدوّ الخسائر من قتلٍ وتنكيلٍ ورُعبٍ وأسر وأنّ عليكم بالسّمع والطّاعة للقيادة، والابتعاد عن مجريات السّاحة الفلسطينيّة من مشكلاتٍ تُلهي عن الجهاد، كما أوصيكم بشعبنا خيراً؛ لصموده وثباته وتحمُّله الصِّعاب، وأن تكونوا حماةً له من أيِّ ظلمٍ يقع عليه، ولتعلم أخي المجاهد أنّك حارسٌ لدينك وممثِّلٌ لإسلامك، فلا يُؤتينّ الإسلام من قِبَلك.

واختتم حديثه: أسمى أمنياتي أن تقرّ عيني برؤية أرضنا وقد تحرّرت، وعادت حقوق شعبنا الفلسطيني له، وأن يتطهّر المسجد الأقصى من دنس الصّهاينة الغاصبين، ونفرح جميعاً بعودة إخواننا الأسرى إلى ذويهم سالمين، كما أتمنّى أن تتوحّد الأمّة الإسلاميّة على قائدٍ يُعيد لها مجدها وعزّها التليد.

صراع الأدمغة ومكاسب الحرب النّفسيّة

وضعت معركة وفاء الأحرار أوزارها، بَيْدَ أنّ جذوة حربٍ باردةٍ بادرت كتائب القسّام بإشعالها، محاولةً استثمار نجاحها فيها وفي عمليّة الوهم المُتبدِّد وأسر الجندي شاليط، فأخذت تمارس دعايتها فتبثُّ الرّسائل وتنشر الوثائق، التي شأنها الحطُّ من هذا الكيان وإثارة حفيظة قادته، ودفعه تجاه صفقة تبادل الأسرى.

بعد مرور ثلاثة أعوامٍ على أسر الجندي شاليط و في 28 يونيو 2009م، أرسلت عائلة الأسير رسالةً نقلها الرّئيس الأمريكيُّ الأسبق جيمي كارتر إلى حركة حماس، وفور استلامهم الرسالة خرج أسامة المزيني -أحد قادة حركة حماس- المُتحدِّث عن هذا الملف بمؤتمرٍ صحفي مُصرِّحاً: "استلمت حماس الرِّسالة، ووعدت أن تُوصلها

للجهات المُختصَّة، فإن كان حيّاً ستصله الرِّسالة، وإن كان ميتاً لن تصله، فنحن لا نعلم حقيقة مصيره بعد الحرب على غزَّة.

عقب هذا المؤتمر كشفت مصادر مُطّلعة لعددٍ من وكلات الأنباء أنّ الجندي الأسير في غزَّة جلعاد شاليط، أصيب في إحدى الغارات الصُّهيونيَّة، التي تُواصل طائرات الاحتلال تنفيذها على قطاع غزَّة، والتي استهدفت مئات الأهداف.

معركةٌ جديدةٌ وحربٌ فريدةٌ خاضتها حركة حماس ضدَّ دولة الكيان، في محاولةٍ لإنعاش القضيَّة، التي بدأت تتلاشى من أذهان وأولويَّات السَّاسة الصَّهاينة، حتَّى أشغلت دولةً بأكملها، فاحتدم الجدال في الشَّارع الصُّهيوني حول هذه القضيَّة، سيَّما أنَّ حركة حماس تحظى بمصداقيَّةٍ عالية، فرضت على قادة دولة الكيان إعادة هذا الملف على طاولة الأولويَّات.

كما عبَّر المُختص في الحرب النَّفسيَّة درون شلايفر، وهو من المدرسة الإعلاميَّة في المعهد الأكاديمي بكليَّة أرئيل، عن اعتقاده أنَّ توقيت إعلان حماس عن إصابة شاليط، جاء في وقتٍ حسَّاسٍ جدًّا ومقصود؛ بهدف زيادة لهيب النَّار المُشتعلة في الشَّارع "الإسرائيلي".

ووصف توقيت الإعلان بالرَّائع، وذلك في ظلِّ الجُهد المبذول من أجل الإفراج عن الجندي شاليط، مشيراً إلى أنَّ المعلومات الواردة عن إصابة شاليط من مصادر صحفيَّةٍ متعدِّدة، لا تضرُّ بمصداقيَّة حركة حماس، فيما لو تبيَّن بعد ذلك أن الجنديَّ بخير، وأنَّ الأخبار عن إصابته كانت كاذبة.

وقال: "هذا السِّلاح تستخدمه حماس تزامناً وعوضاً عن الصَّواريخ والأقمار الصِّناعيَّة المستخدمة في الحرب"، وأضاف "انظر إلى معلومةٍ من مصدرٍ غير معروفٍ من صحيفةٍ لندنيَّةٍ ماذا تفعل في دولة، لقد أدخلتها في دوَّامة، ونقلتها من وكيلٍ إلى آخر، وبمكالمةٍ واحدةٍ فقط نُشرت معلومةٌ كهذه، وانظروا ماذا فعلت بنا".

ستُّون ثانية أغرقتنا في بحر التَّوقُّعات

في الثـاني مـن أكتوبـر عام 2009م، كانـت دولة الكيان على موعدٍ مع صفعةٍ أمنيَّةٍ طالـت أجهزتهـا الأمنيَّـة كافَّـة، بعـد أن أصـدرت كتائـب القسَّـام شـريط فيديـو مصوَّر، يظهـر فيـه الجنـدي الأسـير جلعـاد شـاليط، لدقيقتـين، مرتديـاً الـزِّيَّ العسـكري، يحمـل جريـدةً إخباريَّـةً فلسـطينيَّة بتاريـخ 14 سـبتمبر 2009م، تحدَّث خلالـه مخاطبـاً رئيس وزراء الاحتـلال بنيامـين نتنياهـو بالموافقـة علـى شـروط حمـاس، وتأمـين الإفـراج عنـه في أسـرع وقـتٍ ممكـن قبـل فـوات الآوان، كمـا وجَّـه شـاليط رسـالةً شـخصيَّةً لعائلتـه، قـال فيهـا إنَّـه يتطلَّـع إلى اللقـاء بهـم عمَّـا قريـب، وأكَّـد أنَّـه يحظـى باحـترام، وأنَّ كتائـب القسَّـام تُحسـن تعاملـه، حيـث بـدا شـاليط في حالـةٍ صحِّيَّـةٍ وبدنيَّـةٍ جيِّـدة، علـى خلاف توقُّعـات الأجهـزة الأمنيَّـة الصُّهيونيَّـة، الـتي كانـت ترصـد مـن كثـبٍ دقائـق الأمـور وتفاصيلهـا.

ومـن خـلال هـذا المقطع المُصـوَّر نجحت كتائب القسـام في 5 أكتوبر 2009م، عبر وسـاطةٍ ألمانيَّـةٍ مصريَّـة في تأمـين الإفـراج عـن 19 أسـيرةٍ فلسـطينيَّة، في مقابـل إصدار هـذا المقطـع، الـذي يُثبـت أنَّ الجنـدي شـاليط لا يزال على قيـد الحياة.

وأكَّـد خبـير الحـرب النَّفسـيَّة الصُّهيـوني رون شـلايفر بالمركـز الجامعـي في جامعة أرئيـل أنَّ حركـة حمـاس نجحـت في جني ثمـار حربها النَّفسـيَّة الـتي تُديرها ضـدَّ الاحتلال في قضيَّـة الجنـديِّ الأسـير جلعاد شـاليط.

ويـرى شـلايفر: "أن حمـاس نجحـت في جعلنـا طـوال أسـبوعٍ كامـلٍ رهائـنَ توتُّـرٍ فظيـع، ننتظـر فيـه مقطعـاً مُصـوَّراً لشـاليط لا يتعـدَّى سـتين ثانيـة، وغرقنـا في بحـر التَّوقُّعـات.. هـل سـيكون الشَّـريط عـبر الإيميـل أم عـن طريـق شـريط فيديـو!!".

مُضيفـاً: "هـذه هـي الحـرب النَّفسـيَّة النَّاجحـة." واسـتطرد: "الموسـاد فشـل في منـع حمـاس مـن خداعنـا والتَّلاعـب بنـا طـوال الوقـت، فكيـف لجهـازٍ كبيرٍ أن يفشـل أمـام جهـازٍ صغـيرٍ في الحصـول علـى معلومـاتٍ تتعلَّـق بجنـديٍّ أسـيرٍ واحـد".

كيف سيبدو شاليط بعد 30 عاماً؟

وضعت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في شمال قطاع غزَّة رسوماتٍ جداريَّةً بمناسبة مرور يوم الأسير الفلسطيني، تُمثِّل صورة جلعاد شاليط بعد مرور ثلاثين عاماً عليه في الأسر، إلى جانب صورته الحاليَّة، حيث شهد الأربعاء 15/4/2009م، الخروج بمسيرةٍ تضامنيَّةٍ مع الأسرى في سجون الاحتلال؛ للمطالبة بالإفراج الفوريِّ عن الأسرى الفلسطينيِّين، كما تضمَّنت الجداريَّة رسوماً أخرى للطَّيَّار الصُّهيونيِّ المفقود رون أراد؛ بغرض تذكير المجتمع الصُّهيوني وحكومته بمصيره.

لاقت هذه الرُّسومات رواجاً داخل أوساط دولة الكيان، حيث استفزت مشاعرهم وكدَّرت صفوهم، فقد وصفت صحيفة يديعوت أحرنوت هذه الرُّسوم بمظاهر القسوة والجبروت، التي تمثَّلت في اختيار الفكرة، وكيف سيبدو حال شاليط بعد مرور عقودٍ من الزَّمن.

جارٍ البحث عن أصدقاء جُدد لشاليط

بثَّت كتائب القسَّام عبر منصَّاتها الإعلاميَّة فيلم "رسم كرتوني D3"، يُهدِّد أن يكون مصير الجندي المُحتجز جلعاد شاليط كمصير الطَّيَّار المفقود رون أراد، الذي اختفت آثاره في لبنان، جاء هذا التَّهديد بتاريخ 25/4/2010م، في إطار حربٍ نفَسيَّةٍ أشعلتها كتائب القسَّام؛ لمجابهة المجتمع الصُّهيونيِّ وحكومته، وأنَّه أمام فرصةٍ لإتمام صفقة تبادلٍ يتم بموجبها الإفراج عن شاليط مقابل أسرى فلسطينيِّين، وفي حال استمر الاحتلال الصُّهيونيِّ في المماطلة فإنَّه سيدفع الثَّمن في لحظةٍ لن ينفعه فيها النَّدم.

تُشير الرِّسالة التي يحملها الشَّريط، أنَّ كتائب القسَّام عازمة في طريقها نحو تحرير جميع الأسرى، وماضية في محاولاتها أسر جنودٍ آخرين، حتَّى تصل بحكومة الكيان الصهيوني إلى تأسيس وزارةٍ خاصَّةٍ بالجنود الأسرى.

جولةٌ في مشاهد الفيلم

يظهر والد شاليط في الفيلم وقد تقدَّم به العمر، يجوب الشَّوارع حاملاً صورة نجله الأسير، يتنقَّل بين الطُّرقات يجهش بالبكاء، ينقل عينيه بين اللوحات الإعلانيَّة التي يمر بها، وهي تحمل صوراً للزُّعماء الصَّهاينة السَّابقين واللاحقين، وهم يَعِدون بتحرير ابنه، تأتي هذه المشاهد وسط سماعه لصوت جلعاد يتردَّد صداه، يملأ شوارع دولة الكيان.

ينتهي الفيلم بمشهدٍ يقف فيه والد شاليط أمام معبر إيرز، منتظراً استلام ابنه، في حين تظهر عربةٌ عسكريَّةٌ صهيونيَّةٌ تحمل الكفن.

استنكرت الأوساط السِّياسيَّة الصُّهيونية بثَّ كتائب القسَّام الفيلم الكرتوني عن الجنديِّ الأسير لديها جلعاد شاليط، حيث وصفه رئيس الوزراء الصُّهيوني بنيامين نتنياهو بـ"الخطوة السَّافلة الإرهابيَّة" حسب وصفه، ونقلت صحيفة يديعوت أحرنوت عن والد الجندي نوعام شاليط قوله: "إن بثَّ فيلمٍ من هذا القبيل يعني أنَّ "حماس" أعلنت الحرب النَّفسيَّة على عائلة الجنديِّ خاصَّة، والشَّعب الإسرائيليِّ عامَّة".

بذلك تمكَّنت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجناحها العسكري كتائب القسَّام ومن خلال فكر قادتها العميق أن تبتكر سلاحاً نظيراً للصَّاروخ والقذائف والذَّخائر، فكان السِّلاح الأكثر فتكاً بدولة الكيان، وتأجيج جبهته الدَّاخليَّة، وبث الذُّعر في أوساط مجتمعه.

صفقة الحرائر... بشارةٌ وتفاؤل

خاضت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس معركة التَّفاوض "غير المباشر" مع الاحتلال الصُّهيونيِّ -بوساطاتٍ مختلفة-؛ لإبرام صفقة تبادلٍ، تقضي بتسليم الجنديِّ الصُّهيوني (شاليط)، مقابل الإفراج عن المئات من الأسرى، وخلال جولات التَّفاوض التي كان من أركان وفدها المُفاوض قادة كتائب القسام أحمد الجعبري،

ومروان عيسى، ومحمد أبو شمالة خاضوا سجالات هذا المُعترك، وكانوا جزءاً من الصّاعقة التي حلّت بدولة الكيان، ودفعت بعجلة التّفاوض إلى الأمام.

شهد يوم الثّاني من أكتوبر لعام 2009م، الذي نقش على جدران العزل وبوّابات السُّجون، بأنامل الحرائر من شقائق الرِّجال في سجون الاحتلال، صفقة الحرائر التي بدّدت دُجى ليلٍ طويلٍ، وكسرت حلقات قيدٍ وثيق، بعد أن أرغم جيش الاحتلال صاغراً على تأمين الإفراج عن الحرائر الفلسطينيّات، بوساطةٍ "مصريّةٍ ألمانيّة"، مقابل عرض كتائب القسّام فيلماً قصيراً لا تزيد مدّته على دقيقتين، يظهر خلاله مشاهد للجنديِّ الأسير جلعاد شاليط، فيه دلالةٌ على كونه بصحّةٍ جيِّدة، ولا يزال على قيد الحياة.

مثّلت صفقة الحرائر نصراً سيبني مجداً قادماً، فقد آمن ساسة العدوِّ بقدرات كتائب القسّام، وكفروا بأجهزتهم ومُقدّراتهم، التي كانت تخذلهم في كلِّ مرّة، فوطّنوا أنفسهم أنّه لا مناص مع كتائب القسّام سوى الخنوع أمام مطالبها.

إنجاز المقاومة الأروع وإبرام صفقة وفاء الأحرار

سئمت دولة الكيان سجالات المعركة الباردة مع كتائب القسام، التي حصدت خلالها وهماً جنت خيبة الأمل، في حين تراكمت قوة كتائب القسام العسكرية والأمنية والإعلامية، التي تمكنت من الإطاحة بتقنية جيش الكيان البائسة أمام عقول كتائب القسام وسواعدها، حيث أدارت المعركة بكل قوة واقتدار فكبدت العدو الهزائم المتلاحقة، ما أرغم ساسة دولة الكيان على الخنوع والخضوع أمام رياح كتائب القسام العاتية والقبول بكل ما طرحته على طاولة المفاوضات.

فقد اتّسمت تلك المرحلة بالقلق والتّوتُّر الذي يعتريه الحذر، ليخرج نتنياهو رئيس وزراء دولة الكيان في مؤتمرٍ صحفي يعلن فيه عن التّوصّل إلى اتّفاق، كما أعلن الأستاذ خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس أنّه قد أُبرم الاتفاق وسيتم التسليم خلال أسبوع، واتُّفق على أنّ التّسليم سيكون الثّلاثاء الموافق 18 تشرين الأول (أكتوبر) 2011م، في دولة مصر الوسيطة.

وإبان هذا الإعلان تداعت قيادة الجناح العسكري -كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام- للاجتماع التشاوري حول كيفيّة التّسليم؛ حيث اجتمع عددٌ من قادة المجلس العام للكتائب، وحددوا جميع الخطوات وصولاً لوضع اللمسات النّهائيّة للتّسليم، ووزعوا الأدوار على مهندسي الصفقة، حيث أخذ أبو خليل وأبو ياسر- أحد قادة القسام- موقعهما بجوار بوابة المعبر، والقائدان أبو محمَّد الجعبري وأبو البراء داخل المعبر؛ ليقوموا بمهمة استقبال السّيّارات التي تقلّ الجندي.



القائد / العطار أثناء تسليم الجندي جلعاد شاليط

وكخطوة احتراسٍ وزيادة حِرْصٍ وحذر، جرى تنسيقٌ بين قيادة كتائب القسَّام والحكومة، يقضي بعدم قيامها بأيِّ نشاط؛ لضمان ضبط المشهد، وتحقيق نجاح مهمَّة التَّسليم.

جاء اليوم المشهود، الذي تهيَّأت له أقلام التَّاريخ لتدشين بطولةٍ جديدةٍ يُصفع فيها الاحتلال الصُّهيوني أيّما صفعةٍ تُوجِّهها المقاومة له؛ بدأ موكب المقاومة يسير بعشرات المركبات التي توحّد لونها ونوعها، منطلقةً من جميع أرجاء القطاع، فقد تزامن عقرب السَّاعة مع وحدة المسير؛ في خطوة تضليلٍ حالت بين طائرات الاستطلاع الصُّهيونيَّة التي تلبَّدت بها سماء القطاع تائهةً لا تدري نقطة الانطلاق ومكان نقل الجنديِّ الأسير شاليط".

جابت مركبات كتائب القسَّام شوارع القطاع قاصدةً موقع التَّسليم، وفق خطَّةٍ حاكتها عقولٌ فاقت كلَّ توقُّعات الكيان الصُّهيوني، فقد بطل ما كانوا يأفكون، وحقَّقت المقاومة نصراً أمنيّاً عجزت ترسانة الاحتلال العسكريَّة والأمنيَّة والتِّقنيَّة عن اختراقه، ليواصل موكب القسَّام المسير بعزَّة الإسلام ونشوة المنتصرين، تاركاً غصةً تملأ قلوب المحتلِّين ونشوةً تُشفي صدور قومٍ مؤمنين.

فما أن وصل موكب القسَّام حتَّى التقى القائد أبو أيمن بتوأمه أبو خليل، ليواصلا معاً مهمَّة التَّسليم.



القائد / رائد العطار

دقَّت ساعة تسليم الجندي "جلعاد شاليط"، فأوعزت قيادة كتائب القسَّام إلى وحداتها الأمنيَّة والعسكريَّة التي تملأ موقع التَّسليم، بأخذ مواقعها والتَّحلِّي بأقصى درجات الحيطة مع الحذر والعمل وفق الخطَّة المرسومة على مقربةٍ من موقع التَّسليم.

تجوَّل مجاهدو كتائب القسَّام في مدينة رفح؛ للقيام بمهمَّة تأمين الطَّريق المؤدِّي إلى المعبر، حيث انتشر المجاهدون موزَّعين على خطَّة التَّأمين، فقد تولَّت مجموعةٌ مهمَّة تأمين طريق معبر كرم أبو سالم، وامتلأ الميدان بمركبات المجاهدين المحمَّلة بالرشَّاشات الثقيلة، وأخذ مجاهدو سلاح المدفعيَّة مواقعهم، وحظي استشهاديُّو كتائب القسَّام بانتشارٍ واسعٍ شمل أرجاء ساحة التَّسليم.

ترجَّل العطَّار قاصداً المركبة التي تُقلُّ الجنديَّ شاليط، يسير بخطى الواثقين الثَّابتين وعدسة إعلام العدوِّ الصُّهيوني ترصد كلِّ خطوةٍ له، فهي تُحدِّث عن مهانةٍ ووبالٍ طال كيانهم وبدَّد وهمهم، حتَّى اقتاده إلى الجانب المصريِّ حيث إتمام برنامج التَّسليم.

وصلت الحافلات التي تُقلُّ الأسرى الذين كُسر قيدهم، حيث استقبلتهم جموع المجاهدين المدجَّجين بالسِّلاح يتوسَّطهم القائدان أبو أيمن وأبو خليل بعيونٍ تذرف دموع الفرح.

في هذه اللحظات أبصر القائد أبو أيمن أسيراً محرراً يتبع للجان المقاومة الشَّعبيَّة، كان يعمل مرافقاً للقائد الشهيد أبو عوض النِّيرب يحني رأسه على نافذة الحافلة، ينتابه شعور الحزن وألم الفراق، فما كان من أبي أيمن إلَّا وقصدَه بحرارة المشتاق وبادره بالعناق، ثم أخذ يُحدِّثه عن مناقب أبي عوض وحُسْن خاتمته وروعة شهادته.



القائد العطار وهو يستقبل الأسرى

صفعة القسّام بعدسة إعلام الاحتلال

كتب معلِّق الشُّؤون الأمنيَّة -عاميت كوهين- أنَّ نقل شاليط من حماس إلى المخابرات المصريَّة كشف النِّقاب عن رجال الظِّلال الذين وقفوا خلف صفقة التَّبادل، مشيراً إلى أنَّه في لحظةٍ نادرة، عندما اقتيد شاليط في معبر رفح، وقف المسؤولون عن الاختطاف في صفٍّ واحد، إلى جانب الوسطاء المصريِّين، رغم أنَّهم سوف يعودون سريعاً إلى التَّخفِّي.

وقال كوهين: "خرج من الجيب مع شاليط رجلٌ يرتدي بزَّةً عسكريَّة، ويحمل بندقيَّةً، ويلبس قبَّعةً خضراء، هو رائد العطَّار، قائد لواء رفح في الذِّراع العسكريِّ لحماس، الذي يُعدُّ المخطِّط الأساسي لعمليَّة اختطاف شاليط"، مضيفاً: "إنَّ العطَّار الذي حرص على الالتصاق بشاليط حتَّى اللحظة الأخيرة، كان مسؤولاً عن سلسلةٍ طويلةٍ من العمليَّات، بما فيها إطلاق صواريخ نحو مدينة إيلات في العام الماضي".

كما أعدَّت القناة العبريَّة الثَّانية تقريراً موسَّعاً حمل عنوان (هكذا يُخطِّط دماغ حماس لخطف الجنود الإسرائيليِّين، وقد تمحور حول شخص رائد العطَّار، الذي وصفته القناة بأحد قادة الجهاز العسكري لحركة حماس، الذي احتفظ لخمس سنواتٍ بالجندي جلعاد شاليط في غزَّة.

وادَّعت القناة أنَّ "رائد العطَّار" وضع لنفسه هدفاً يتمثَّل في خطف جنديٍّ صهيونيٍّ جديدٍ بأيِّ ثمن، ووصفت مصادر في (جهاز الشَّاباك) (العطَّار) بأنَّه (رأس الأفعى الحمساويَّة)، حيث يعدّ (الشَّاباك) وحدة الكوماندوز التي يترأَّسها العطَّار (أفعى حماس)، إذ يتدرَّب أعضاء وحدة الكوماندوز السِّرِّيَّة على طرق تخدير الجنود الصَّهاينة، ويعكفون على دراسة اللغة العبريَّة، وعلى إجادة عمليَّات الرَّصد، والتَّسلُّل والعمل داخل (إسرائيل).

أضافت القناة الثَّانية قائلةً: في يوم الإفراج عن جلعاد شاليط تتبَّعت كلُّ (إسرائيل) الجندي أثناء عودته من اللحظة التي ظهر فيها رجال كتائب القسَّام في معبر رفح حتَّى تسليم جلعاد إلى الجانب المصري، والمقابلة التي أجراها التِّلفزيُون المصري معه، واستقبال رئيس الحكومة الصُّهيونيَّة بنيامين نتنياهو ووزير حربه له، حتَّى وصوله إلى منزله في حيفا.

وتُضيف القناة: "لو أنَّ أحداً أعاد شريط الفيديو الذي يُوثِّق اللحظات الأولى لتنفيذ صفقة شاليط، بإمكانه ملاحظة شخصٍ حادِّ الملامح، هادئ، وفي غاية الاستعداد لأيِّ طارئ، يمتلك عيوناً مليئةً بالإصرار، ويرتدي ملابس عصريَّةً جدًّا"، وتقول القناة: "إنَّ هذا الشَّخص هو رائد العطَّار".

ووصف ضابطٌ صهيونيٌّ (العطَّار) بقوله: "إنَّه أكثر من مجرَّد مُرْسِل (مخرِّبين)، إنَّه دماغ حماس العسكري والأمني، إنَّه رجلٌ يعمل باستقلاليَّةٍ تامَّة، ويتَّخذ قراراتٍ على عاتقه الشَّخصي، وسيأتي اليوم الذي سنُصفِّي حسابنا الطَّويل معه".

وتمضي القناة بالقول: "إلى أن ينجح الجيش الصُّهيوني والمخابرات في وضع حدٍّ لحياة العطَّار، سيواصل الأخير التَّخطيط لخطف جنودٍ صهاينة"، وتشير القناة إلى أنَّه في الأشهر الأخيرة نجح الجيش الصُّهيوني في اعتقال خليَّةٍ تابعة للعطَّار كانت تُحاول خطف أحد الجنود.


القائد / رائد العطار

وتشـير القنـاة لأنَّ دور العطَّار الحقيقي بـرز في بنـاء الجيل الرَّابع من مقاتلي القسَّـام: جيـل مـا بعـد الانسـحاب عـام 2005م، حيث شـهد هـذا الجيـل طفـرة نوعيَّـة، فقـد كان مـن الشَّـباب الذيـن سـنحت أمامهـم فرصـة الانتقـال مـن العمـل في مجموعـاتٍ محـدودة الأفـراد إلى بنـاء هيكليَّـةٍ عسـكريَّةٍ مُحكمـة التَّنظيـم، تحظـى بتسـليحٍ وتدريـبٍ جيِّديـن، إضافـةً إلى نقـل الخـبرات والمعـارف الجديـدة، الـتي حظـي بهـا المتدرِّبـون في الخـارج، وتَـرَافـق ذلـك مـع تأسـيس أوَّل كلِّيَّـةٍ عسـكريَّةٍ باسـم أكاديميَّـة صـلاح شـحادة، وقـد كان للعطَّار دورٌ مهـمٌّ في تكوينهـا.

يقـول أحـد الذيـن رافقـوه في خنـدق الجهـاد: كان أبـو أيمـن ذا شـعبيَّةٍ واسـعةٍ بـين مجاهـدي القسَّـام، وخاصَّـةً لـواء رفـح، وبرغـم أنَّـه مـن أهـمِّ المطلوبـين للاحتـلال، الذي اعـترف بمحاولـة اغتيالـه أربـع مـرَّاتٍ خـلال عـام 2008م، فإنَّـه تابـع بانتظـام تدريبـات المجاهديـن، وأشـرف عليهـا مباشـرةً، ولا سـيَّما وحـدات النُّخبـة، الـتي جـرى التَّركـيز على تطويرهـا عقـب نجـاح صفقـة وفـاء الأحرار.

كان العطَّار أكـثر مـن ركَّـز في تدريـب مجاهـدي النُّخبة علـى مهمات أسـر الجنود، فـكان مـن أجـلِّ توصياتـه لهـم تعلُّـم اللغـة العبريَّـة، ومـن ثَـمَّ التَّعـرُّف الى الخطـوات اللازمـة في حـال أسـر الجنـدي، كالدُّخـول في الصَّمت اللاسـلكي والتَّخلُّص من أيِّ وسـيلة تعقُّـبٍ إلكترونيَّـةٍ كتلـك الـتي تكـون مغروسـةً في جسـد كلِّ جنـديٍّ صهيـوني؛ تحـدِّد مكانـه.


القائد / العطار وبحوزته مضاد الطيران

الاستعداد للمواجهة



القائد/ رائد العطار

تمكَّنت فصائل المقاومة الفلسطينيَّة إبَّان معركة الفرقان من فرض معادلات المواجهة، حيث حقَّقت توازناً في الرَّدع، فقد غدا يعقب الدَّمُ الدَّمَ والقصفُ القصفَ، وقد يتعدَّى الأمر إلى فرض مواجهةٍ عسكريَّةٍ تمتدُّ بضعة أيَّام، ما دعا قادة الاحتلال إلى التَّفكير مليَّاً قبل الإقدام على أي عمل ضد المقاومة في غزة، فقد حرَّمت المقاومة الفلسطينيَّة على جيش الاحتلال الصُّهيوني محاولة اختراق السياج الفاصل أو المساس بحرمة الدَّم والوطن.

في الوقت الذي شغل فيه أبو أيمن اهتمام أجهزة الاستخبارات العسكريَّة، ورصد ومتابعة الإعلام الصُّهيوني الذي ما برح ينسب له أوصافاً شأنُها تجريمُه، كان القائد أبو خليل يعمل بصمت، ويُجهِّز للمرحلة القادمة.

فقد فطنت قيادة القسَّام لدقِّ طبول معركةٍ قادمةٍ لا محالة، ولا بدَّ من مضاعفة حجم إعدادها؛ وما يزيد الأمر ضراوةً استمرارُ فرض الحصار الذي طال أركان الحياة الغزِّيَّة، غير أنَّ وجود أبو خليل يُذلِّل كلَّ أمرٍ عسير، فهو صاحب التَّجارب في صناعة العجائب، فما أن أُوكل الأمر لأبي خليل، حتَّى جهَّز مع اخوانه خطَّةً إستراتيجيَّةً محكمة في إيجاد خطِّ الإمداد، حيث برع في إرداف القطاع بالأسلحة المتنوِّعة، فقد شهد ميدان القسَّام إدخال سلاح الكورنيت المضاد للدُّروع والآليَّات المصفَّحة، وكذا سلاح مضاد للطَّائرات.

كما نشط مهندسو كتائب القسَّام في إنتاج صواريخ بعيدة المدى، تصل إلى عمق تلِّ أبيب وما بعدها، بعد أن تعدَّدت خطوط الإمداد وتنوَّعت مصادر التسليح، وكان أثر ذلك واضحاً في معركة حجارة السِّجِّيل.

وبينما كان أبو خليل يتنقل بين خطوط الإمداد يُبهج القسَّام بفريد السِّلاح، كان أبو أيمن مُشعِل الفكر في تجهيز مرابض سلاح المدفعيَّة حديثة الأسلوب سابقة الأداء، فقد حظي بالإشراف على حفر الأنفاق، حيث تعلَّقت روحُه كما فكرُه بباطن الأرض، يشقُّ من ألوان تربها طريقه الأقصر في تحقيق النَّصر المظفَّر، فلم يعدم الوسيلة لبلوغ مبتغاه؛ لأنَّ سموَّ هدفه لا تحدُّه الإمكانات ولا المقدَّرات، خاصَّةً أنَّ معركة الأنفاق ترامت أهدافها وكانت الأكثر نجاعةً في مجابهة ترسانة جيش الاحتلال، كما حقَّقت أماناً وتواصلاً نسبيّاً بين المجاهدين خلال جولات مقارعة العدوِّ وفصول سجاله، فقد منحت المجاهدين فرصة تكتيكٍ عسكريٍّ لا تبلغه طائرات السَّماء المستطلعة ولا عيون الأرض المتعقِّبة، فإنَّ نسبة الأمان العالية التي حقَّقها هذا الأسلوب الحديث كان أدعى لاغتنامه في إعداد مرابض صاروخيَّة مهيَّأة الإطلاق، تخرج من باطن الأرض لتلوح أفق السَّماء بصواريخ 107 وقذائف الهاون وغيرها، فقد أبدع القائد أبو أيمن في تجهيز مرابض الصَّواريخ وإعداد كمائن الموت.

الطّير الأبابيل في معركة حجارة السِّجِّيل 2012م


القادة الشهداء

وطئت أقدام قادة القسَّام أبو أيمن وأبو خليل وأبو محمَّد الجعبري ثرى الوطن بعد أداء مناسك الحجّ، وبعد مرور أربعة أيَّام، هاتف أبو محمَّد أبا أيمن يحدِّثه: "إنَّ الوضع غير مطمئن"، فأجابه أبو أيمن: "أشتمُّ رائحة غدرٍ"، فردَّ أبو محمَّد: "نحسب أنَّ صحائفنا بيضاء مع ربِّنا، وها نحن نأخذ تدابير الحيطة والحذر، ويا مرحباً بالشَّهادة"، فبادره أبو أيمن: "صدقت، وهل أسمى من شهادةٍ بعد فريضة الحج؟!".

خرج القائد أبو أيمن من منزله في تمام السَّاعة التَّاسعة صباحاً، وكعادته فتح جهاز اللاسلكي، ليداهم سمعه تعميمٌ تبثُّه وحدة الإشارة في كتيبة "يبنا"، حيث

تحذِّر من تحليق طائرة استطلاعٍ في أجواء مخيَّم يبنا، فأعار انتباهه لتلك الطَّائرات، متَّجهاً لبيت رفيق دربه أبو خليل، ولكنَّ طائرةً أخذت تلاحقه، ومع وصول أبي أيمن لبيت أبي خليل الذي كان في ضيافته القائد أبو إبراهيم، بادر أبو إبراهيم الحديث مع أبي أيمن بقوله: "وكأنَّ طائرات العدو تقصدك"، فأجابه "توكَّل على الله فإنَّه خيرٌ حافظاً".



القائد/ رائد العطار

زادت طائرات الاستطلاع تركيزها على منزل أبي خليل حيث القادة الثَّلاثة، فتواصل أبو أيمن مع أحد المجاهدين لأخذ السَّيَّارة من أمام منزل أبي خليل، لحرف مسار طائرات الاستطلاع خلف السَّيَّارة، كما أدخل أبو خليل السَّيَّارات الموجودة ، فما لبث أن جلس حتَّى استلم إشارةً تفيد باستهداف سيَّارةٍ في مدينة غزَّة، أعقب ذلك نبأ اختراق طائرات (F16) الأجواء بطريقةٍ دائريَّةٍ غرب مدينة رفح، حيث استهدفت موقعاً عسكريّاً في خان يونس، في هذه الأثناء أعلن العدوُّ الصُّهيوني عن اغتيال القائد العطَّار، وفي خطوةٍ تكشف خديعة جيش الاحتلال التي تهدف إلى صدع الصَّفِّ الدَّاخلي وخلق حالةٍ من الاضطراب، طلب القائد أبو إبراهيم من القائد أبي أيمن أن يتواصل مع المجاهدين عبر جهاز الاتصال اللاسلكي يبثُّ خلالها رسائل شحذ الهمَّة ودحض الشَّائعة وحثِّهم على ضرورة الاستعداد.

هاتف القائد أبو أنس نائب قائد لواء رفح القائد أبو أيمن العطار؛ بغرض الاطمئنان على سلامته، فأخبره أنَّه بخير، غير أنَّه لا يستطيع الخروج من البيت؛ لشدَّة تحليق الطَّيران الحربي الذي يعتلي بيت أبي خليل، فما كان من أبي أنس إلَّا أن أجرى اتِّصالاً على المجاهدين، يطلب منهم تنظيم مسيرةٍ تضمُّ الرِّجال والنِّساء تتَّجه إلى محلِّ وجودهم؛ ليتمكَّن القادة الثَّلاثة من مغادرة المنطقة بسلام.

وعلى حين غرَّة تواروا عن الأنظار يردِّدون بضع آياتٍ من سورة يس، تاركين البيت مضلِّلين الطائرات العدوّ، ووسط حالةٍ من التَّهديدات الصُّهيونيَّة، شنّ الاحتلال عدَّة هجمات، أدَّت إلى ارتقاء العديد من الشهداء، وردَّت المقاومة الفلسطينيَّة بقصفٍ صاروخيٍّ على المناطق المحتلَّة القريبة من قطاع غزَّة، إلَّا أنَّ هذا الوضع ما لبث أن انفجر في 14 تشرين الآخر (نوفمبر) 2012م؛ عندما اغتالت طائرة استطلاعٍ صهيونيَّة القائد أحمد الجعبري.

وكرد فعلٍ أوَّلي على عمليَّة الاغتيال، قصفت كتائب القسَّام تل أبيب بصاروخٍ محلِّي الصُّنع قضَّ مضاجعهم وقلب معادلاتهم، وشّح بm75، تيمناً بالقائد الشهيد المفكر إبراهيم المقادمة، فقد أطلقت كتائب القسَّام على العمليَّة، عمليَّة (حجارة السِّجِّيل) في مواجهةٍ لعمليَّة (عمود السَّحاب) التي أعلنها الاحتلال في 14 تشرين ثاني (نوفمبر) 2012م.

تدخَّلت دولٌ عديدة؛ من أجل الضَّغط على القسَّام للقبول بالتَّهدئة، التي قابلها بالرَّفض؛ لأنَّه أراد الثَّأر لدماء الشَّهيد القائد أبي محمَّد الجعبري؛ حيث استمرَّ العدوان ثمانية أيَّام، توالى خلالها ردُّ كتائب القسَّام مع كلِّ ضربةٍ يبادر بها جيش الاحتلال بإطلاق صواريخ بعيدة المدى.

وضع الجيش الصُّهيوني ثلاثة أهدافٍ لعدوانه العسكري في غزَّة، تبدأ بالقضاء على مخازن الأسلحة، خاصَّةً الصَّواريخ طويلة المدى، بما يضمن تهدئةً لمدة طويلة، واستمرار الاغتيالات، وإيجاد قوّة ردع.

انقضت أيام العدوان الصُّهيوني الثَّمانية، بعد التَّوصُّل إلى اتِّفاق تهدئةٍ بوساطةٍ مصريَّة أطلق عليها (تفاهمات خاصَّة بوقف إطلاق النَّار في قطاع غزَّة) يوم الأربعاء 21 تشرين الآخر (نوفمبر) 2012م.

وقد أظهرت المقاومة الفلسطينيَّة خلال تلك الجولة من العدوان الصُّهيوني كفاءةً كبيرةً في الأداء، فعمليَّات إطلاق الصَّواريخ باتت أكثر حِرَفيَّة، واتَّبعت المقاومة

أساليب جديدةٍ في التَّمويه والتَّخفِّي، فمن خلال استخدام الأنفاق، استطاعت أن تُقلِّل عدد الإصابات في صفوفها، وباتت عمليَّات إطلاق الصَّواريخ أكثر أمناً، بعد تجنُّب انكشافها بطائرات التَّجسُّس الصُّهيونيَّة.

أشارت الإحصائيَّات الصُّهيونيَّة إلى أنَّ أكثر من ألفٍ وخمسمائة صاروخٍ أُطلقت من قطاع غزَّة تجاه الأراضي المحتلَّة عام 1948م، خلال العدوان على قطاع غزة.

وقد أشرف القائدان أبو خليل وأبو أيمن على عمليَّات إطلاق الصَّواريخ تُجاه المغتصبات المحيطة بالقطاع ومنها:

حصاد المهمات الجهادية			
	المهمة	السلاح المستخدم	تاريخ المهمة
1	قصف موقع إسناد صوفا، وقاعدة التَّنصُّت الصُّهيونيَّة 8200	6 صاروخ 107، و3 صواريخ غراد	14 نوفمبر 2012م
2	قصف موقع الاستخبارات.	8 صواريخ كاتيوشا	14 نوفمبر 2012م
3	قصف موقع نيرإسحاق.	5 صواريخ كاتيوشا	14 نوفمبر 2012م
4	قصف موقع بئيري، وموقع نير إسحاق، وموقع ريعيم، و موقع الاستخبارات (الجوَّالة الصَّحراوي)	52 صاروخ قسَّام	15 نوفمبر 2012م
5	قصف موقع مدفعية نيريم، و موقع نيرعوز	6 قذائف هاون، و 8 قذائف هاون	15 نوفمبر 2012م

6	قصف موقع إسناد صوفا	29 صاروخ كاتيوشا، و 14 صاروخ قسَّام	15 نوفمبر 2012م
7	رشق مواقع صوفا والعين الثَّالثة ونيريم وريعيم وكيسوفيم ومجمَّع مفتاحيم.	39 صاروخ 107، و16 صاروخ قسَّام	15 نوفمبر 2012م
8	قصف موقع ريعيم، وكيبوتس صوفا	8 صواريخ قسَّام	16 نوفمبر 2012م
9	قصف موقع نيرإسحاق ومفتاحيم وميغن ونيريم، و موقع مفتاحيم	36 صاروخ قسَّام، و6 صواريخ 107، و 3 صواريخ غراد	16 نوفمبر 2012م
10	رشق العين الثَّالثة ونيريم وريعيم	6 صواريخ 107، و4 قذائف هاون	16 نوفمبر 2012م
11	قصف موقع ريعيم	5 قذائف هاون، 6 صواريخ 107	17 نوفمبر 2012م
12	قصف موقع إسناد صوفا	6 صواريخ 107	17 نوفمبر 2012م
13	استهداف التَّحشُّدات العسكريَّة داخل موقع إسناد صوفا، وموقع إسناد صوفا	12 صاروخ كاتيوشا، و6 صواريخ 107	18 نوفمبر 2012م
14	قصف موقع كرم أبو سالم وإسناد صوفا	7 صواريخ كاتيوشا، و10 صواريخ قسَّام	18 نوفمبر 2012م
15	قصف موقع نيرإسحاق، و موقع بئيري	8 صواريخ قسَّام	18 نوفمبر 2012م
16	قصف موقع العين الثَّالثة، وموقع نيريم	12 صاروخ 107	18 نوفمبر 2012م

17	قصف مواقع ريعيم وبئيري.	4 صواريخ قسَّام	18 نوفمبر 2012م
18	قصف مواقع ريعيم، و موقع العين الثَّالثة	10 صواريخ 107	19 نوفمبر 2012م
19	قصف موقع حوليت، و موقع الاستخبارات، و موقع مفتاحيم	12 صاروخ قسَّام	19 نوفمبر 2012م
20	قصف موقع يفول، و موقع حوليت	6 صواريخ قسَّام	20 نوفمبر 2012م
21	قصف مواقع ريعيم، وموقع مفتاحيم	8 قذائف هاون، وصاروخي غراد	20 نوفمبر 2012م
22	قصف موقع العين الثَّالثة، و موقع إسناد صوفا	5صواريخ 107، و 6 صواريخ كاتيوشا	20 نوفمبر 2012م
23	قصف موقع العين الثَّالثة، و موقع نيرإسحاق، و موقع بئيري	4 صواريخ 107، و 3 صواريخ كاتيوشا، و3 صاروخ قسَّام	21 نوفمبر 2012م
24	قصف موقع إسناد صوفا، و موقع مفتاحيم	6 صواريخ 107، و2 صاروخ غراد	21 نوفمبر 2012م
25	قصف قاعدة التَّنصُّت الصُّهيونيَّة 8200	2 صاروخ غراد، و2 قذيفة هاون	21 نوفمبر 2012م


القادة الشهداء

وما أنْ وضعت الحرب أوزارها حتَّى تواصل القائدان أبو أيمن وأبو خليل مع المجاهدين؛ يبثَّان إليهم تهنئة السَّلامة المزوجة بشذا النَّصر المبين، حيث قاما بجولةٍ طافا خلالها على بيوت عوائل الشُّهداء، وأصحاب البيوت المهدَّمة جرَّاء العدوان الصُّهيوني، وحاولا تقديم العون لهم، فكان لتلك الزِّيارات عظيم الأثر في نفوس العوائل، سيَّما أنَّهما آثرا جولة الزِّيارات قبل ذهابهما إلى عائلتيهما.

لقد مثَّل استشهاد القائد أبي محمَّد الجعبري خسارة لكتائب القسَّام، وعبئاً جديداً يُضاف إلى كاهل القائدين أبو أيمن وأبو خليل، حيث تولَّى القائد أبو خليل الملفَّ الإعلاميَّ خلَفاً للقائد أبي محمَّد الجعبري.

إضافةً لكوْنه يتقلَّد مسؤوليَّة الإمداد، وقيادة ملف التخصصات الميدانية داخل الألوية القسامية، كما تولَّى أبو أيمن نائب قائد الإمداد أبو خليل، إلى جانب تولِّي قيادة لواء مدينة رفح، بالإضافة لقيادة ملف الاتِّصالات، التي حقَّقت دوام التَّواصل بين مجاهدي كتائب القسَّام طيلة أيَّام المعركة، ومن ثَمَّ حُسْن تقدير الموقف وإدارة المعركة.



القائد/ رائد العطار

وبعد سلسلة النَّجاحات التي برع القائد أبو أيمن في إحرازها بجدارةٍ ولطالما تحلَّى بها، أوكلت قيادة كتائب القسَّام له مهمَّة متابعة مشروع إنتاج الطائرات المسيرة، فقد أولى بالغ الاهتمام لإتمام ذلك المشروع، حيث كان دؤوباً يتابع المهندسين، ويوجِّه العاملين، إلى أن حقَّق نجاحاً باهراً،

وتمكَّن من إصدار نماذج طائرة الأبابيل بنجاح عظيم، فقد قُطِفت ثمرتها خلال مفاجآت معركة العصف المأكول عام 2014م، كما استُخدمت لتنفيذ مهمات جهاديَّةٍ عديدة.



القائد / رائد العطار وبجوزته طائرة اتسطلاع

تجلَّت همَّة القائدين أبو أيمن وأبو خليل في حياكة نصرٍ أكيد، فقد سارا بعزَّةٍ لا تنكفئ وبشعلةٍ لا تنطفئ، يقفزان فوق عقارب الزَّمن، يقطعان ساعاته بين إعدادٍ وجهاد، يسموان بقدرات كتائب الشهيد عز الدين القسَّام؛ التي غدت تواكب تراكم القوى وميدان المواجهة، فالمعركة مفتوحةٌ ومتواصلة، والتَّحدِّي يزدادُ اتِّساعاً مع ازدياد قوَّة كتائب القسَّام؛ فقد تداعت الحشود وتضافرت الجهود للفتك بآلة العزف التي يترنَّم بها العدو (أسطورة الجيش الذي لا يُقهر).

المبحث الثاني

شهداء الفجر . . . بزوغ النصر

(2014)

تمهيد

عقب تشكيل حكومة الوفاق الفلسطينيَّة برئاسة رامي الحمد الله في 2 يونيو 2014م، قرَّر المجلس الوزاريُّ الصُّهيوني المصغَّر للشُّؤون الأمنيَّة والسِّياسيَّة عدم إجراء أيِّ مفاوضاتٍ مع الحكومة الفلسطينيَّة الجديدة. وعقب اختفاء ثلاثة صهاينة من مغتصبة غوش عتصيون القريبة من الخليل في 12 يونيو 2014م، استغلَّ نتنياهو ذلك؛ للتَّحريض على اتِّفاق المصالحة وحكومة الوفاق، قائلاً: "إنَّ التَّحالف الذي عُقد بين (أبو مازن) وحماس يفتح الباب لسلب حماس السُّلطة الفلسطينيَّة، والسَّيطرة على الضِّفَّة الغربيَّة".

عثرت سلطات الاحتلال على جثث المغتصبين الثَّلاثة في 30 يونيو 2014م قرب حلحول شمال الخليل، ليصرِّح نتنياهو: "إنَّ حركة حماس مسؤولةٌ عن مقتل المغتصبين، وستدفع ثمن ذلك"، حيث جعل من هذه المزاعم ذريعةً لتحقيق مكاسبه السِّياسيَّة، ومن ثَمَّ الخروج بسياسة تعميم العقاب، حتَّى سارع المجلس الوزاري الصُّهيوني المصغَّر(الكابنيت) إلى استدعاء أربعين ألف جنديٍّ احتياط، خطوةً عمليَّةً للسَّير تُجاه عمليَّةٍ عسكريَّةٍ قد بانت أشراطها.

واكبت هذه الظُّروف شن سلاح الجوِّ الصُّهيوني أربعاً وثلاثين غارةً جوِّيَّةً على قطاع غزَّة في الأوَّل من يوليو 2014م، الأمر الذي أثار غضب المقاومة الفلسطينيَّة، غير أنَّها لم تعبأ بخطوات الاستدراج، لكنَّها وجَّهت رسائل الاستعداد للمواجهة، ورفضها أيَّ محاولة إيغالٍ في الدَّم الفلسطيني، لكنَّ جيش الاحتلال نفَّذ في السَّابع من يوليو 2014م تسع غارات؛ أدَّت إلى استشهاد سبعة مجاهدين من كتائب القسَّام، وكان لهذه العمليَّة هدفان؛ أحدهما إستراتيجي والآخر تكتيكي، تمثَّل الهدف الإستراتيجي في نزع سلاح المقاومة من القطاع، وهو أمرٌ طرحه نتنياهو في 15 يوليو 2014م بدقة وتركيز، وأما الأهداف التَّكتيكيَّة تمثَّلت في تأزيم الوضع الدَّاخليِّ الفلسطيني بعد أن لاحت احتمالات تطوُّر المصالحة الفلسطينيَّة، ومعرفة قدرات المقاومة، واختبار التَّوجُّهات الإستراتيجيَّة للنِّظام المصريِّ الجديد بعد الإطاحة بحكم الرَّئيس مرسي.

تهاوي الطُّغيان أمام عصف القسَّام (معركة العصف المأكول 2014م)

تعاقبت ضربات جيش الاحتلال الصُّهيوني التي أخذت تبطش بأهالي القطاع، تمهيداً لحملةٍ عسكريَّةٍ دقَّت طبولها أسماع صُنَّاع القرار، فما أن حلَّ السابع من يوليو 2014م حتَّى بادر الاحتلال الصُّهيوني لخوض عمليَّةٍ عسكريَّةٍ ضد قطاع غزَّة، وقال مسؤولون صهاينة: "إنَّها ستستهدف مقدَّرات المقاومة الفلسطينيَّة، ردًّا على استمرار إطلاق الصَّواريخ تُجاه البلدات الإسرائيليَّة".

وكعادة قوَّات الاحتلال أخذت ترتكب العديد من المجازر، التي تُنافي قواعد القانون الدَّولي الإنساني، فأمعنت في القتل، غير مكترثةٍ بكبيرٍ قاعدٍ أو صغيرٍ قاصر، حيث اخترقت الحدود تبطش بالعزل وتهدم المنشآت، تُشرِّد العوائل، وتعتقل الشَّباب، ولم تتردّد في قصف المنازل على رؤوس ساكنيها، وقد تعاقبت منها جرائم قتل الأطفال والنِّساء، واستهداف الطَّواقم الطِّبِّيَّة والصَّحفيَّة.

واصلت قوَّات الاحتلال الصُّهيوني تدمير الممتلكات والأعيان المدنيَّة في القطاع، وقد بلغت ذروتها خلال العدوان بشكلٍ لم يشهده القطاع منذ احتلاله في حزيران (يونيو) 1967م، فدمَّرت عشرات آلافٍ من المنازل السَّكنيَّة، والمنشآت العامَّة؛ الحكوميَّة منها والأهليَّة، والمنشآت الاقتصاديَّة، والصِّناعيَّة، والزِّراعيَّة، والصِّحِّيَّة، والتَّعليميَّة، والثَّقافيَّة، وغيرها، وقد بلغ إجمالي الشُّهداء خلال العدوان الصُّهيوني عام 2014م ألفين ومائةً وخمسين شهيداً، وأُصيب عشرات الآلاف.

وخلال يوميات العدوان العسكري دمَّرت قوَّات الاحتلال الصُّهيوني (31.979) منزلاً، منها 8381 دُمِّرت كلِّيّاً، و23.598 دُمِّرت جزئيّاً. وبلغ عدد الأسر المتضرِّرة في المنازل السَّكنيَّة التي استهدفها الاحتلال جزئيّاً أو كليّاً 43.789 أسرة.

كما ألحقت قوَّات الاحتلال الصُّهيوني دماراً هائلاً في المنشآت المدنيَّة في القطاع خلال العدوان الصُّهيوني على القطاع عام 2014م، حيث دمَّرت 461 منشأة مدنيَّة، منها 134 منشأةً دُمِّرت كلِّيّاً، و327 منشأةٍ دُمِّرت جزئيّاً، منها: المستشفيات،

والمساجد، والكنائس، والبنوك، والمؤسَّسات الأهليَّة، والمدارس، ورياض الأطفال، والكلِّيَّات، والجامعات، ومراكز الشُّرطة، والمراكز الرِّياضيَّة، فلا يكاد يخلو منزلٌ، أو مؤسَّسةٌ، أو بنايةٌ في قطاع غزَّة من أضرارٍ وتصدُّعاتٍ تعرَّضت لها؛ جرَّاء القصف الكثيف والمتكرِّر طوال اثنين وخمسين يوماً من العدوان على القطاع، كما وألحقت قوَّات الاحتلال الصُّهيوني خلال عدوانها أضراراً بالعديد من المنشآت الصِّناعيَّة والتِّجاريَّة والزِّراعيَّة؛ فقد دمَّرت 225 منشأةً صناعيَّة، و1578 منشأةً تجاريَّة، و1097 منشأةً زراعيَّة، وجرّفت 11،169،164 متراً مربَّعاً من الأراضي الزِّراعيَّة.

كذلك ألحقت أضراراً بالعديد من المنشئات الدينية والثَّقافيَّة، خاصَّةً المساجد، حيث دمَّرت 73 مسجداً تدميراً كاملاً، وتضرَّر 197 مسجداً بأضرارٍ جزئيَّة، كما استهدف الاحتلال 8 مقابر، وأكثر من 40 بيتاً أثريّاً قديماً، والمقرَّات الحكوميَّة، حيث دمّر 22 مقرًّا شُرطيّاً، و20 مؤسَّسةً إعلاميَّة، ولحق الضَّرر بـ 187 مدرسةً حكوميَّة، و91 مدرسةً لوكالة الغوث الأونروا، و12 مؤسَّسة تعليمٍ عالٍ، و49 مدرسةً خاصَّة، و199 روضة أطفال، كما استهدفت 64 جمعيَّةً أهليَّة.

مدينة القائدين في مواجهة العدوان

مع استلام إشارة الجهوزيَّة الميدانيَّة أوعز القائد رائد العطَّار إلى مجاهدي القسَّام في رفح برفع حالة الجهوزيَّة الكاملة للمعركة، حيث استعدَّ المجاهدون للمواجهة، فكمنوا في مواقع رباطهم، وتجهَّزت وحدات النُّخبة القسَّاميَّة، وسلاح المدفعيَّة منذ أن لاحت غارات الاحتلال الصُّهيوني.

وصدر قرارٌ من المجلس العام لكتائب القسَّام بالعمل وفق خطَّة الطَّوارئ ودرجات الاستنفار، فتولَّى أبو أيمن مهمَّة متابعة تنفيذ تلك القرارات والتَّثبُّت من العمل بمضمونها، بغرض ضبط الحالة وحُسْن تقدير الموقف والاحتراز من محاولات غدر العدو.

كما تابع القائدان أبو أيمن وأبو خليل العمل لحظةً بلحظة يخوضان في تفاصيل الأمور عظيمها ودقيقها، حيث برعا في إدارة المعركة ومتابعة المجاهدين.

ومن أبرز العمليَّات التي أشرفا عليها خلال معركة العصف المأكول:

حصاد المهمات الجهادية			
	المهمة	السلاح المستخدم	تاريخ المهمة
1	تفجيرنفقٍ أسفل موقع كرم أبو سالم العسكريِّ الصُّهيوني.	3 عبوات برميلية	8 يوليو 2014م
2	قصف مغتصبات: نيرإسحاق، وصوفا، ومفتاحيم، وياتيد.	31 صاروخ قسَّام.	8 يوليو 2014م
3	قصف موقع كرم أبو سالم ومحيط البرج الأحمر ومغتصبة مفتاحيم.	13 صاروخ 107، و3 صواريخ قسَّام.	9 يوليو 2014م
4	قصف موقع كرم أبو سالم، وموقع إسناد صوفا، وموقع النَّصب التذكاري.	22 صاروخ 107.	10 يوليو 2014م
5	قصف موقع إسناد صوفا، والبرج الأحمر، ومغتصبة مفتاحيم.	8 قذائف هاون 120، و 10صواريخ غراد.	12 يوليو 2014م
6	استهداف حشودات عسكريَّة بموقع إسناد صوفا.	6 صواريخ 107.	13 يوليو 2014م
7	استهداف حشودات عسكريَّة شرق رفح.	3 صواريخ 107.	14 يوليو 2014م
8	قصف مغتصبة أشكول.	قذيفتا هاون.	15 يوليو 2014م
9	استهداف حشودات عسكريَّة داخل موقع كرم أبو سالم، ومغتصبة مفتاحيم.	قذيفتا هاون، وصاروخ 107، و3 صواريخ قسَّام.	16 يوليو 2014م

10	قصف موقع إسناد صوفا، وموقع كرم أبو سالم.	6 صواريخ 107، وقذيفتا هاون 120 ملم.	17 يوليو 2014م
11	استهداف حشودات عسكريَّة شرق رفح، وأخرى في منطقة مطار غزَّة.	4 صواريخ 107، وقذيفة هاون 120ملم.	18 يوليو 2014م
12	استهداف دبابة ميركافا في مطار غزَّة، وناقلة جند في منطقة أبو سنيمة، وأكد المجاهدون إصابة الناقلة واشتعال النار فيها	قذيفة RPG، وقذيفة تاندوم،	19 يوليو 2014م
13	قصف تجمع للآليات والجنود، وحشودات عسكريَّة في منطقة المطار، ومنطقة الجرادات	10 قذائف هاون 120.	19 يوليو 2014م
14	قصف مغتصبة حوليت ومغتصبة مفلاسيم وريعيم.	3 صاروخ 107، وقذيفة هاون عيار 120، و6 صواريخ قسَّام.	21 يوليو 2014م
15	قصف تجمّع للجنود والآليَّات في موقع إسناد صوفا، وشرق مطار غزَّة، ومبنى تتحصنّ فيه قوة خاصة في مطار غزَّة	11 صاروخ 107، و9 قذيفة هاون عيار 120	21 يوليو 2014م
16	قصف محطة الغاز في عرض البحر، وكيبوتس صوفا، وبئيري، ومجمع أشكول، وإسناد صوفا.	صاروخ قسَّام وآخر غراد، و5 صواريخ 107، و6 قذائف هاون.	23 يوليو 2014م
17	قصف موقع كرم أبو سالم.	11 قذيفة هاون عيار 120	25/27 يوليو 2014م
18	استهداف حشودات عسكريَّة داخل موقع كرم أبو سالم.	4 قذائف هاون	29 يوليو 2014م

19	استهداف موقع صوف، وحشودات عسكرية في محيط موقع كرم أبو سالم	4 قذائف هاون، صاروخ 107	30 يوليو 2014م
20	قصف موقع كرم أبو سالم.	2 قذيفة هاون عيار 120.	31 يوليو 2014م
21	تسلل المجاهدين خلف القوَّات المتوغِّلة بمنطقة أبو الرُّوس شرق رفح، واستهدفوا قوَّة متحصِّنة في إحدى المنازل	-	1 أغسطس 2014م
22	استهداف حشودات عسكريَّة شرق رفح.	5 قذائف هاون.	2 أغسطس 2014م
23	استهداف قوَّة راجلة، وتجمُّع للآليَّات بمنطقة الرَّيَّان، ومنطقة أبو الرُّوس شرق رفح.	3 قذائف هاون، و8 صواريخ 107.	3 أغسطس 2014م
24	استهداف حشودات عسكريَّة داخل موقع صوفا.	15 صاروخ 107.	4 أغسطس 2014م
25	استهداف الآليَّات المتوغِّلة في منطقة الرَّيَّان، وحشودات عسكريَّة وتجمُّع للآليَّات في منطقة مطار غزَّة	5 قذائف هاون، و3 صواريخ 107	20 أغسطس 2014م
26	قصف موقع راعيم، وكيبوتس نيرإسحاق، ومجمُّع أشكول، وكرم أبو سالم، ومحطَّة الغاز "نوعا" في عرض البحر.	7 صواريخ قسَّام، و5قذائف هاون	20 أغسطس 2014م

27	استهداف تجمُّعٍ للآليَّات شرق مطار غزَّة، ومجمَّع أشكول، وموقع ريعيم، وموقع فجا، وموقع كرم أبو سالم، وموقع صوفا العسكري.	18 قذيفة هاون عيار 120، و14 صاروخ 107.	22 أغسطس 2014م
28	قصف موقع كرم أبو سالم، ومغتصبة ياتيد، ونيريم، ومجمَّع أشكول، ونيرإسحاق، ومفتاحيم، وبئيري، ومفلاسيم، وقاعدة راعيم.	7 قذائف هاون عيار 120، و11 صاروخ 107، و5 صواريخ غراد، و5 صواريخ قسَّام.	24 أغسطس 2014م
29	قصف مغتصبة حوليت.	2 صاروخ 107.	25 أغسطس 2014م
30	استهداف موقع وكيبوتس كرم أبو سالم، وكيبوتس حوليت.	7 صواريخ 107، و14 قذيفة هاون.	26 أغسطس 2014م

بذلك يتَّضح أنَّ كتائب القسَّام -بقيادتها- في مدينة رفح كانت تمطر المغتصبات الصُّهيونيَّة، والحشودات العسكريَّة، والمواقع المهمَّة بالصَّواريخ والقذائف بوتيرةٍ متوازنة، تقضُّ مضاجعهم، وتمنع استقرارهم، فقد قتلت وجرحت منهم الكثير، وقد استطاعت القسَّام مواصلة إطلاق الصواريخ بالوتيرة ذاتها منذ اندلاع المعركة وحتى النهاية.

العمليَّات العسكريَّة في مدينة رفح خلال معركة العصف المأكول

عمليَّة صوفا 17/7/2014م:



عملية صوفا

مع بزوغ فجر يوم السَّابع عشر من يوليو (تموز) 2014م، وفي تمام السَّاعة الرَّابعة والنِّصف صباحاً تواترت أنباءٌ عاجلة لمسامع القائد رائد العطَّار، تفيد بقدوم أربعة جيبَاتٍ عسكريَّة من مسافة أربعة كيلو مترات، تتَّجه نحو أحد الأنفاق؛ فأصدر أمراً لأحد مساعديه العسكريِّين بأن يُخرِج مجموعةً مكوَّنةً من أحد عشر مجاهداً من قوَّات النُّخبة؛ للقيام بتسلُّلٍ خلف خطوط العدو محيط منطقة الرَّيَّان داخل منطقة بوَّابة صوفا؛ بهدف الاستطلاع، ومن ثمَّ تنفيذ مهمَّة صدٍّ ومنعٍ للجيبَات العسكريَّة الصُّهيونيَّة القادمة، ترجَّل رجال قوَّات النُّخبة يمتشقون السِّلاح يتَّجهون نحو ساحة النِّزال، فما أن وصلوا حتَّى بادروا بالانتشار في محيط النَّفق، وألسنتهم تلهج بذكر الله، وباشروا مهمَّة الاستطلاع والرَّصد للجيبَات القادمة نحوهم، حيث شاهدوا الجيبَات العسكريَّة، وهي تقترب من النَّفق.

مكثت قوَّة النُّخبة قرابة ربع ساعة، وهي منتشرةٌ تكمن في محيط النَّفق، وترصد آليَّات العدوِّ وجيباته؛ في هذه الأثناء تسلَّل إلى قائد مجموعة النُّخبة بادرة شكٍّ أنَّ العدوَّ اكتشف أمرهم، حيث أطفأت تلك الجيبَات أضواءها، واختفت خلف الأحراش، كما وتقدَّمت تُجاههم العديد من الدَّبَّابات.

اتَّصل قائد المجموعة بالقائد أبي أيمن، وأخبره بما حدث؛ فأمره بالانسحاب قائلاً: "أنا لا أريد أن أرسل استشهاديِّين دون تحقيق أثرٍ أو جدوى"، فقد تميَّز أبو أيمن بحنكته العسكريَّة. فانسحب أفراد المجموعة إلى داخل النَّفق، وحاولت طائرات الاستطلاع استهدافهم أثناء دخولهم عين النَّفق، ولكنَّ الله حفظهم جميعاً.

غير أنَّ المجاهد الأخير كان قد أصيب إصابةً طفيفة، ثمَّ بعد ذلك فجّروا عين النَّفق؛ حتَّى لا يتتبَّع العدوُّ أماكنهم، وفي تمام السَّاعة الواحدة والنِّصف ظهراً من اليوم نفسه، بدأ سريان التَّهدئة الأولى، التي كانت لساعاتٍ محدودة، حيث صرَّح الجيش الصُّهيوني عبر وسائل إعلامه أنَّ التَّهدئة لا تشمل المقاومين؛ فردَّ المجاهدون في لواء رفح على ذلك بتفجير عبوَّةٍ شديدة الانفجار في إحدى آليَّات العدوِّ المتوغِّلة في رفح؛ فأصيب عددٌ من الجنود الصَّهاينة، وقُتل جندي، وأعلنت كتائب القسَّام عن تنفيذ العمليَّة، وأطلقت عليها اسم عمليَّة استطلاعٍ بالقوَّة(1).

في حينها زعم الاحتلال الصُّهيوني أنَّه أوقع منفِّذي العمليَّة بين قتلى وجرحى. ناشراً أحد الفيديوهات المدبلجة المفبركة، ولكنَّ كتائب القسَّام أكَّدت في حينها أنَّ جميع منفِّذي العمليَّة عادوا إلى قواعدهم بسلام دون إصابات، وهو الأمر الذي اضطرَّ العدوُّ للتَّراجع، والاعتراف بذلك.

عمليَّة الرَّيَّان:

تسلَّلت مجموعةٌ من قوَّات النُّخبة القسَّاميَّة عبر نفقٍ خلف خطوط العدوِّ في منطقة الحصينات شرق مدينة رفح، بتاريخ 19 يوليو 2014م، بعد تواصل القائد رائد العطَّار مع أحد قادة كتائبه، وأبلغه بضرورة إدخال مجموعةٍ من قوَّات النُّخبة داخل أحد الأنفاق تُجاه إحدى عيون النَّفق؛ لتنفيذ مهمَّةٍ عسكريَّة، ففوجئ المجاهدون أنَّ عين النَّفق قد فتحها الجنود الصَّهاينة قبلهم، فشعر المجاهدون بوجود كمينٍ مُعدٍّ لهم.



المجاهدون أثناء تنفيذ عملية الريان

(1) عملية الاستطلاع بالقوة: هو مصطلح عسكري يقصد به أداء عمليات مسح ابتدائية لجمع المعلومات، وخاصة المعلومات العسكريَّة عن قوَّات العدو ومواقعها وقدراتها، بالإضافة إلى خصائص الأرض وحالة الطقس وذلك من خلال الملاحظة المباشرة. كما أن مهمات الاستطلاع استكشاف وتحديد أماكن تجمعات العدو.



العبوات المستخدمة في عملية الريان

فعادوا أدراجهم متَّجهين إلى عيْنٍ أخرى مجاورة، حيث كانت تلك العين تقع في منتصف مكانٍ تتمركز به آليَّاتٌ للعدو، وبعد دراسةٍ فاحصةٍ أجراها المجاهدون للمنطقة؛ اعتقدوا أنَّ الجنود قد يعتلون إحدى المنشآت، فاستخدم المجاهدون حيلةً عسكريَّة بغرض التَّثبُّت من ذلك، فذهب أحدهم إلى عين النَّفق التي كان الجنود قد اكتشفوها وفتحوها.

وصل المجاهد إلى العين المكشوفة ورفع ثياباً باستخدام عصا من عين النَّفق، فأطلق الجنود المتمركزون في منزل مجاور النَّار بكثافةٍ نحو عين النَّفق، فتيقَّن حينها المجاهدون أنَّ القوَّات الخاصَّة وكذلك القنَّاصة يعتلون ذلك المنزل؛ فأعاد المجاهدون تشكيل خطَّتهم، حيث باغتوا القوَّات الخاصَّة والقنَّاصة من عينٍ ثالثة، ليبادر أحد المجاهدين بإطلاق قذيفة تاندوم تُجاه إحدى الآليَّات؛ فأصابها إصابةً مباشرة، كما فتح المجاهدون نيران رشَّاشاتهم تُجاه الجنود الصَّهاينة المتحصِّنين في المنزل من نقطة صفر، فقد استغرقت المهمَّة خمس عشرة دقيقةً متواصلةً، وبعد أن تمكَّن المجاهدون من الجنود الصَّهاينة انسحبوا إلى عين النَّفق بأمانٍ وسلامٍ.

وفي اليوم ذاته، وامتداداً لتلك العمليَّة، تواصل القائد رائد العطَّار مع أحد مساعديه في منطقة الرَّيَّان، وأبلغه بضرورة إنزال قوَّةٍ من وحدات النُّخبة؛ لورود معلوماتٍ مؤكَّدة تفيد بتوغُّل عددٍ من الآليَّات العسكريَّة، تُرافقها الآليَّات الهندسيَّة والحفَّارات؛ بهدف البحث عن الأنفاق، وعلى وجه السُّرعة تمَّ إرسال مجاهدي قوَّات النُّخبة؛ لمتابعة الأمور عن كثب، حيث خرج المجاهدون من عين النَّفق وتمكَّنوا من التَّسلُّل عبر الأشجار إلى مكان حشودات آليَّات العدو، ومع اقترابهم شاهدوا مجموعةً كبيرةً من الجنود الصَّهاينة يقتربون من كوخٍ خشبي، فما أن وصل المجاهدون نقطة الصِّفر من الجنود الصَّهاينة حتَّى باغتوهم بإطلاق وابلٍ كثيفٍ من النَّار، فأصابت رصاصات أحد المجاهدين جمجمة جنديٍّ فأردته قتيلاً على الفور.

كما أصيب جنديَّان آخران في أنحاء مختلفةٍ في جسديهما، حتَّى فرغت ذخيرة المجاهد الأوَّل ليغطي الآخر عليه بصورةٍ عسكريَّةٍ تكتيكيَّة وتمكَّن من الانسحاب، وبهذه الوتيرة تمكَّن المجاهدون من مغادرة المكان إلى عين النَّفق حيث خطُّ الانسحاب، وقد سارع العدو إلى محاولة تبديد نصر المجاهدين، حيث بادر بإحضار العديد من الآليَّات الهندسيَّة والحفَّارات؛ في محاولةٍ لتدمير عين النَّفق، غير أنَّ المجاهدين كانا قد فخَّخا عين النَّفق ثمَّ قاما بتفجيرها، وخلال خوض غمار هذه المعركة أكَّد أحد المجاهدون مقتل خمسة جنودٍ بالرَّصاص ثلاثةٌ في الرَّأس، واثنان في مناطق مختلفةٍ من الجسم، وعاد المجاهدون بسلام.

عمليَّة أسر الضابط هدار غولدن[1]:

أمام تلك الانتصارات التي تُسطِّرها المقاومة وكتائب القسام، عَكَفَ القائد رائد العطَّار على التَّخطيط لتنفيذ عمليَّةٍ نوعيَّةٍ، بحيث تُكبِّد العدوَّ المتوغِّل في رفح خسائر فادحة، وفي رسالةٍ صريحة أوعز لقوَّات النُّخبة أنَّه يريد أسر جنود.



الضابط الصهيوني / هدار غولدن

شهد يوم 31 يوليو 2014م، وهو اليوم الثَّالث والعشرون للعدوان الصُّهيوني على قطاع غزَّة، التَّوصُّل لتهدئةٍ إنسانيَّةٍ من قلب القاهرة، وبرعاية الأمم المتَّحدة تبدأ السَّاعة الثَّامنة من صباح الأوَّل من أغسطس 2014م، ومع دخول التَّهدئة حيِّز التَّطبيق شهدت المناطق الشَّرقيَّة من رفح عودة المئات من سكَّانها؛ ليتفقَّدوا مساكنهم ومزارعهم بعد أن نزحوا عنها قسراً؛ جرَّاء القصف العنيف طيلة أيَّام العدوان، لكن وبعد ساعةٍ ونصفٍ من بداية التَّهدئة انقلبت الأمور رأساً على عقب.

(1) هدار غولدن: هو ملازم أول بلواء جفعاتي في الجيش الصُّهيوني، وهو نجل ابن خال موشي يعلون -وزير الحرب الصهيوني- اختفى في منطقة رفح في قطاع غزَّة، أثناء العدوان على غزَّة 2014، وقال موشيه يعالون "لـ"غانتس" إن "غولدن" يكون نجل ابن خاله، ودعاه إلى إبعاد أي شكوك بوجود قرابة كهذه حتَّى لا تستغلها حركة حماس لمصلحتها.

تحوَّلت منطقة شرق رفح إلى مسرح تصعيدٍ صهيونيٍّ شديدٍ دون سابق إنذار، حيث نتج عن هذه الهمجيَّة استشهاد نحو مائةٍ وأربعين شهيداً، وإصابة المئات في يومٍ أُطلق عليه (الجمعة السَّوداء)، فقد اتَّهم الجيش الصُّهيوني كتائب القسَّام باختراق التَّهدئة، وأسْر أحد ضُبَّاطها، وهو الملازم أوَّل (هدار غولدن)؛ وزعمت أن هذا ما دفعها إلى ذلك الرَّدِّ الجنوني، وعلى إثر ذلك حدثت مناوراتٌ إعلاميَّة، أخذت صداها المحلِّي والإقليمي والدَّوْلي، وكانت على النَّحو التَّالي: حاولت وسائل الإعلام الصُّهيونيَّة أن تؤكِّد صحَّة روايتها؛ كي تبرِّر عدوانها الهمجي والوحشي العشوائي، الذي تسبَّب في ارتقاء أكثر من مائةٍ وأربعين شهيداً، إضافةً إلى المئات من الجرحى.

وقالت وسائل الإعلام الصُّهيونيَّة: "إنَّ عمليَّة (الأسر) تمَّت في منطقة أبو الرُّوس، وقد أُسر الضَّابط الملازم أوَّل (هدار غولدن)، وأعلن جيش الاحتلال لاحقاً أنَّه قُتِل، وأنَّ جُثّته كانت مفقودةً كذلك.

وقد بثَّت الإذاعة العامَّة الصُّهيونيَّة أنَّه وفي الأوَّل من أغسطس 2014م، في تمام السَّاعة الثَّامنة صباحاً، ساعة بدء الهدنة مع حماس، وبعد ليلةٍ من إطلاق النَّار المكثَّف على المناطق الزِّراعيَّة، التي تقع شمال مدينة رفح كانت قوَّةٌ من وحدة الدَّوريَّات التَّابعة للواء (جفعاتي) [1] تحاول الكشف عن نفقٍ هجومي، ومع حلول السَّاعة التَّاسعة صباحاً، رصدت الدَّوريَّة في المنطقة التي تقع في مداخل مدينة رفح بين الدُّفيئات الزِّراعيَّة التي يُطلق عليها الجيش "المنطقة القذرة"، على بُعد مئات الأمتار، شخصاً غير مسلَّح قد توارى عن الأنظار، فكان أثراً بعد عين!، ليتَّضح وجود عين نفقٍ لخليَّة المراقبة للمجموعة التي ستنفذ عمليَّة الأسر.

وفي تمام السَّاعة التَّاسعة وستَّ عشرة دقيقةً صباحاً، ظهرت خليَّةٌ تابعةٌ لحماس فجأة من نفقٍ ينتهي إلى حقلٍ زراعي، وفتحت نيرانها تُجاه جنود الدَّوريَّة،

(1) **لواء جفعاتي:** هو أحد ألوية المشاة في الجيش الصُّهيوني الموجودة تحت قيادة المنطقة الجنوبية شكل في كانون الأول ديسمبر 1947 من قوات الهاغاناة وجناحها (البالماخ) قبل إقامة الكيان الصهيوني بعام واحد، ووضع تحت قيادة شمعون أفيدان، ويتميز جنود جفعاتي بقبعاتهم البنفسجية. ورمز اللواء الثعلب.

وتمكَّن القائد (بنيا) مع ضابط الاتِّصال (ليئال) من إطلاق النَّار على مجاهدَيْن قسَّاميَّين وقتل أحدهما.

علَّق (ألون بن دافيد) -المراسل العسكري للقناة العاشرة الصُّهيونيَّة- قائلاً: "إنَّ الذي جرى في رفح هو أنَّ (انتحاريّاً) فجَّر نفسه بإحدى الفرق، وأدَّى ذلك إلى مقتل ثلاثة جنودٍ (إسرائيليين)، وبعدها بقليل سمعنا عن اختفاء إحدى الجثث، وأنَّ هناك مطاردةً ساخنةً للأشخاص الذين نفذوا العمليَّة، وبعدها أعلن الجنود عن القيام بإجراء (هنيبعال)[1]، ثمَّ حدثت عمليَّة هجومٍ ضخمة على مدينة رفح، وصلت مجموعة آليات إلى أبعد نقطةٍ غرباً، واستمرَّ قصف المنازل لعدَّة ساعات، ليتبيَّن لاحقاً أنَّ الجثَّة فُقدت، ونقلت للمنطقة الغربيَّة في رفح عبر نفق، ليتأكَّد اختفاؤها تماماً".

على إثر ذلك شنّ الجيش الصُّهيوني غاراتٍ مكثَّفةً عنيفةً في وقتٍ متزامنٍ استهدفت مناطق متباعدة، وبعيدةً نسبيًّا عن منطقة الاشتباك، حيث شمل القصف منطقة أبو الرُّوس، وأحياء التَّنُّور، وزلاطة، والشُّوكة، وشوارع البلبيسي، وجورج، وصلاح الدِّين، ومحيط مستشفى أبو يوسف النَّجَّار.

وقد طالب رئيس الحكومة الصُّهيونيَّة وزير حربه (موشيه يعلون)، ورئيس أركانه (بني غانتس) للاجتماع عاجلاً؛ للتَّعرُّف على ظروف الحدث، حيث كان هاجس أسر الجنود من أكثر الأشياء التي يتخوَّفون منها.

وقد خرج وزير الحرب الصُّهيوني (موشيه يعالون) على شاشات التِّلفاز ليقول: "لقد نجحت حماس في (أسر) جندي، وخرق عناصر من حماس التَّهدئة، وهم الذين قتلوا ضابطاً صهيونياً برتبة رائد، والملازم أوَّل (ليئيل جدعوني)، وأسروا الملازم أوَّل (هدار جولدن).

(1) **إجراء هنيبعال**: إجراء تقوم به القوَّات الصُّهيونيَّة؛ لمحاولة منع وقوع أحد جنودها في الأسر، وتقوم باستخدام النيران بشكل مكثف، رغم خطر ذلك على حياته أو حياة المدنيين في محيط مكان العمليَّة. وقد صيغ الإجراء في الثمانينات، عندما كان الكيان الصهيوني يحتل جنوب لبنان.

تلاحقت بياناتٌ تتناقض بحسب التَّوقيت الزَّمني على مدار يومين، وتناقلت وسائل إعلامٍ صهيونيَّة تصريحات وبيانات الجيش الصُّهيوني، كان أوَّلها ما أُعلن فيه رسميّاً عن فقدان الاتِّصال بالجنديِّ الصُّهيوني، وكان ذلك الإعلان السَّاعة الثَّانية عشرة والنِّصف مساءً، بتوقيت القدس المحتلَّة. وقرابة السَّاعة الواحدة مساءً، صرَّح النَّاطق الرَّسمي باسم الجيش الصُّهيوني –موتي ألموز– أنَّ ضابطاً صهيونيّاً قد وقع في أسر حركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس). وقد تبع تصريح (ألموز) بيانٌ للجيش الصُّهيوني نقلته وسائل إعلامٍ صهيونيَّة، قرابة السَّاعة الثَّالثة مساءً، جاء فيه: "إنَّ الضَّابط الصُّهيوني ويُدعى (هدار جولدن) من (كفار سابا)، ويبلغ من العمر 23 عاماً"، هو في أسر (حماس)، ومكانه غير معروف".

ظلَّت رواية أسر الضَّابط في الإعلام الصُّهيوني ثابتة، وعلى ألسنة قادتهم السِّياسيِّين، ورئيس الوزراء الصُّهيوني (بنيامين نتنياهو)، الذي هاتف وزير الخارجيَّة الأمريكي (جون كيري)، وطالبه بالمساعدة في الضَّغط؛ للإفراج عن الضَّابط عبر الحديث مع قطر، وذكرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الصُّهيونيَّة، في تقريرٍ آخر، أنَّ (إسرائيل) بعثت رسالةً إلى (حماس) عبر مصر؛ للمطالبة بالإفراج عن الضَّابط.

حديث المطالبات بالإفراج عن الضَّابط الصُّهيوني تجاوز الاهتمام الصُّهيوني إلى مطالبة الرَّئيس الأمريكي (باراك أوباما) بنفسه (حماس) بالإفراج عنه دون شروط.

مع إختراق العدو الصهيوني للتهدئة الإنسانية وزعمه فقدان أحد جنوده في الاشتباكات الدائرة شرق مدينة رفح صدر بيان كتائب القسام حول مزاعم العدو بأسر الضابط الصهيوني وقال: "إنَّ المجموعة التي نفَّذت العمليَّة انقطع الاتِّصال بها"؛ ما رجَّح في ذلك الوقت فرضيَّة القتل للضَّابط وللمجموعة المهاجمة، وانعكس حديث كتائب القسَّام على تحليلات القناة الثَّانية بالتِّلفاز الصُّهيوني، السَّاعة السَّابعة صباحاً بتوقيت القدس المحتلَّة، والتي رسمت ثلاثة سيناريوهات لمصير الضَّابط، أوَّلها: أن يكون قد قُتل في ساحة المعركة وتناثرت جثَّته، وثانيها: (أسر) الجندي ووجوده في قبضة حماس سالماً. وأخيراً: مقتله بعد (الأسر) من خلال

قصف الجيش الصُّهيوني للمجموعة والضَّابط في وقتٍ لاحق. والثَّابت من الرِّوايات الصُّهيونيَّة بشأن الضَّابط، هو ما تحدَّث عنه بيانٌ للجيش الصُّهيوني عن تفاصيل العمليَّة، من خلال تفجير شابٍ خرج من نفق جسده في جنودٍ صهاينة؛ ما أدَّى إلى مقتل اثنين وأسر ثالث، ثمَّ أسر مجموعةٍ أخرى الجندي.

القسَّام يدحض رواية جيش الاحتلال

بعد أربعة أشهر من انتهاء العدوان على قطاع غزة، نشرت كتائب القسَّام روايتها، وهي على النَّحو التَّالي: صرَّح القائد الميداني أبو الوليد من وحدة النُّخبة أنَّه: وفي تمام السَّاعة السَّابعة وخمس عشرة دقيقةً صباحاً، أُوعز للمجاهدين في كمين منطقة أبو الرُّوس عن وجود حركةٍ للمواطنين قُبيل سريان موعد التَّهدئة، حيث بدأ سكَّان المنطقة النَّازحون إلى المناطق الغربيَّة بالعودة إلى مناطقهم الشَّرقيَّة، بعد أن كانوا نزحوا منها نتيجة العدوان الصُّهيوني، فأصدرنا للإخوة تعليماتٍ بسحب تجهيزات الكمين من المنطقة؛ لتأمينها، فخرج اثنان من الإخوة من عين النَّفق بلباسهم المدني دون اصطحاب السِّلاح، وسحبا تجهيزات الكمين من المنطقة، وبعد عودتهم إلى مكمنهم، شاهدا جنود العدوِّ يقتربون من المناطق الشَّرقيَّة من بين أشجار الزَّيتون، التي كانت موجودةً قبل العمليَّة تُجاه الغرب؛ أي منطقة الكمين، حيث أبلغنا المجاهدون بذلك، فكانت التَّعليمات بالانتظار حتَّى الاقتراب منهم، ثمَّ الخروج لهم والتَّعرُّض لهم.

فما أن اقترب الجنود حتَّى خرج عليهم المجاهدون، وباغتوهم من مسافة صفر، ثمَّ انسحب المجاهدون إلى عين النَّفق؛ مع قدوم تعزيزات العدو، استمرَّ الاشتباك نحو خمس دقائق من السَّاعة السَّابعة وثلاثين دقيقةٍ، وحتَّى السَّاعة السَّابعة وخمسٍ وثلاثين دقيقةٍ صباحاً، ليعقب تنفيذ المهمَّة انقطاع الاتِّصال بالمجاهدين، مع العلم أنَّنا نعدّ الأنفاق بطريقةٍ هندسيّةٍ خاصَّة، ولا يستطيع أيُّ جنديٍّ صهيونيٍّ أن يدخلها، حيث تفجر بمجرد دخولهم للنفق، فقد كانت آخر التَّعليمات للمجاهدين بعد تنفيذ الاشتباك الانسحاب، ثمَّ قُطع الاتِّصال بعد ذلك.

بعد تكتُّم كتائب القسَّام ما يربو على عامٍ على العدوان الصُّهيوني، صرَّحت خلال فيلم بثته قناة الجزيرة حمل عنوان (رفح الصندوق الأسود 15/5/2005م) بمعلوماتٍ مفادها أنَّ الاشتباك الذي حصل مع المجاهدين في منطقة أبو الرُّوس، والذي استمرَّ خمس دقائق، استشهد خلاله القائد الميداني وليد توفيق مسعود، الذي كان يرتدي زيًّا مشابهاً لزيِّ قوَّات الجيش الصُّهيوني، ثمَّ انسحب المجاهدون تاركين خلفهم جثَّة الشَّهيد، وبعدها انقطع الاتِّصال مع المجاهدين، وقالت كتائب القسَّام: إنَّه بحسب معلوماتنا، فقد سحب جيش العدو جثَّة الشَّهيد؛ لأنَّه كان يرتدي لباس جيش العدوِّ الصُّهيوني، وعقب ذلك بقرابة ساعتين، بدأ جيش العدو بقصف المناطق السَّكنيَّة المختلفة، ولعلَّ التَّفسير الوحيد للتَّأخُّر في عمليَّة القصف العشوائي، وحالة الارتباك لدى الجيش الصُّهيوني، تعود لاختلاط الأمر على جنود العدو، حيث إنَّهم سحبوا جثَّة الشَّهيد وليد مسعود على أنَّه زميلهم، ولكنَّهم عندما فوجئوا به جُنَّ جنونهم، وتبيَّن أنَّهم كانوا قد اشتبكوا معه؛ حيث قُتل جنديَّان صهيونيَّان، وأحد المقاومين، في حين انسحب المقاومون ومعهم الضَّابط الصُّهيوني هدار غولدن، ومن هنا كان التفسير لفارق الوقت، وحالة الإرباك في القصف الصُّهيوني المكثَّف والعشوائي بعد اكتشافهم الجثَّة.



الشهيد / وليد مسعود

بناءً على ما سبق، ووفقاً للرِّواية التي رواها أبو الوليد -القائد في وحدة النُّخبة القسَّاميَّة في مدينة رفح-، فإنَّ الفارق بين انتهاء الاشتباك، وبدء القصف العنيف الذي قام به الجيش الصُّهيوني على المنطقة المحيطة بمنطقة الكمين، كان زهاء السَّاعتين، وعموماً، فإنَّ رواية القسَّام شكَّكت في دخول الجنود الصَّهاينة إلى النَّفق؛ ما يعني عدم حصولهم على أيِّ آثارٍ للضَّابط هدار غولدن، إضافةً إلى أنَّ القسَّام أثبت

أنَّ تنفيذ الاشتباك كان ما بين السَّاعة السَّابعة وثلاثين دقيقة، والسَّاعة السَّابعة وخمسٍ وثلاثين دقيقة، وقد استمرَّ خمس دقائق متواصلة، ثمَّ دخل المجاهدون النَّفق، وفجّروه مباشرة، وتُظهر رواية القسَّام أنَّ الجنود لم يتمكّنوا من دخول النَّفق.

بذلك تظهر تناقضات الرِّواية الصُّهيونيَّة، حيث إنَّ الرِّواية الصُّهيونيَّة تقول إنَّها تأكَّدت من مقتله، وإنَّها أنزلت الضُّبَّاط إلى النَّفق، وتأكَّدوا من مقتله، لكنَّ الذي حدث هو القصف العشوائي، ثمَّ محاولة تتبُّعه، ثمَّ إنِّها أرسلت عملاء على الأرض؛ للبحث عن أيِّ معلوماتٍ عنه في مستشفى أبو يوسف النَّجَّار.

كلُّ ما سبق يدلُّ على أنَّهم لم يكونوا متأكِّدين من مقتله، وقد أوردت صحيفة هآرتس الصُّهيونيَّة، نقلاً عن تقارير أمريكيَّة شكَّكت في صحَّة الرِّواية الصُّهيونيَّة حول توقيت وقوع الاشتباك، مستشهداً بحساباتٍ تابعةٍ لحركة حماس، أعلنت عن وقوع العمليَّة شرق رفح، قبل نصف ساعةٍ من التَّهدئة، وهو الأمر الذي وثَّقته أيضاً منظَّمة العفو الدَّوليَّة أمنستي.

ونقلت مصادر إعلاميّةٍ عبريّةٍ عن ضابطٍ كبيرٍ في جيش الاحتلال الصُّهيوني، قوله: "إنّ ما شهده قوَّاته شرق رفح كان عبارة عن حربٍ حقيقيّة متكاملة الأركان"، وأضاف: القسَّام خطّط لعمليَّة نوعيّة، أدّت لمقتل وإصابة العشرات، وحقيقةً إنّنا تلقّينا ضربةً مؤلمة، والأحداث التي جرت يمكن أن نشبّهها بحربٍ بين جيشين، وأوضح الضّابط أنّ القسَّام استخدم ضدّهم صواريخ نوعيّةٍ مضادّة للدّروع، مضيفاً: ما لم نكن نتوقّعه أنّ (انتحاريّاً) خرج لنا من مكانٍ كالشّبح فجّر نفسه، وتابع لقد خسرنا الكثير في المعركة، وتلقّينا ضرباتٍ مؤلمة.

العطَّار كابوسٌ وافتخار

في أعقاب اختفاء آثار الضَّابط الصُّهيوني غولدن، صرَّح الاحتلال الصُّهيوني على صدر صحيفة (يديعوت أحرونوت) الصُّهيونيَّة أنَّ العطَّار هو الشَّخص الوحيد الذي يمكن أن يعرف مصير الضَّابط الصُّهيوني هدار غولدن -مشيراً بأصابع الاتِّهام نحوه-،

وذكرت: إذا كان شخصٌ يعرف أين الضَّابط غولدن فسيكون العطَّار؛ لأنَّه المسؤول عن جميع الأنشطة العسكريَّة لحماس في رفح، وعلى مرِّ السِّنين أصبح العطَّار أحد أقوى رجال حماس، فهو مسؤول منطقة رفح بأكملها، التي يوجد بها الأنفاق التي تُمدُّ حماس بالمعدَّات، والمواد اللازمة لبناء القوَّة العسكريَّة لحماس.

العطَّار وإدارة معركة العزِّ والانتصار

أشرف القائد رائد العطَّار على معركة العصف المأكول، وأدار لواء رفح بدقة وتكامل، فقد كان على تواصلٍ مباشرٍ بأعضاء مجلسه العسكري، ليضعهم في آخر التَّطوُّرات الميدانيَّة والخطط الآنيَّة، ولم يكتفِ بذلك، بل تعدَّى في متابعته الميدانيَّة إلى تواصله مع المجاهدين كافَّةً ومباشرة، كما وتابع التَّشكيلات القتاليَّة الميدانيَّة، فلم يفارقه دفتره الصَّغير (النُّوتة) الذي يدوِّن فيه أرقام المجاهدين أثناء المعركة، وتعدَّدت مداخلاته غير المنقطعة لدى سلاح الإشارة يبثُّ خلالها رسائل شحذ الهمَّة وبشرى النَّصر وبراعة الإنجاز.

تمكَّن الوسطاء من إبرام تهدئةٍ هي الثَّانية تواليًا، والتي بموجبها خرج القائدان محمَّد أبو شمَّالة، ورائد العطَّار من مكمنهما؛ لاغتنامها في متابعة بعض الأمور الميدانيَّة، وأوَّل ما بادر به القائدان أن قصدا مواطن الكمائن يقبِّلان رؤوس رجال وحدة النُّخبة، الذين شاركوا في عمليَّة أسر الضَّابط هدار غولدن، غير أنَّ الليل أسدل ستره لتتهيأ فرصة خروج خفافيش الليل التي كانت تتعقَّب كلَّ سكنةٍ أو حركة يقوم بها القائدان، حتَّى نجحوا في تحديد المكان الذي كانوا يتخفَّون فيه، فإنَّ تعاقب الهدن المبرمة وبالتَّالي مرونة الحركة لدى القائدين زاد الفرصة أمام أعوان الاحتلال الصُّهيوني في الوصول إلى عرين القائدين،كما مارس القائدان أبو شمَّالة والعطار دورهما الاجتماعي تجاه المجاهدين، فلم تخلُ المعركة من أنفاسهما التي تنهض بالمكلومين، وسواعدهما التي مُدَّت للمُعْوزِين، حيث هاتف القائدان كلَّ ذي فاقةٍ أو كدر؛ فقدَّما المواساة لمن هُدِم بيته، أو فُقِد أحد أفراد أسرته، وبذلك كانا إلى جوار كلِّ المجاهدين، يتنقَّلان معهم بين مختلف الميادين.

يمضي الرِّفاق إلى ربهم

تحلَّى القائدان بالفطنة والدَّهاء مع الحذر، فقد سبقت الخطرات الخطوات، فإنَّ سجال المعركة يتركَّز بين حيلةٍ ماكرةٍ وخدعةٍ غادرة.

لقد باعدت أيَّام المعركة المديدة بين القائدين، حتَّى تسلَّلت صبابة الشَّوق تُكابد كليهما، فلم يعتادا على طول مدَّة الغياب، حتى استوجبت الضرورة العسكرية اجتماعهما ليبادر أبو أيمن بالقدوم حيث توأمه أبو خليل، ومع شدة الفطنة التي امتلكها القائدان وسهولة تضليل العدو التي حققت لهم مرونة التنقل والحركة أثناء المعركة، جنّ جيش الكيان فأخذ يرغم العملاء على الخروج من بيوتهم تحت التَّهديد بقصف منازلهم فوق رؤوسهم، وأنه لا بد من الوصول إلى تلك الخيوط التي توصل لمحلّ إقامة القائدين.

ومع بداية سريان التَّهدئة الإنسانيَّة توجَّه القادة أبو أيمن وأبو خليل ومحمَّد برهوم (الشَّايب) إلى بيت أبو أشرف، ومكثوا يومين، وفي اليوم الذي يسبق انقضاء مدَّة التَّهدئة قرَّر القادة الخروج، ليصحبهم أبو أشرف إلى نقطةٍ حدداها له، متَّجهين إلى مكمنهم حيث ساحة النِّزال.

يذكر أبو أشرف قائلاً: أقسم أبو أيمن عليَّ بعدم الخروج، فأصبح بداخلي شعورٌ أنَّ نهايته قد اقتربت، وتوجَّه بعدها لبيت أبي حسين كلَّاب، وتردَّد في لحظة الخروج، غير أنَّ قدر الله غالب أن يرزقهم الشَّهادة، ولمَّا جاء خبر قصف بيت أبي حسين كلَّاب لم أتوقَّع وجودهم في البيت، ولم أعلم إلَّا في الصَّباح.

ويتحدَّث المجاهد أبو موسى: كنتُ موجوداً برفقة أبي أيمن وأبي خليل في المكان الذي كانا فيه قبل أن يُقصف، وعندما هممتُ بمغادرتهم قال لي أبو خليل: أنت رمَّانة الميزان في اللواء، وأوصيك خيراً، فأجبته: لماذا توصيني؟!"، فقال: تحمَّلوا بعضكم بعضاً واصبروا، وأخذ يوصي بي وكأنَّه يشعر بأنَّ نهايته قد اقتربت.



مكان استشهاد القادة

امتدَّت أيَّام المعركة المسعورة التي حاول جيش الكيان الصُّهيوني على مدارها النَّيل من المقاومة وقادتها، فما برح يواصل حالة التَّخبُّط يجرُّ ويلات الهزائم وتعاقب الحسرات، حتَّى جَنَّ ليل الـ21 أغسطس 2014م، وحلَّت ليلة اليوم الرَّابع والأربعين للعدوان، حيث الوقت الموعود واللقاء المشهود يستقبلون قبلة الفلاح مع الكفاح، يشهرون سهام الليل الصَّائبة، فقد تسلَّل إلى خواطرهم دنوَّ الأجل فتعجَّل القادة الوصول، وفي دقيقة صمتٍ ولحظة سكونٍ فاضت أرواح القادة الثَّلاثة تجاور ربَّ الأرض والسَّماوات، تشهد عزّاً وترقُب نصراً غَدَوْنا على أعتاب لُقياه.

رحل قادة الأرض يُحلِّقون في أفق السَّماء بعد أن أغارت طائراتٌ حربيَّةٌ صهيونيَّةٌ ملقيةً 12 صاروخاً على محلِّ وجودهم، في منزلٍ لعائلة كلَّاب في حيِّ تل السُّلطان بمدينة رفح، وبذلك يتحقَّق حُلمٌ لطالما راود جيش الكيان باغتيال القادة "رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة، ومحمَّد برهوم"، ليرافقهم خمسةٌ من الشُّهداء؛ جرَّاء القصف، وهم:

- الشَّهيد حسن يونس 75 عاماً.
- الشَّهيدة آمال إبراهيم يونس.
- الشَّهيد أحمد ناصر كلَّاب 17 عاماً
- الشَّهيدة نظيرة كلَّاب.
- الشَّهيدة عائشة عطيَّة.

كما خلَّف القصف دماراً عارماً حلَّ بالمنزل ومحيطه، سجَّل خلاله نحو خمسٍ وعشرين إصابة متعدِّدة.

هرعت وحدات الدِّفاع المدني في عتمة الليل إلى مكان القصف، ومعها الجرَّافات والحفَّارات الكبيرة، وحاولت البحث تحت الأنقاض؛ لإخراج الشُّهداء والجرحى من بين الدَّمار والرُّكام الذي خلَّفه القصف، واستمرَّت حتَّى الصَّباح وهي تحاول انتشال جثامين الشُّهداء، حتى تمكَّنت من العثور على جثمان الشَّهيد القائد محمَّد أبو شمَّالة، في حين عُثر على جسد الشَّهيد القائد رائد العطَّار مُلقى على بُعد خمسين متراً من المنزل؛ مع شدَّة الانفجار، كما عثر على جسد الشَّهيد القائد محمَّد برهوم بعد عناءٍ شديد، وبعد ذلك نقلت طواقم الدِّفاع المدني أجساد الشُّهداء جميعاً إلى مستشفى أبو يوسف النَّجَّار، ثمَّ توجَّهت الجماهير تحمل الجثامين الطَّاهرة إلى منازلهم؛ لإلقاء نظرة الوداع، حيث استقبلت عائلة الشَّهيد القائد محمَّد أبو شمَّالة جثمانه الطَّاهر بالزَّغاريد، ووقفت ابنته رُبى –التي كانت تبلغ من العمر 12 عاماً– وسط حالةٍ من الذُّهول، رغم الدُّموع التي حاولت إخفاءها؛ لتقول وسط جموع النِّساء داخل منزل العائلة: "أبي كان شوكةً في حلْق الصَّهاينة"، وأخذت تلهج بالدُّعاء له مؤكِّدةً أنَّها لن تنساه، ثمَّ أنهت كلمتها أن وجَّهت رسالةً للجيش الصُّهيوني قائلةً: "حسبنا الله ونعم الوكيل عليكم، وسوف نبقى نحاربكم حتَّى نذبحكم كما قتلتم أبي"، وأكَّدت بأنَّها ستبقى فخورةً بوالدها.

كما استقبلت والدة الشَّهيد القائد رائد العطَّار جثمان ابنها بالزَّغاريد، وهي تقول: حياة ابني كلُّها جهاد، والشَّهادة شَرفٌ لنا، أمَّا زوجُه الصَّابرة المحتسبة فقالت: إذا استشهد زوجي اليوم، فلن تنتهي كتائب القسَّام، وشعبُنا ولود، وسنبقى على درب الشَّهادة حتَّى نستشهد كلُّنا.

شهادة الأقربين

لم يغفل القائد أبو أيمن أن لحظة الشهادة آتية لا محال، وفي سبيل ذلك كان يُهيِّئ زوجَه لنبأ استشهاده، ويوصيها بضرورة التَّحلِّي بالصَّبر والثَّبات دون الجزع أو السَّخط، وقد نجح في مهمته، حيث كانت أم أيمن عند حُسْن ظنِّ زوجها بها، فما أن سمعت نبأ استشهاده حتَّى احتسبت أجرها عند ربِّها.

وما لبثت حتَّى توضَّأت ثمَّ صلَّت ركعتين؛ شكراً لله أن حقَّق لزوجها أمنيته التي لطالما سعى جاهداً أن يبلغها، فكانت الشَّهادة في سبيل الله هي غاية المُنى، أمَّا الابنتان سجى ذات العشرة أعوام، وشيرين ذات الثَّمانية أعوام مع بداية الخطب أصيبا بصدمة كبيرة؛ لشدَّة حبِّهما وتعلُّقهما به، وبكتا كثيراً، وتمنَّتا لو أن يستيقظ لحظةً واحدةً فقط؛ ليتحدَّث إليهما، ثمَّ يستشهد ثانيةً.

وكلَّما طال الغياب الذي يزداد معه الشَّوق والحنين للأب،تصطحب أمُّ أيمن أولادها جميعاً لزيارة قبر أبيهم، والدُّعاء له، ثمَّ تجدِّد عهدها ووعدها لهم بأنَّ الملتقى سيكون الجنَّة إن شاء الله.

ويتحدَّث أبو صبحي –شقيق الشَّهيد–: قبل استشهاد أخي أبي أيمن بساعاتٍ قليلة، اتَّصل بي يطلب منِّي أن أنقل والدتي من بيتي إلى بيت إحدى أخواتي؛ لأنَّه كان يشعر بالخطر عليها، وبالفعل قمتُ بنقلها، لتقضي تلك الليلة هناك، لكنَّها لم تنم من شدَّة قلقها على ابنها، وفي تمام السَّاعة الثَّانية ليلاً، اهتزَّت المنطقة بأكملها من شدَّة القصف، حينها استيقظ جميعنا لمتابعة الأخبار، ومن بيننا أخي محمَّد الذي كان يجلس بجواري، فنظرنا إلى بعضنا ولكنَّنا استبعدنا في البداية أن يكون المستهدف أبو أيمن، فالقصف في منطقة تلِّ السُّلطان، وغلب على ظنِّنا أنَّه غير موجودٍ في المنطقة.

ويُضيف: في تمام السَّاعة الثَّانية وخمس دقائق، اتَّصل بي أحد الشَّباب، وإذ به يُفجعني بنبأ استشهاد أخي رائد، وبرفقته القائد محمَّد أبو شمَّالة، والقائد محمَّد برهوم "الشَّايب".

وأردف قائلاً: في هذه الأثناء أخذتني سِنةٌ من النَّوم، وبين طرفة عينٍ وانتباهتها تذكَّرت أهل بيتي الذين كانوا يرقبونني من بعيد، فحاولت أن أستعيد تركيزي وذهبتُ لأتوضَّأ، وصلَّيت ركعتين لله تعالى، طالباً منه أن يُلهمني الصَّبر والسُّلوان على فراق أخي، فلقد تمنَّيت لو أنَّني فقدتُ أحد أبنائي دون أخي رائد؛ لشدَّة حبِّي له، فلقد كان استشهاده أصعب موقفٍ تشهده حياتي.

وبعد أن انتهيتُ من صلاتي جلستُ أفكِّر مليّاً بالمصاب الجلل الذي أصابنا، فكيف لي أن أخبر والدتي بنبأ استشهاد ابنها، وهو الأغلى على قلبها، فأرغمتُ نفسي على الانتظار حتَّى الصَّباح، وحينما انتشر ضوء الشَّمس في الأرجاء، ذهبتُ لبيت أختي؛ لأخبر والدتي بالخبر، وما أن وصلت حتَّى وجدتها متعبة، إذ لم تأكل شيئاً طيلة اليوم السَّابق، ولم تنم الليل لشدَّة قلقها على ابنها.

بادرتني أمِّي بالسُّؤال قائلة: "ما هي الأخبار؟، أين كان القصف الشَّديد الذي سمعناه الليلة؟"، فبدأت أحدِّثها لأهيِّئها لسماع نبأ استشهاد فلذة كبدها، حتَّى سمحت فرصة إبلاغها نبأ الاستشهاد، فلم تستطع حبس دموعها فأجهشت بالبكاء، لكنَّها سرعان ما كفكفت الدُّموع برغم مرارة الفراق فتوضَّأت وصلَّت لله ركعتين، ثمَّ اصطحبتُها برفقة زوجة أخي رائد لوداع القائد العظيم".

رؤيا صالحة وبشارة الشهادة

جاء على لسان زوجة القائد محمَّد أبو شمَّالة أنَّ زوجها الشَّهيد شاهد رؤيا سبقت الحرب، قصَّها عليها وهي: أنَّه يسبح في نهر النِّيل وكان معكَّراً، وبه طحالب وغير نظيف، لكنَّه سبح فيه وهو مستمتع، ثمَّ خرج على الشَّاطئ، واغتسل تحت شلَّالٍ عذب.

أمَّا ابنته الكبرى ربى تقول: "في يوم استشهاد والدي رأيتُ في منامي أمِّي تبكي، وأنَّ هناك جسداً ممدَّداً أمامها ويُشعُّ نوراً، وبقيتُ كذلك حتَّى استيقظتُ من منامي، فوجدتُ مَنْ حولي يتحدَّثون عن استشهاد والدي رحمه الله".

وفي يوم استشهاد أبي خليل قدِمت امرأةٌ لزوجه، وقالت لها: "أحمل لك بشرى"، وأخبرَتْها أنَّها أمٌّ لطفلةٍ في الصَّف الخامس الابتدائي، رأت في منامها خالتها وخالها الشَّهيدين، وأخبرتها أنَّها مع خالها في مكانٍ جميلٍ من الجنَّة، وأنَّه سيأتي عليهم رجلٌ وسيمٌ له مكانةٌ عظيمةٌ في الأرض، وسيبلغ مكاناً سامياً في السَّماء، وبرفقة الرَّسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فسألتها من هو؟، فلم تُجب، وفي اليوم الثَّاني تكرَّرت الرُّؤيا ذاتها فأخبرَتها بأنَّه يمتدُّ أصله إلى أصل والدك من بعيد -من آل أبو شمَّالة-،

وفي اليوم الثَّالث تكرَّرت الرُّؤيا وقالت لها خالتها -الشَّهيدة- في المنام: الآن خرج رسول الله لاستقبال ذلك الرَّجل، فأوَّل ما استيقظْت الطِّفلة فتحتُ التِّلفاز وإذ بخبر استشهاد أبي خليل، وعندما رأته الطِّفلة قالت: "هذا هو..." .



تشييع الشهداء القادة

لم يكن نبأ استشهاد القائدين بالأمر السهل، لا سيما على رفقاء الدرب المجاهدين، وفي الطليعة منهم القائد أبو إبراهيم، فيقول: "بعد استهداف عائلة القائد محمَّد الضَّيف أصبح التَّواصل الميداني على أشُدِّه، بين حثٍّ على الصَّبر والثَّبات، وأخذٍ لكامل الاحتياطات والتَّدابير، وفي الليلة ذاتها ومع حلول السَّاعة 1:30 أو 1:45، استقبلتُ اتِّصالاً من أحد القادة الميدانيِّين يُخبرني أنَّ أبو حسن يبحث عنِّي، حتَّى هاتفني أبو حسن، وأخبرني عن وجود أخبارٍ غير جيِّدة، كما أنَّ أبو أنس يبحث عنِّي، فقلت: الله يستر!، اتصلت على أبي أنس أكثر من مرَّة ولكن دون جدوى، فزاد قلقي حينها، ومع مرور برهةٍ من الوقت أُبلغت باستهداف بيت أبو حسين كلَّاب، ووجود أبو خليل وأبو أيمن داخل البيت، حينها تمنَّيت أن يكونوا قد غادروا البيت قبل القصف، غير أنَّ الحذر لا يمنع القدر، فوالله لو جاء نبأ استشهاد زوجي وأبنائي وبناتي لكان أهون عليَّ من فراق أبي أيمن وأبي خليل، ولكن ما كان يعزِّينا أنَّهما كانا في جهادٍ لواحدٍ وعشرين عاماً، ومن الصَّعب أن تكون خاتمة الطَّريق غير الاستشهاد، فلقد وهبا روحيهما وأرخصاها لله وسخراها في خدمة دينه ورفع لوائه، ولطالما سجَّلا براعة ابتكاراتهما في تطوير العمل العسكري، فقد جرى الجهاد في أبدانهما مجرى الدَّم في العروق، حتَّى استحقَّا هذه النِّهاية".

ومع توارد الأنباء حول استشهاد القائدين، أوعز القائد أبو أنس إلى أحد المجاهدين بالذَّهاب لمكان القصف والبحث عنهم باستخدام أدوات الحفر، وإن لم تُجدي فبأسنانك، ولا بدَّ من إخراجهم أحياء أو شهداء.



تشييع الشهداء القادة

لم تستهدف الضَّربة اثنين من أركان الجهاد وحسب، وإنَّما استهدفت قلوب الآلاف ممَّن عشقوا هؤلاء الرِّجال، الذين هبُّوا متحشِّدين غير آبهين ببطش الحرب الدَّائرة لتشييع جثامين الشُّهداء في مشهدٍ منقطع النَّظير، انطلاقاً من ميدان العودة وسط المدينة بعد أداء صلاة الظُّهر، مردِّدين عبارات الوفاء لهم، والموت للكيان الصُّهيوني ولقادته؛ لتكون رسالةً واضحةً للعدوِّ الصُّهيوني، بأنَّ إرادة شعبٍ مقاومٍ لا تنكسر باستهداف قادته.

وصدح القيادي في حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في رفح، الأستاذ سعد المغاري خلال تشييع جنازة الشُّهداء: "إنَّ قتل القادة لا يُثني الشَّعب عن طريق المقاومة، والسَّير على نهجهم، فالقائد يخلُفُه ألف قائد، والمعركة سجالٌ بيننا وبينهم، موعدُنا غداً على أعتاب بيت المقدس، وقوافل الشُّهداء لا تُقلِّل من عزيمة أمَّتنا، فشعبنا خسر الكثير؛ لذلك لا يوجد خيارٌ أمامنا سوى المقاومة حتَّى زوال الاحتلال الصُّهيوني".

تعدَّى الفراغ الذي أحدثه غياب الشَّهيدين مدينتهما رفح ليشمل أرجاء القطاع؛ حتى سادها جميعاً، غير أنَّه كان الأكثر وطأةً في مدينة رفح، كما امتدَّ الشُّعور ذاته خارج القطاع ليصل المجاهدين الذين شاركوهما المهام الجهاديَّة هناك، ممَّن تواصل الشهيدان معهم؛ عبر قناة الإمداد وإرداف المقاومة بالسِّلاح.

ردود الأفعال التي أعقبت حادثة الاغتيال

أوّلاً: الرُّدود الفلسطينيَّة

كتائب القسَّام

زفَّت كتائب القسَّام في بيانٍ لها الشُّهداء القادة الثُّلاثة، وأعلنت أنَّهم ارتقوا إلى العلا إثر قصفٍ صهيونيٍّ غادر، وهم من الرَّعيل الأوَّل لكتائب القسَّام، وقد تزيَّنت بهم ساحات العزِّ والجهاد، وأذاقوا العدوَّ الويلات، وجرَّعوا جنوده المرارة منذ ما يزيد على 20 عاماً، وهم مهندسو وأبطال العديد من العمليَّات الكبرى، مثل: عمليَّة براكين الغضب، ومحفوظة، وحردون، وترميد، والوهم المتبدِّد، كما وقد كانوا من أبرز القادة في معارك الفرقان وحجارة السِّجِّيل والعصف المأكول.

حركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس)

أكَّدت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في بيانٍ لها، أنَّ اغتيال قادة كتائب القسَّام في رفح جريمةٌ صهيونيّةٌ كبيرة، لن تفلح في كسر إرادة الشَّعب الفلسطيني ومقاومته، وأنَّ هذه الجريمة لن تُفلح في إضعاف المقاومة، وأنَّ الكيان الصُّهيوني سيدفع الثَّمن.

وقالت أيضاً: إنَّ اعتقاد الاحتلال أنَّ قتل قادة القسَّام سيُضعف المقاومة ما هو إلَّا وهمٌ كبير؛ لأنَّ أسماء هؤلاء القادة ستتحوَّل إلى أسماء صواريخَ تحرق الصَّهاينة بإذن الله.

كما كتب القياديُّ الدُّكتور موسى أبو مرزوق -نائب رئيس المكتب السِّياسيِّ السَّابق لحركة حماس: "ثلاثةٌ كنَّا نظنُّ أنَّه لا يُفرِّقهم إلَّا الموت، فحتَّى الموت لم يُفرِّقهم،ومعاً ارتقوا إلى الله شهداء".

القوى الإسلاميَّة والوطنيَّة

أصدرت القوى الإسلاميَّة والوطنيَّة بياناً، نعت فيه القادة الثَّلاثة، وعاهدت الشُّهداء على الوفاء لدمائهم الطَّاهرة؛ والسَّير على دربهم؛ حتَّى تحقيق أهداف

الشَّعب الفلسطيني في الحرِّيَّة والعودة والاستقلال، وإقامة الدَّولة الفلسطينيَّة، وعاصمتها القدس، كما دعت القوى في بيانها جماهير شعبنا في الضِّفَّة الغربيَّة إلى هبَّةٍ جماهيريَّةٍ واسعةٍ في وجه الاحتلال؛ لنيل حقوقنا كافَّة.

كما أعربت التَّنظيمات الفلسطينيَّة كافَّةً عن بالغ حزنها باستشهاد القادة؛ حيث هاتف أحد قادة كتائب أبو الرِّيش التَّابعة لحركة فتح، القائد أبا أنس وقال: هؤلاء أصدقاؤنا منذ بداية الانتفاضة...، فبعد حوالي 22 سنةً من الجهاد والمقاومة، كانت خاتمتهم الشَّهادة، فأدَّوا رسالتهم على أكمل وجه.

ثانياً: الرُّدود الصُّهيونيَّة

عقَّب رئيس الوزراء الصُّهيوني بنيامين نتنياهو على اغتيال القادة الثَّلاثة قائلاً: "إنَّ قرار استهداف قادة حماس الذين يقفون وراء تخطيط اعتداءاتٍ إرهابيَّةٍ خطيرةٍ ضدَّ (مواطني الدَّولة)، اتُّخذ (بفضل) المعلومات الاستخباريَّة الاستثنائيَّة التي جمعها جهاز الأمن العام، وعدّ نتنياهو أنَّ هذه العمليَّة هي الأقوى في تاريخ (إسرائيل ضد حماس).

الصَّحافة الصُّهيونيَّة وحادثة اغتيال القادة

نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت تفاصيل عمليَّة اغتيال القادة الثَّلاثة، واصفةً أجواء عمليَّة الاغتيال بأنَّها شديدة التَّعقيد، وجاء في تفاصيل العمليَّة، أنَّ سلاح الجوِّ الصُّهيوني تمكَّن من إطلاق عدَّة صواريخ، يزن الواحد منها نحو طنٍّ من المتفجِّرات، تُجاه مبنى لأحد ناشطي حركة حماس في منطقة تلِّ السُّلطان برفح، كان قد وفَّر مكاناً لاختفاء 3-4 من هيئة أركان حركة حماس، أبرزهم قائد لواء رفح رائد العطَّار، وقائد المنطقة الجنوبيَّة للقسَّام محمَّد أبو شمَّالة، وقالت الصَّحيفة: "إنَّ غرفة القيادة المتقدِّمة لعمليَّات التَّصفية الخاصَّة بجهاز الأمن العام (الشَّاباك) في تل أبيب قد حبست أنفاسها الأخيرة في تمام السَّاعة الثَّانية فجراً، عند سقوط أوَّل صاروخٍ على منزلٍ كان بداخله رائد العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة، ومحمَّد برهوم".

وقالت: إنَّ عدداً من المحلِّلين النَّفسيِّين والباحثين ومنسِّقي الميدان، ورجال العمليَّات في أجهزة الاستخبارت التَّابعة للجيش الصُّهيوني قد انتظروا لحظة الحسم في عمليَّة الاغتيال، التي وُصفت بالأنجح منذ عمليَّة اغتيال رئيس هيئة أركان حماس السَّابق أحمد الجعبري مع بداية (عمود السَّحاب) في نوفمبر 2012م.

وزعمت الصَّحيفة أنَّ القائدين العطَّار وأبو شمَّالة كانا على قناعةٍ تامَّةٍ أنَّ مستوى التَّخفِّي الذي كانا يحظيان به مع المحافظة على قنواتٍ أمنيَّةٍ صحِّيَّة ستمنع الشَّاباك من الوصول إليهما، وتابعت الصَّحيفة أنَّ رئيس الشَّاباك يورام كوهن أشرف على العمليَّة من خلال مركز العمليَّات الخاص به في تل أبيب، وبنفسه أعطى الضُّوء الأخضر النِّهائي لتنفيذ العمليَّة.

ووصفت الصَّحيفة الدَّقائق الأخيرة التي سبقت تنفيذ العمليَّة بالمرهقة، لكلِّ القيادات داخل الجيش الصُّهيوني، مدَّعيةً أنَّ عمليَّات مراقبة العطَّار وأبو شمَّالة قد استمرَّت لعدَّة أشهر، وتمَّ التَّركيز عليهما منذ بداية عمليَّة (الجرف الصَّامد)، إلَّا أنَّ الجيش الصهيوني خلال الحرب لم يتمكَّن من العثور عليهما طيلة أيَّام المعركة؛ بسبب انعدام المعلومات الاستخباريَّة الكاملة، وأكَّدت الصَّحيفة أنَّ عشراتٍ من المسؤولين في جهاز الشَّاباك وصلوا مبنى القيادة العسكريَّة الكرياه في أعقاب وصول معلوماتٍ تشير إلى مكان وجود العطَّار وأبو شمَّالة وبرهوم، وبحسب الصَّحيفة فإنَّ المعلومة حول مكان قادة القسَّام في رفح قد وصلت إلى مقرِّ قيادة الشَّاباك من خلال أسطوانةٍ بداخلها صورٌ للمكان الذي أستُهدف، وعُرضت تلك الصُّور على شاشاتٍ كبيرة؛ من أجل توضيح المنطقة التي يوجد فيها المستهدفون في رفح، ومن ثمَّ ترجم ممثِّلو قسم العمليَّات في الشَّاباك الجهود الاستخباريَّة لعمليَّةٍ هجوميَّةٍ على أرض الواقع من خلال شنِّ هجومٍ ضخمٍ على المبنى الذي فيه قادة القسَّام، وكانوا قد قرَّروا استخدام أيِّ سلاحٍ أو صواريخ؛ من أجل نجاح العمليَّة، بغضِّ النَّظر عن حجم وكمِّيَّة المواد المتفجِّرة، وبحسب الصَّحيفة، فإنَّ مخطَّط الهجوم نُقل لممثِّلي قيادة المنطقة الجنوبيَّة، وسلاح الجو من أجل تنفيذ العمليَّة، خاصَّةً بعد موافقة وزير الحرب الصُّهيوني موشيه يعلون على قتل العطَّار وأبو شمَّالة، وبرهوم.

ونقلت الصَّحيفة عن أحد قادة الشَّاباك الصهاينة تأكيده أنَّ الجيش حاول تسع مرَّات أسر العطَّار أو قتله، لكنَّه لم ينجح؛ بسبب حذره، مشدِّداً على أنَّ الشَّاباك كان في عددٍ من المرَّات قريباً من الوصول إليه، إلَّا أنَّ جميع تلك المحاولات كانت تفشل في اللحظات الأخيرة، وأضافت الصَّحيفة الصهيونية: لقد أهمل العطَّار وأبو شمَّالة وبرهوم الاحتياطات الأمنيَّة التي كانوا يتَّخذونها خلال الحرب، ودخلوا منزلاً لأحد المقرَّبين من حركة حماس، حينها وصلت معلوماتٌ من مصدرٍ للشَّاباك مفادها أنَّ القادة الثَّلاثة غيَّروا روتينهم اليومي واحتياطاتهم الأمنيَّة، للالتقاء ببعض المقاومين لإعطائهم الأوامر العسكريَّة.

تخليداً لسيرة الجبلين

ما كان لقادة كتائب القسَّام من الشُّهداء أن يكونوا سيرةً وانقضت، أو صورةً قد أفَلَت، بل نبراساً يترنَّم، ومنهاجاً يُدرَّس، وسيرةً تُخلَّد، لتُشيِّد صرحاً يافعاً نافعاً، تتخرَّج فيه أجيال القسَّام المُتعاقبة.

حِمم العطَّار (A120)

فاح عبير العطَّار مُدوياً، يخترق جاذبيَّة الأرض، يلوح في أفق السَّماء، لينهمر على أوكار بني صهيون يُحيلها جهنَّمَا، فما أن ارتقت روح العطَّار حتَّى هبط كابوساً يُطارد كياناً ما انفكَّ يغتصب أرضنا ويستبيح مُقدَّساتنا، حيث تمثلت روح العطار صاروخاً (A120).

في الثَّامن من يوليو عام 2015م، خرج النَّاطق العسكري باسم كتائب القسَّام؛ ليُعلن عن إبداعٍ جديدٍ، حيث تمكَّنت الكتائب من إنتاج صواريخ العطَّار(A120) وإدخالها الخدمة العسكريَّة القسَّاميَّة؛ تيمُّناً بالشَّهيد القائد رائد العطَّار، وتحمل رؤوساً مُتفجِّرةً ذات قدرةٍ تدميريَّةٍ عالية، يصل مداها إلى 120كم، استُخدمت هذه الصُّواريخ لأوَّل مرَّةٍ في قصف مدينة القدس المحتلَّة مساء الاثنين 11 مايو2021م خلال معركة سيف القدس، كما استُخدمت بتوجيه ضربةٍ صاروخيَّةٍ إلى تل أبيب وضواحيها، أسفرت عن مقتل 2 من الصَّهاينة وإصابة نحو 30 آخرين.

بركان "أبو شمالة" SH85

أسدلت كتائب القسام السِّتار عن صواريخ (SH85)، التي ما أن تفجَّرت حتَّى أصابت دولة الكيان بحالةٍ من الذُّهول أمام مدى وفعاليَّة هذه الحِمم التي أُمطروا بها .

ليكشف النَّاطق العسكري باسم كتائب القسَّام "أبو عبيدة" في الثَّامن من يوليو عام 2015م، عن انتهاء كتائب القسَّام من إنتاج صواريخ SH85 وإدخالها الخدمة العسكريَّة القسَّاميَّة، التي جاءت تسميتها تيمُّناً بالشَّهيد القائد محمَّد أبو شمَّالة، ذات قدرةٍ تدميريَّةٍ عالية، يصل مداها إلى 85 كم، فقد استخدمت الكتائب هذا النَّوع من الصَّواريخ لأوَّل مرَّةٍ في الضَّربة الصَّاروخيَّة، التي وجَّهتها فجر يوم الأربعاء 12 مايو 2021م خلال معركة سيف القدس لتل أبيب ومطار بن غوريون، والتي أسفرت عن وقوع عددٍ من القتلى والجرحى، وتضرُّر عددٍ كبيرٍ من المنازل .

مسجد الشَّهيد القائد رائد العطار

كان لمدينة رفح جنوب قطاع غزَّة قصب السَّبق في حفاظها على إرثها الجهادي، من خلال إنشاء صرحٍ تعبُّديٍّ وجهاديٍّ يحمل اسم الشَّهيد القائد رائد العطَّار، فقد افتتحت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في الرَّابع والعشرين من فبراير عام 2017م، المسجد تحت رعاية رئيس المكتب السِّياسيِّ لحركة حماس الدُّكتور إسماعيل هنيَّة .

مسجد الشَّهيد القائد محمَّد أبو شمَّالة

شهد يوم الخامس من سبتمبر عام 2017م، إنشاء مسجد، ومدرسةٍ نبويَّةٍ، وحاضنة دعويةّ في مدينة رفح، حمل اسم الشَّهيد القسَّاميِّ القائد محمَّد أبو شمَّالة؛ تخليداً لسيرة ومسيرة القائد، حيث باشر مراسيم الافتتاح رئيس المكتب السِّياسيِّ لحركة حماس الدُّكتور إسماعيل هنيَّة .

وتأتي هذه الخطوة في إطار الثَّبات على مواصلة المسيرة الجهاديَّة، التي صنعها الشَّهيدان القائدان رائد العطَّار ومحمَّد أبو شمَّالة وبصمة وفاءٍ للقادة الشُّهداء .

إلى هنا فَرَغَ قلم الكتابة المسكوب بحبر الدُّموع، ونَفَدتْ أوراق الأشجان التي عليها تُخَطُّ السُّطور، فليس لبضع وُريقاتٍ أن تروي سيرة الجبلين العظيمين، اللذين على شواهقهما تهاوت طواغيت الاحتلال.

نَيِّفاً وعشرين عاماً لم ينفكّا عن مقارعة مغتصب الأرض وسالب الهويَّة، خاضا لُجَجَ البحر، واخترقا تُخُوم الأرض، ممتشقين سلاح عزِّهم، ومقتدين بصبر أنبيائهم، توّاقين لجوار ربِّهم، فما بدّلوا تبديلاً، في لحظةٍ تتضاءل فيها القلوب أمام حجم الحُبِّ الذي صدق، ويتلاشى كلُّ عطاءٍ أمام عطائهم الأصدق...

شهيدان لطالما عشقناهما سيرةً وتمنَّيناهما لقاءً ومجلساً، حتَّى بعد أن غابوا عن دُنيا لم تكن جديرةً بهم، فاستحقُّوا الذي هو خير، وحُقَّ فيهم قول حسبِهم ووكيلِهم: "وَسِيْقَ اَلَّذِيْنَ اِتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىْ اَلْجَنَّةِ زُمَرَا". نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً

فلن تنسى أمَّة الأخيار نجميها أبو شمَّالة والعطَّار، وستبقى روائع أعمالهم وشجيُّ أصواتهما ومجدُ خطواتهما نبراساً للأجيال.

الملاحق

بيان عسكري: عملية الوهم المتبدد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتائب الشهيد عز الدين القسام
الجناح العسكري لحركة حماس
دائرة الإعلام العسكري

Ezzedeen Al-Qassam Brigades
Military Wing of Hamas Movement
Military Information Department

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

بيان عسكري صادر عن

كتائب الشهيد عز الدين القسام***ألوية الناصر صلاح الدين***جيش الإسلام

عملية "الوهم المتبدد" النوعية

عملية إنزال خلف خطوط العدو تخلف عدداً كبيراً من القتلى والجرحى

يا آبناء شعبنا الفلسطيني المجاهد.. يا جماهير آمتنا العربية الإسلامية:

بعد سلسلة من الجرائم الصهيونية المروعة ضد أبناء شعبنا الفلسطيني من الأطفال والنساء والمدنيين، وبعد جرائم الاغتيال والاعتقال التي مارسها العدو الصهيوني أمام العالم أجمع حان وقت الحساب وآن للعدو أن يدفع الثمن غالياً من دماء جنوده المحتلين ليعلم أن دماء أبناء شعبنا ليست رخيصة وليحسب ألف حساب قبل أن يقدم على أي جريمة ضد شعبنا.

بعون الله تعالى وتوفيقه ومنه علينا تمكن مجاهدو كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام من تنفيذ عملية " الوهم المتبدد" والتي بدأت في تمام الساعة 05:15 من صباح اليوم الأحد 29 جمادى الأولى 1427هـ الموافق 25/06/2006م، حيث استهدفت العملية مواقع الإسناد والحماية التابعة للجيش الصهيوني على الحدود الشرقية لمدينة رفح حيث تم إنزال مجاهدينا خلف خطوط العدو لاستهداف أهداف عسكرية واستخبارية؛ إذ تم مهاجمة مدرعة صهيونية مما أدى إلى مقتل طاقمها بالكامل كما تم استهداف دبابة صهيونية فقتل جميع من كانوا بداخلها وقد تمكن مجاهدونا من الإجهاز على طاقم الموقع بالكامل وقد عاد مجاهدونا إلى قواعدهم تحفهم عناية الرحمن بعد أن نكلوا في هذا العدو وشفوا صدور قوم مؤمنين.

وإننا في كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام إذ نعلن مسئوليتنا عن هذه العملية النوعية البطولية فإننا نهدي هذه العملية لجميع الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال الصهيوني كما نهديها إلى أمتنا العربية والإسلامية ،وتأتي هذه العملية في سياق الرد المزلزل على جرائم الاحتلال الصهيوني المتواصلة.

ونعاهد الله تعالى ثم أبناء شعبنا الفلسطيني أن نبقى الأوفياء لدماء الشهداء وأن نرد على جرائم الاحتلال وأن نلقن العدو الصهيوني الدروس القاسية التي لن ينساها بإذن الله تعالى.

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد

كتائب الشهيد عز الدين القسام***ألوية الناصر صلاح الدين***جيش الإسلام

الأحد 29 جمادى الأولى 1427هـ

الموافق 25/06/2006م

بيان عسكري: عملية نذير الانفجار

بسم الله الرحمن الرحيم

كتائب الشهيد عز الدين القسام
الجناح العسكري لحركة حماس
دائرة الإعلام العسكري

Ezzedeen Al-Qassam Brigades
Military Wing of Hamas Movement
Military Information Department

0804-85

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}

بيان عسكري صادر عن:

..:: كتائب الشهيد عز الدين القسام::..

"نذير الانفجار".. عملية مركبة بالسيارات المفخخة نفذها استشهاديو كتائب القسام في موقع كرم أبو سالم العسكري شرق رفح

برغم الحصار والتضييق والمؤامرات التي تحاك ضد شعبنا الفلسطيني الصابر المرابط في غزة الصمود، تأبى غزة إلا أن تمزق كل غازٍ وتحرق بلهيب غضبها شذاذ الآفاق الذين جاءوا من كل أصقاع الأرض ليجثموا على صدور شعبنا، وتمرغ مع كل إشراقة شمس على أرض غزة الإباء أنوف الصهاينة ويداس تحت أقدام المجاهدين الأبرار جنود الجيش الأسطورة الذي ما عاد يقوى على تجرع الهزائم تلو الهزائم على يد من أصرّوا على مقارعته في كل ميدان.

- ففي الساعة 06:00 من صبيحة هذا اليوم السبت 13 ربيع ثاني 1429هـ الموافق 19/04/2008م، **تقدّمت أربع سيارات مفخخة مقتحمةً الخط الزائل - بإذن الله-** جنوب قطاع غزة متّجهة إلى موقع "كرم أبو سالم" العسكري الصهيوني الذي يعتبر أكثر المواقع العسكرية تحصيناً في قطاع غزة.

- تم دخول السيارات المفخخة من خلف خطوط العدو، وهي تحمل كميات كبيرة من المتفجرات مع مجموعة من المجاهدين الاستشهاديين تحت غطاء كثيف من عشرات قذائف الهاون من العيار الثقيل (عيار 120 ملم)، كما تم إشغال حاميات الموقع العسكري بغطاء ناري كثيف من الرشاشات الثقيلة من وحدة الإسناد المشاركة في هذه العملية.

- عند وصول السيارات إلى الموقع العسكري القريب قام مجاهدونا بتفجير سيارتين مفخختين بداخل الموقع، وترك سيارة مفخخة على بوابة الموقع، وتم انسحاب السيارة الرابعة، وانفجرت السيارة الثالثة لاحقاً أمام الموقع.

- **أكد المجاهد الذي انسحب بعد العملية** ومصادر خاصة بنا بأنها خلّفت عدداً من القتلى والجرحى، بينما ادّعى العدو الصهيوني إصابة ثلاثة عشر من جنوده أحدهم في حالة الموت السريري.

وقد نفّذ هذه العملية ثلاثة من الاستشهاديين القساميين الأبطال وهم:

الاستشهادي القسامي المجاهد: غسان مدحت ارحيّم

(23 عام) من مسجد "الفاروق" بحي الزيتون بغزة

الاستشهادي القسامي المجاهد: أحمد محمد أبو سليمان

(21 عام) من مسجد "النور" بحي تل السلطان برفح

الاستشهادي القسامي المجاهد: محمود أحمد أبو سمرة

()من مسجد "أبو سليم" بدير البلح وسط القطاع

إننا في كتائب الشهيد عز الدين القسام إذ نعلن عن هذه العملية النوعية لنؤكد على ما يلي:

1) نهدي هذه العملية لشعبنا الفلسطيني المحاصر وخاصة إلى ذوي شهداء الحصار وشهداء المحرقة الصهيونية كما نهديها للأسرى في سجون الاحتلال ولأرواح قادتنا العظام في ذكرى استشهادهم.

2) إن هذه العملية هي نذير بدء كتائب القسام في فكّ الحصار بطريقتها الخاصة، وعلى العدو الصهيوني الذي بدأ بالمحرقة في قطاع غزة أن ينتظر المزيد من المفاجآت ولعل القادم يكون أشد وأقسى.

3) إن كتائب القسام ستخرج في كل مرة للعدو من حيث لا يحتسب، وما عملية اليوم بنوعيتها واختراقها لكل إجراءات العدو الأمنية والعسكرية إلا دليل على أن خيارات القسام لا زالت واسعة ولن يقف في طريقها سياج أو حدود أو تحصينات عسكرية.

4) رسالتنا إلى شعبنا الفلسطيني بأننا جيشكم وجندكم نقاتل عنكم على خطوط النار لننتزع حقوقكم ولننتقم لشهداء شعبنا، ولن نتوانى لحظة عن القيام بدورنا في ضرب العدو الصهيوني في كل مكان من أرضنا السليبة.

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد،،،

كتائب الشهيد عز الدين القسام

السبت 13 ربيع ثاني 1429هـ

الموافق 19/04/2008م

بيان عسكري: نعي القادة الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

كتائب الشهيد عز الدين القسام
الجناح العسكري لحركة حماس
دائرة الإعلام العسكري

Ezzedeen Al-Qassam Brigades
Military Wing of Hamas Movement
Military Information Department

1408-54

{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

بيان عسكري صادر عن :

... ::: كتائب الشهيد عز الدين القسام ::: ...

كتائب القسام تزف إلى شعبنا وأمتنا القادة الشهداء محمد أبو شمالة ورائد العطار ومحمد برهوم

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعى كتائب الشهيد عز الدين القسام إلى شعبنا الفلسطيني وإلى جماهير أمتنا العربية والإسلامية وإلى كل المجاهدين والأحرار في العالم شهداء رفح الأبرار وعلى رأسهم الشهداء القادة:

محمد إبراهيم صلاح أبو شمالة "أبو خليل"

(41 عاماً) عضو المجلس العسكري العام لكتائب القسام

رائد صبحي أحمد العطار "أبو أيمن"

(40 عاماً) قائد لواء رفح وعضو المجلس العسكري العام لكتائب القسام

محمد حمدان برهوم "أبو أسامة"

(45 عاماً) من الرعيل الأول للقسام

والذين ارتقوا إلى العلا فجر اليوم إثر قصفٍ صهيونيٍ غادر في حي تل السلطان برفح، والشهداء الثلاثة هم من الرعيل الأول لكتائب القسام الذين تزينت بهم ساحات العز والجهاد وتشرف بهم الوطن الحبيب، وأذاقوا العدو الويلات وجرّعوا جنوده المرارة منذ ما يزيد على 20 عاماً.

وإذ نحتسب عند الله شهداءنا فإننا نعرض لشعبنا وأمتنا بعضاً من مناقبهم:-

- الشهيد محمد أبو شمالة: من مؤسسي كتائب القسام في منطقة رفح، قاد العديد من العمليات الجهادية وعمليات ملاحقة وتصفية العملاء في الانتفاضة الأولى، وشارك في ترتيب صفوف كتائب القسام في الانتفاضة الثانية، وعُين قائداً لدائرة الإمداد والتجهيز، وأشرف على العديد من العمليات الكبرى مثل عملية براكين الغضب و محفوظة وحردون وترميد والوهم المتبدد، كما كان من أبرز القادة في معارك الفرقان وحجارة السجيل والعصف المأكول.

- الشهيد رائد العطار: كان رفيق درب الشهيد محمد أبو شمالة في كل المحطات الجهادية منذ التأسيس والبدايات، حيث شارك في العمليات الجهادية وملاحقة العملاء في الانتفاضة الأولى ثم في تطوير بنية الجهاز العسكري في الانتفاضة الثانية، ثم قائداً للواء رفح في كتائب القسام وعضواً في المجلس العسكري العام، وقد شهد لواء رفح تحت إمرته الجولات والصولات مع الاحتلال وعلى رأسها حرب الأنفاق وعملية الوهم المتبدد وغيرها من العمليات البطولية الكبرى، وكان له دوره الكبير في معارك الفرقان وحجارة السجيل والعصف المأكول.

- الشهيد محمد برهوم: من أوائل المطاردين في كتائب القسام وهو رفيق درب الشهيدين محمد أبو شمالة ورائد العطار، طورد من قوات الاحتلال في عام 1992م ونجح بعد فترة من المطاردة من السفر إلى الخارج سراً وتنقل في العديد من الدول، ثم عاد في الانتفاضة الثانية إلى القطاع ليلتحق من جديد برفاق دربه وإخوانه في معاركهم وجهادهم ضد العدو.

وإننا إذ نودع شهداءنا إلى حيث يتمنى كل مجاهدٍ حرٍ أبيٍ لنعاهد الله ونعاهدهم وكل أبناء شعبنا ألا تنحني الراية التي رفعوها مع إخوانهم وضحوا بدمائهم من أجلها، ونطمئن أمتنا وشعبنا أن كتائب القسام لا يفت في عضدها ولا في عضد مجاهديها استشهاد أي من قادتها بل يزيدها ذلك إصراراً وعزيمةً على حمل الراية ومواصلة الطريق، وسيدفع العدو ثمناً غالياً لهذه الجريمة وجرائمه المستمرة بحق أبناء شعبنا.

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد،،،

كتائب الشهيد عز الدين القسام - فلسطين

الخميس 25 شوال 1435هـ

الموافق 21/08/2014م

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر

- مقابلات مع عائلة الشَّهيد القائد (محمد أبو شمالة).
- مقابلات مع عائلة الشَّهيد القائد (رائد العطار).
- مقابلات مع عدد من قادة وأبناء حركة المقاومة الإسلامية حماس.
- مقابلات مع عدد من قادة ومجاهدي كتائب الشَّهيد عز الدين القسَّام.
- أرشيف كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

ثانياً: المراجع

- أسامة أبو نحل، سامي محمد الأخرس، المواقف الإقليمية من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (2008- 2014) مصر وتركيا نموذجًا رؤية سياسية تحليلية، المؤتمر العلمي الثامن كلية الآداب/الجامعة الإسلامية - غزة، 2016م.
- إسلام حبوش، المقاومة الشعبية خلال الانتفاضة الأولى في قطاع غزة ما بين عامي (1987- 1994م)، إشراف د. نهاد الشيخ خليل، ماجستير، غزة 2015م.
- باسم القاسم، صواريخ المقاومة في غزة سلاح الردع الفلسطيني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت، 2015م.
- رجب البابا، جهود حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في الانتفاضة الفلسطينية (1994-1987م) إشراف الدكتور أحمد الساعاتي، الجامعة الإسلامية غزة، 2010م.
- سمير سعيد، حركة المقاومة الإسلامية حماس، دار الوفاء المنصورة، ط2، 2003م.
- صحيفة الأخبار: رائد العطار... الرأس المطلوب لثلاثة أحكام إعدام.
- صحيفة الرسالة: ع 224، بتاريخ 27 سبتمبر2001م.
- صحيفة القدس، الأعداد: 8412، 8940، 10613، 10614، 11531، 11634، 13891.
- صحيفة فلسطين، الأعداد: 11634، 12686.

- عدنان أبو عامر، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين المدنية والسياسية في قطاع غزة خلال الانتفاضة الأولى 1987- 1993م، إشراف الدكتور أكرم عدوان، الجامعة الإسلامية - غزة، 2004م.
- المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، تقرير النشاطات والتقرير المالي 1999.
- المركز الفلسطيني للإعلام: سر الضابط جولدن عند العطار.
- مهند الأسطل، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في قطاع غزة (2006_2014م)، إشراف الدكتور زكريا السنوار، الجامعة الإسلامية - غزة.
- موقع حركة المقاومة الإسلامية "حماس": سير الشهداء
- موقع قناة الجزيرة: برنامج تلفزيوني "الصندوق الأسود... الاتصال المفقود".
- موقع قناة الجزيرة: جريمة عائلة هدى غالية.
- موقع كتائب القسّام: البلاغات العسكريّة.
- موقع كتائب القسّام: البيانات العسكريّة.
- موقع كتائب القسّام: سير الشهداء.
- موقع كتائب القسّام: عملية يافا 14 ديسمبر 1990م
- موقع كتائب القسّام: لقاء أجراه المكتب الاعلامي للقسام مع رائد العطار.
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "صفقة وفاء الأحرار".
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "معركة العصف المأكول".
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "معركة الفرقان".
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "معركة حجارة السجيل".
- موقع كتائب الشهيد عز الدين القسّام، ملف خاص " عملية الوهم المتبدد".
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "عظماء المقاومة (محمد أبو شمالة - رائد العطار - محمد برهوم)".
- موقع كتائب القسّام: ملف خاص "وحدة الظل".
- موقع كتائب القسّام، وحدة مكافحة الإرهاب القسّامية.

الفهرس

الفهرس

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ



حينما يَسكبُ حَبرُ الزِّناد مِداد الدِّماء التي تُخَطُّ بها سيرةَ الجَبلين على أوراقٍ من الأشْجان، يُترجم عزّاً لا ينكفئ، وشُعلةَ جهادٍ لا تنطفئ، وشهادةً بها نبتدِئ، تطوفُ بنا، لنُبحر على متْن قاربِ التَّوأم بجهادهم المُبجَّل.

"رَائِدُ العطَّار، ومحمَّد أبو شمَّالة"، قَمَرَانِ شَاءَ الله لَهُمَا أنْ يَكُونَا تَوْأَمَا الثَّرَى وَالثُّرَيّا، وصديقا العِلْمِ وَالقُرْآنِ وَالبُنْدُقِيَّةِ، نَجْمَانِ وَفِيَّانِ مِنْ نُجُوْمِ المُقَاوَمَةِ الفلسطينيَّة، وقَائِدَانِ عَظِيْمَانِ فِي كَتَائِبِ الشَّهيد عِزِّ الدِّين القسَّام.

"تَوْأما الجهادِ والشَّهادَة" روعةُ إبداعٍ تجاوزتْ سُطُوراً مَخْطُوطَة، ليكتب سفر الجِهَادِ الذي تَتَسَامَرُ بِه الأجْيَالُ المُتَعَاقِبَة.

الإعلام العسكري

إصدارات قسم التاريخ العسكري
كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام

